

* الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية *



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم -

كلية الأدب العربي والفنون

قسم الدراسات اللغوية

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم تخصص لسانيات

تحت عنوان:



نظرية الأفعال الكلامية بين التصوّر الغربي والموروث

الأصولي - مقارنة تداوليّة -

تحت إشراف:

الأستاذ الدكتور: بن يشو الجليلي

إعداد الطالبة:

غالي فاطيمة

أعضاء لجنة المناقشة:

لقب واسم الأستاذ	الرتبة	الصفة	مؤسسة الانتماء
سعيد محمد	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة مستغانم
بن يشو الجليلي	أستاذ التعليم العالي	مشرفا مقررًا	جامعة مستغانم
بن عائشة حسين	أستاذ محاضر أ	عضوا مناقشا	جامعة مستغانم
مناد إبراهيم	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	المركز الجامعي بمغنية
بن عيسى عبد الحليم	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة أحمد بن بلة 1 وهران
هارون عبد المجيد	أستاذ محاضر أ	عضوا مناقشا	جامعة الشلف

السنة الجامعية: 2019-2020

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

﴿ وَقُلِ اَعْمَلُوا فِى سَبِيْلِ اللّٰهِ عَمَلِكُمْ وَرِسُوْلَهُ
وَالْمُؤْمِنُوْنَ ۗ وَسْتَرُوْا اِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ ﴾

التوبة: 105

صدق الله العظيم

* شكر و تقدير *

أحقّ كلام أن تنمّج به الألسنة وأن لا يُطوى منشوره على توالي الأزمنة، كلام لا يفرغ إلا في قالب الصدق ولا ينسج خبره إلا على منوال الحق، وهو الله تعالى وحده، فالحمد لله الذي تتم بفضلها الصالحات، له الشكر كلّ له الحمد في الأول والآخِر. ولما كان من لطيفه حثّه جلّ وعلا " وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ " وجب في هذا المقام أن نثني على من هو أحقّ بهذا الفضل أمي وأبي الغاليين وأخي العزيز وزوجي الكريم الذين لن توفي الكلمات حقهم، إلى أستاذي الفاضل الدكتور: بن يشو الجيلالي على جميل صنيعه في احتضان ورعاية هذا البحث منذ تشكله الجينيبي إلى اختتماره منجزاً في خلد صاحبه .

نتقدّم إليه بجزيل الشكر ومعظيم الامتنان، والشكر موصول إلى أساتذتنا أعضاء لجنة المناقشة من داخل وخارج الجامعة على تجهمهم عناء مناقشة هذا البحث وإخاءته.

وأخيراً نسأل الله الأجر والثواب إلى كلّ الأحرّة على مشاركتهم لنا في هذه السؤال وصدق المؤازرة .

مقدمة

تعد التداولية مبحثاً من مباحث الدراسات اللسانية الحديثة التي تطورت إبان السبعينيات من القرن العشرين في الولايات المتحدة الأمريكية، وقامت على أنقاض المدرسة السلوكية، و يهتم المبحث بدراسة كيفية فهم الناس بعضهم بعضاً، وبطريقة إنتاجهم لفعل تواصلية في إطار موقف كلامي ملموس ومحدد، يتم من خلاله التعامل مع المعاني التي يتغاضى عنها علم الدلالة، فالتداولية بهذا المعنى فعل تواصلية مرتبط بالوظيفة المرجعية تضع المرسل إليه في مواجهة مع المرسل الذي يتحمل مسؤولية الفعل الكلامي، لذا ركزت التداولية على دراسة الأساليب الكلامية، ومراقبة الآثار الدلالية المرتبطة بالموقف الدلالي.

يُدرِك المتأمل في طبيعة الأبحاث اللغوية التي عُنت بموضوع اللغة أنّها انبرت في معظمها إلى تكشّف أنجع الأدوات الإجرائية الكفيلة بفكّ شفراتها التي تسمّ لحمولاتها الدلالية وأغراضها التعبيرية، انطلاقاً من أنّ تعبيرية حدّ اللغة لم يجد عن حقيقة كونه مجموعة من الأصوات يُعبّر بها كلُّ قوم عن أغراضهم. أبدت جهود علماء اللغة والفلاسفة والمناطق، وأبحاث اللسانيين على اختلاف توجّهاهم النظرية ومرجعياتهم المعرفية اهتماماً كبيراً في العصر الحديث بالعناصر الموقفية في اللغة، حتى استوى عود البحث في حقل جديد يُعنى بدراسة التواصل البشري، وغرض المتكلم وفحص شروط الحقيقة للمعنى التواصلية مرتكزاً على محددات ثلاثة هي: الفعل، السياق والإنجاز.

يدلّ هذا التوصيف في مجمله على خصوصية اللغة بوصفها مداراً مبهماً ونسيجاً تتواشج فيه الدلالات المخبوءة تحت بُنى الألفاظ والصيغ المشكّلة للخطاب بنوعيه المنطوق والمكتوب، ومن هنا يتمثّل لنا الخطاب في هيئة تشكيل لفظي؛ يرتكز إلى جملة من القرائن المعنوية والمقصديّة.

وتسعى التداولية بوصفها نسقاً معرفياً استدلالياً إلى الوقوف على أغراض القائل المقاميّة من خلال المعرفة الاستراتيجية الخطابيّة للنص، فهي تجعل الفعل اللّغوي حدثاً في العالم يسعى إلى التعبير عن طريق التواصل ويعقد حواراً مُثمرًا بين الماضي والحاضر.

تلبية لهذا المطلب تمّ الاحتكام إلى المقاربة التداولية التي أحدثت توتّباً نوعياً في نمطيّة البحث اللّساني، الذي انفتح على الغايات الجوهرية التي يُنشدّها الخطاب على نحو التأثير والإقناع والمحااجة، معتمداً في الآن نفسه بمقتضيات الحال والمقام من خلال الارتهان إلى سلطة السّياق التواصلي.

وبتعدّد استعمالات اللّغة وارتباطها الوثيق بالسّياق كان اختلاف الباحثين في هذا المجال بيّناً، فتنوّعت آراؤهم وأثمرت جهودهم في إخراج نظريات ومقولات عُرفت في بداية تأسيسها بنظرية الأفعال الكلاميّة؛ والتي تعد من أهم نظرية في اللّسانيات التداولية، حيث إنّ دراسة هذه الأفعال و ما يفعله المتكلمون باللّغة من تأثير و تبليغ وإنجاز أفعال تعدّ من أهم مجالات الدراسات التداولية على الإطلاق، وذلك بوصفها تمثل البنية الصغرى التي يتعين تحليلها و الوقوف على طبيعتها قبل الانتقال إلى البنية الكبرى التي تتمثل في مختلف أنواع التبادل الكلامي في مجتمع من المجتمعات.

و أهم ما سأركز عليه في هذه الدراسة هو إسقاط هذه الأفعال الكلامية على خطاب تربوي لكثرة أساليب الحوار فيه و تنوعه و اختلافه ما بين الأساليب الخبرية و الأساليب الإنشائية بوصفها تمثل مجالا ثريا يتناسب و الدراسة التي سأجريها ، ثم إبراز مدى تأثيرها في الخطاب ودورها في عملية التواصل والإبلاغ إيماناً منّا بضرورة استثمار نظرية أفعال الكلام في قراءة الموروث اللّساني الغربي، ومحاولة التأميل لهذه

النظرية في التراث اللغوي الأصولي، وإذ يبدو هذا الموضوع في ملامحه بحثاً نظرياً، إلا أنه يحمل في طياته محاولة تأصيلية غير مُعلنة تُبسّط سُدولها على حقل الأصوليين؛ لاسيما مع مشروع الشاطبي وابن تيمية بوصفهما عيّنة لا أمودجاً.

في هذا الإطار يندرج موضوعي على نحو ما هو مجسد في العنوان الآتي:
 "نظرية الأفعال الكلامية بين التصور الغربي والموروث الأصولي" - مقارنة تداولية -
 وسأحاول في هذا البحث الإجابة عن العديد من التساؤلات التي تُضفي بعضاً من الغموض على الموضوع من مثل:

- ما هي الأسباب التي أدت إلى ظهور هذه المرحلة التي شكلت منعرجاً

لسانها جديداً في تاريخ اللسانيات؟

- ما حقيقة الأفعال الكلامية؟ وكيف تسهم في عملية التواصل؟

- كيف نظر الأصوليون للأفعال الكلامية؟ وهل هي نفسها نظرة الغربيين؟

- كيف نتكلم بشيء بينما نحن نريد شيئاً آخر؟

- كيف نتجنب الغموض والإبهام في عملية التواصل؟

سنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة وتوضيحها بشيء من التحليل والتفسير خلال

هذا البحث.

مردّ اختيارنا لهذا الموضوع فيكمن في اهتمامنا بالدرس اللساني والتداولي

بوصفه مُكتسباً لما خلفه علماؤنا الأصوليون من زادٍ لغوي قائم على الدقة، والبحث

العميق بما يخدم تراثنا العلمي واللغوي، لتحقيق التماثل وتبادل المعارف أخذاً وعطاءً مع

ما توصلت إليه الدراسات اللغوية الحديثة، وكذلك من أجل تحديد المجال التداولي في

التراث الأصولي هذا من جهة، ومن جهة أخرى إسقاط هذه الأفعال الكلامية على

خطاب تربوي يهدف الربط بين الدرس اللساني التداولي و التراث، كان ذلك بعد توجيه واعٍ من قبل الأستاذ المشرف وآرائه السديدة في رسم معالم هذا الإشكال على نحو أدق. اقتضت منّا طبيعة الموضوع الاعتماد على المنهج التداولي، بالإضافة إلى المنهج الوصفي التحليلي الذي سيساعد على تتبع مسار الدرس التداولي.

سبق البحث دراسات سابقة توزعت بين المطبوع، والمخطوط من أهم الأعمال المطبوعة: (مفتاح العلوم) لـ "أبي يعقوب السكاكي" و(الإيضاح في علوم البلاغة) لـ "الخطيب القزويني"، و(الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية) لـ "أبي سريع ياسين عبد العزيز"، أما الأعمال المخطوطة فتمثلت في رسالة (بلقندوز هواري): التداوليات النصّية، مقارنة في فهم الخطاب، وتأويله قسم اللغة العربيّة، وآدابها "جامعة وهران، 2008، 2009"، رسالة "دكتوراه" مخطوط تحت إشراف: (أحمد يوسف)، ورسالة (خفيف علي): شعرية الخطابة العربية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة "باجي مختار عنابة،" (2007، 2008)، ورسالة "دكتوراه" مخطوط، تحت إشراف: (عبد المجيد حنون). و(بعيطيش يحي): نحو نظريّة وظيفيّة للنحو العربيّ: قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة "منتوري قسنطينة" (2006، 2005)، ورسالة "دكتوراه دولة" مخطوط، تحت إشراف: (عبد الله بوخلحاج).

لتحقيق ما نصبو إليه؛ وضعنا لبحثنا هذا خطة اهتمدنا إلى رسم معالمها بعد جهدٍ جهيدٍ لتشكيل الهيكل العام لمنظور هذا البحث نظيراً وتطبيقاً، إذ سعينا إلى توزيع محطّاته وفق ما يخدم مقتضيات البحث على النحو الآتي:

تطرقنا في المدخل إلى الحديث عن مفهوم التداوليّة في ضوء الماهية و الأصول، واعتمدنا في هذا القسم من المدخل على أسلوب العرض التاريخي؛ بهدف تعرّف القارئ على

الإطار العام لهذا الحقل بوصفه أرضية تمهيدية والذي يعتمد على جملة من العناصر أهمها: - التداولية: المصطلح و الموضوع

- التداولية بين اللغة والاصطلاح

- التداولية: النشأة و التطور .

- نظريات الدرس التداولي .

عنونا الفصل الأول من هذا البحث ب: الإطار النظري للأفعال الكلامية أدرجنا تحته مبحثين، اهتمّ المبحث الأول بدراسة الأفعال الكلامية في الدراسات العربية ضمن ظاهرة الخبر والإنشاء، أما المبحث الثاني اختصّ بالبحث عن أصول نظرية الأفعال الكلامية عند اللغويين المعاصرين، حيث قمنا بالتقصّي والبحث عن الخلفية لهذه النظرية منذ أن كانت مجرد أفكار طرحها " أوستين " في مجموعة من المحاضرات إلى أن أصبحت نظرية أساسية يرتكز عليها المنهج التداولي، وعن أهمّ رواده التّظريات التي اعتمد عليها. وسمنا الفصل الثاني بعنوان: مستويات الأفعال الكلامية في الفكر الأصولي

؛ وسعينا في مُستهله الوقوف وقوفاً لافتاً على مبحثين:

المبحث الأول: مستويات الأفعال الكلامية عند الأصوليين.

المبحث الثاني: إنجازية أفعال الكلام عند الأصوليين .

ونحن إذ سعينا في الفصول السابقة من هذا البحث إلى بسط المفاهيم والرؤى والنظريات المتعلقة بالصّور التّداولية للأفعال الكلامية؛ فإننا في الفصل الثالث - وحتى يُفضي البحث إلى نتيجة ملموسة من شأنها أن تُخفّف من غلواء التجريد النظري - آثرنا أن نقف عند أهمّ مقولات المشروع الأصولي للشّاطبي، وبن تيمية وعياً منّا بمحاولة استنطاق الفكر الأصولي، وفحص مكوناته المفاهيمية ضمن الرصيد المعرفي للدرس

اللغوي المعاصر؛ وسعياً لتحقيق الاستمرارية والتواصل بين القديم والجديد فجاء بعنوان:

إمكانات التقاطع بين الأصوليين والغربيين - مقارنة تداولية - وتضمّن مبحثين:

المبحث الأول: استراتيجية التداولية عند علماء الأصول ويندرج تحته مجموعة من العناصر أسهمت في بناء نظرية شاملة حاولنا من خلالها إبراز كيفية دراسة كلٍّ من الشاطبي وابن تيمية للأفعال الكلامية .

المبحث الثاني: إمكانات التقاطع من حيث المصطلحات والمفاهيم وعقدنا فيه مقارنة بين الأصوليين والغربيين.

أمّا الفصل الرابع لم يشذ عن سابقه فجاء عنوانه الجانب الإجرائي للمقارنة التداولية لخطاب التربوي فكان دراسة تطبيقية، فيه اخترنا خطاباً تربوياً وأسقطنا عليه جملة من الأفعال الكلامية، ساعين من وراء ذلك إلى المقارنة التداولية للخطاب المنطوق.

أمّا الخاتمة فقد حوصلت أهمّ النتائج التي توصلنا إليها من خلال بحثنا ومحاولة إيجاد أجوبة لجملة من الإشكالات التي طرحناها في بداية هذا البحث خاصة ما تعلق بوجود أفعال كلامية في التراث الأصولي.

لم نغفل تذييل بحثنا بملاحق حسبناها مفاتيح مهمّة من مفاتيح البحث على النحو الآتي: ملحق للمصطلحات التداولية (عربي، إنجليزي)، وملحق الشواهد الشعرية، وملحق الآيات القرآنية.

لا ندعي أننا أخذنا بمجامع هذا الموضوع الأسمى، وبلغنا في بحثه الأمد الأقصى؛ إنما هو تجزؤ قلم تجشّم عناء البحث ليكتب أقوال علمائنا وأراءهم انتقيناها، وأراء خطرت على الفكر فتقبلناها وبيّنا إلاّ عرضها والتعريض بها في هذا المقام علّنا نصيب ولو إثارة نقد واعتراض، ويقف خلف هذا البحث صوت كبير أسهم إسهاماً

فاعلاً في إخراجهم من الإضمار إلى العلن، ومن الكُمون إلى الظهور، وحاوّر الباحث كثيراً في فصوله ومباحثه، فتسلّلت أفكاره إلى مفاصل البحث حتّى أصبح من الصعب الإشارة إليها، ذلك الصوت هو الدكتور "بن يشو الجيلاي" المشرف على هذا البحث الذي تعجز مفردات الشكر عن الإيفاء بحقّه، فجزاه الله خيراً وجعله عوناً للباحثين والتوفيق من الله جلّ وعلا.

الطالبة فاطيمة غالي/مستغانم 2019

المدخل

التداولية: الماهية والأصول

التداولية: المصطلح والموضوع

التداولية بين اللغة والاصطلاح

التداولية: النشأة والتطور

نظريات الدرس التداولي

تمهيد:

إنّ التغيّرات العميقة التي شهدتها الدراسات المعرفية واللّسانية في السّنوات الأخيرة من القرن العشرين؛ كانت ثمرة من ثمار تطوّر الفكر الحديث عبر كامل إنجازاته العلميّة والمعرفيّة التي ما لبثت تدعو إلى الاعتقاد بأنّ العقل البشري أوشك أن يستنفذ قدراته الكامنة وطاقاته الخلاّقة، وفي هذا السّياق سجّل بزوغ تيّارات ونظريّات لغويّة متباينة في الأسس المعرفيّة كالتّيّار التّوليدي، البنيوي ... كانت آخر ثمرة تمخّضت عن الدّرس اللّساني انبثاق تيّار جديد كان بمثابة البديل، والأفق التي تسعى إليه الأبحاث اللّغوية المعاصرة.

تجسّد هذا الأفق في النّظرية التّداوليّة*، فأصبحت في السّنوات الأخيرة موضوعاً مألوفاً في اللّسانيات والدراسات الأدبيّة بعد أن كانت السّلة التي ترمي العناصر، والمعلومات التي لا يمكن معالجتها وتوصيفها بالأدوات اللّسانية التّقليديّة.

لا مندوحة أنّ تكون اللّغة في عصرنا مؤسّسة تختزل فيها الثقافة برمّتها، من حيث أنّ الحياة اليوميّة للإنسان أصبحت منصهرة في الخطاب "التّكنولوجي" للّغات الاصطناعية والذكاء الاصطناعي؛ ونظراً إلى الاهتمام الكبير بالمصطلح فإنّ التّكلم في مسألة وظيفة اللّغة يقودنا إلى التّسليم بحاجة الإنسان إلى تجاوز مستوى الاتّصال للقيام بمهمّات جوهرية من مثل: تمثيل المعلومات وإبلاغها، ومن ثمّة تنتقل وظيفة اللّغة في جوهرها من التّواصل إلى تمثيل المعرفة وبرمجة المعلومة وإبلاغها. قد كان لـ "أوستين"

*. نتيجة لتداخل التداولية pragmatic بحقول مجاورة، فإنّ لها الكثير من الترجمات في اللّغة العربيّة، منها: التبادلية والاتصالية، والنفعية إلى جانب الذرائعية. من كتاب ميحان الرويلي، سعد اليازغي، دليل الناقد الأدبي، إضافة لأكثر من خمسين تياراً أو مصطلحاً نقدياً معاصراً، لبنان بيروت، المركز الثقافي العربي، ط2، 2000، ص: 100.

التفاته ثمينه في نظريه اللغه حيث رآى أهما: "ليست أداة أو وسيله للتخاطب والتفاهم والتواصل فحسب، وإنما اللغه وسيلتنا للتأثير في العالم وتغيير سلوك الإنسان من خلال مواقف"¹. وبهذا نكون مدعوين بفكرة التخلي عن اختزال اللغه في نظام ترميزي شفاف قوامه التواصل الحرّي للغه مادام استعمالها ممثلاً في إنتاج الجمل، وفهمها يتطلّب معارف غير لغويّة ويستلزم عمليّات استدلالية تقوم أساساً على "استراتيجيّة" المؤول والملابسات السياقيّة للعملية التواصلية².

من هذا المنظور نقدر أنّه من الضروري الإشارة إلى تشكّل مفهوم التداولية نظيراً، ومراساً، تأسيساً وتأصيلاً فما التداولية؟ وما علاقتها باللسانيات؟ وماهي الأسباب الدافعة إلى اللجوء إلى هذا المجال العلمي؟

1- التداولية: المصطلح والموضوع:

تعدّ التداولية مبحثاً من مباحث الدراسات اللسانية التي تطوّرت إبان سبعينات القرن العشرين، ومن أهمّ المفاهيم الحديثة التي شدّت انتباه الدارسين والباحثين لاسيما في العقود الأخيرة، فالمبحث يدرس كيفية فهم الناس بعضهم بعضاً، وإنتاجهم لفعل تواصلية كلامية في إطار موقف ملموس محدّد، كما أنّه يبدو على درجة غير قليلة من الغموض ما يجعله مستعصياً على الضبط الدقيق، إذ ما انفك يقترن في اللغه الفرنسيّة بالمعنيين التالين: "محسوس وملائم للحقيقة"، أمّا في الإنجليزيّة بوصفها اللغه

¹. أوستين، نظرية الأفعال الكلاسيكية، تر: عبد القادر قنيني، المغرب، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، 1991، ص: 06.

² بلقندوز هواري، التداوليات النصية، مقارنة في فهم الخطاب وتأويله، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، 2008، 2009، رسالة دكتوراه، مخطوط، تحت إشراف: أحمد يوسف، ص: 09. 10.

التي كتبت بها غالبية النصوص المؤسسة للبحث التداولي؛ فإنّ مصطلح "Pragmatic" يدلّ في الغالب الأعمّ على ماله علاقة بالأفعال، والوقائع الحقيقيّة¹.

هنا تجلّى مصطلح التداوليّة في المعاجم والقواميس (اللاتينية) يعني القيمة العمليّة والتّطبيقية للأشياء المرتبطة بالواقع؛ وهو مشتق من الجذر (اليوناني) "Pragma" بمعنى الفعل، ومنه "Pragmatikos" باليونانية و"Pragmatika Sanctio" باللاتينية، ثمّ أصبحت الكلمة بفضل اللاّزمة تطلق على كلّ ما هو عملي أو واقعي². أي تعدد المعنى للمصطلح الواحد.

ثمّ إنّ المفهوم الاصطلاحي للتداوليّة تتقاذفه مصادر معرفيّة عديدة، فقد اعتبرت ملتقى لمصادر أفكار وتأمّلات مختلفة يصعب حصرها، إضافة إلى أنّها تتداخل مع علوم أخرى ممّا جعل مجالها ثريًا وواسعًا وعسيرًا³. فليس اللسانيّون وحدهم المعنيون بالتداوليّة؛ بل إنّها تعني الكثير من علماء الاجتماع إلى المناطقة و(السيمولوجيين)؛ تتجاوز اهتماماتها إلى الأبحاث المتعلّقة بالمعنى والتّواصل، وتطغى على موضوع الخطاب لتصبح نظريّة عامة للنشاط الإنساني. ونظرًا إلى اتّساع حدودها أقرّ العديد من الدارسين غموض معالمها، فهي درس جديد غزير إلّا أنّه لا يملك حدودًا واضحة... ومن أهمّ الصعوبات التي تصادف التعريف بالتداوليّة عدم استقرارها على مصطلح يشمل مقولاتها ومجالاتها العديدة، بحيث تعدّدت التسميات العربيّة للمصطلح الأجنبي

¹. فليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، سورية، اللاذقية، دار الحوار للنشر والتوزيع ط1، 2007، ص: 17.

². Cf. Hachette dictionnaire du français, Ed Mair Ga tard paris, 1995 (pragmatique).

³. خليفة بوحادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيليّة في الدرس العربي القلم، الجزائر، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ط1، 2009، ص: 63.

Pragmatic"، "فقيل (البراغماتيّة) بعدها نقلاً حرفياً عن المصطلح الأجنبي وقيل التداوليّة، المقاميّة، الوظيفيّة، السياقيّة الدّرائعيّة، والنّفعيّة، وبين تلك الألفاظ - في الواقع - فروق لا تسمح باستعمالها مترادفة لتكون مقابلاً للمصطلح الأجنبي"¹. حتّى وإن تعدّدت هذه المقابلات العربية لمصطلح التداولية؛ فإنّ مدلولها واحد يتلخّص في كونها تلك التي تدرس أفعال اللّغة.

فإذا كانت (البراغماتيّة) تُعنى بخصائص استعمال اللّغة عند المتكلّمين وردود أفعال المستقبلين والنّماذج الاجتماعية للخطاب، ثمّ تحوّلت فيما بعد "أوستين Austin"* إلى دراسة أفعال اللّغة، ثم امتدّت بعد ذلك واتّسعت لتشمل نماذج الاستعمال والتلفّظ، وشروط الصّحة والتّحليل الحوارية². إنّ مصطلح الذرائعيّة "Pragmatism" يحوّل إلى توجّه فلسفيّ معيّن، أو بالأحرى نظريّة فلسفيّة عامّة للعقلانيّة التي توطّر جملة من الاهتمامات الإنسانيّة، يتمّ بموجبها الحكم على قانون ما من خلال التّطبيقات العمليّة والنتائج المتوخّاة منها، وقد تطوّرت في الولايات المتّحدة الأمريكيّة في منصف القرن العشرين، ويبدو ذلك التّوجه مستلهماً نوعاً ما من الاستعمال "الكانطيّ" لمصطلح "Pragmatish" الذي سرعان ما حظي باهتمام بالغ، وسرعة في التّدالول لدى "بيرس"، وزملائه نحو "وليام جيمس وجون ديوي"³. ومن ثمّ كانت الذرائعيّة تهتمّ بالفائدة العلميّة

¹. خليفة بوجادي، المرجع السابق، ص: 65.

* الفيلسوف ج. ل. أوستين John longshou Austin: كان أستاذ الفلسفة الأخلاقية بجامعة أكسفورد وهو شخصية معروفة في الأوساط الأكاديمية البريطانية والأمريكية، توفي سنة (1960) وكان عمره آنذاك 48 سنة، من كتبه: كيف تكتب الأشياء بالكلمات؟ ينظر: محمود أحمد نخلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مصر، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، دط، 2002، ص: 61.

². نعمان بوقرة: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، عنابة، منشورات جامعة باجي مختار، دط، 2006، ص: 171.

³. ينظر: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص: 28، وبلقندوز هواري: التداوليات النّصية، ص: 11.

للفكرة كمعيار لصدقها، واعتبرت فكرة الموضوع ما هي إلا مجموعة أفكار لكلّ الوقائع المتخيّلة، فهي نظريّة فلسفيّة تُلحّ على المكوّن العملي الفاعل للإنسان قصد بلوغ المعرفة. في حين نجد مصطلح التداوليّة "Pragmatic" يُغطّي عمليّة إنتاج المعنى في رحاب أنظمة العلامات، فهو لا يُراعي العقلانيّة إلاّ في علاقتها بالخطاب والسياق وعندئذ لا يفتأ يغمر الجذور الفكرية والفلسفيّة للبحث التداولي¹. ممّا جعل الباحث يقف أمام تداوليّات لم تتحدّد بعد مع أنّها في قمّة ازدهارها؛ وهكذا نجد تداوليّة "Montague غير متأثرة بذرائعيّة "بيرس".

لاشكّ أنّ إطلالة سريعة عند توثيق استعمال مصطلح "Pragmatic" في بداياته المبكّرة وبمفهومه الحديث، يميلنا إلى أبحاث الفيلسوف (الأمريكيّ) "شارلز موريس" 1932 بوصفه دالاً على فرع من فروع ثلاثة يشتمل عليها علم العلامات، أو "السيميائية*Semiotic"، واعتبر "موريس" التداوليّة جزءاً من السيميائية التي تُعالج العلاقة بين العلامات ومستعملها، أو مفسّريها (متكلّم - سامع - قارئ - كاتب...) وتمثّل التداوليّة -حسب رأيه- فرعاً من فروع ثلاثة يشتمل عليها علم العلامات هي:

¹ . GF.Francisejaques, pragmatique, Encyclopaedia, universalis 2000 CD, Rom,V:6 .12 . وبلقندوز هواري، التداوليات التّصية، ص: 12.

* من المعلوم أنّ اللساني السويسري فرديناند دي سوسير (1913، 1957م) هو مبتدع مصطلح Sémiotique وهو علم يدرس حياة العلامات في صلب الحياة الاجتماعية، والمراد هو دراسة كلّ أنظمة التواصل دون الاقتصار على نظام التواصل اللغوي، ومن الأنظمة العلاماتية نجد: الخط وأبجدية الصم والبكم وعلامات التادّب والإشارات... من كتاب: أحمد الوردني قضية اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن 7هـ/13م، لبنان، بيروت، دار الغرب الإسلامي، المجلد الثاني ط1، 2004، ص: 711.

*علم التراكيب: "Syntax": يعنى بدراسة العلاقات الكليّة بين العلامات بعضها مع بعض¹، أي يتّجه - العلم - إلى دراسة اللّغة دراسة نسقيّة دون الأخذ بالاعتبار سيّاق الحدث اللّغوي ومصاحباته سواء تعلق الأمر بالعملية الإنتاجيّة للّغة (التي تتعلّق بمنّج الكلام) أم بالعملية التّأويليّة التّفسيريّة لها (التي تتعلّق بالمتلقّي)؟

*علم الدّلالة: "Semantic": يدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تحيل عليها، إلاّ أنّ المعنى المتوصّل إليه في هذا المستوى حسب "هنريش بليت"، قد لا يعكس المعنى الحقيقي المراد من الصيّاغات اللّغوية²، خاصة إذا أدخلنا في الحسبان مسألة انقطاع الإحالة وغياب المراجع، وحضورها بمختلف أشكالها وصورها في الخطاب الأدبي على وجه الخصوص.

*التداوليّة: "Pragmatic": تدرس علاقة العلامات بمفسّريها³؛ بمعنى أنّها تتركز على الإطار التّواصلّي في محاولتها لتحديد العلاقة القائمة بين الإشارة ومن يستخدمها في الاتّصال اليومي العادي، ووفق هذا الطّرح لا يمكن اعتبار أيّ جملة، أو عبارة بنية شكلية معزولة عن سيّاقها (التّواصلّي/التّفاعلي).

أمّا كتخصّص أو فرع معرفيّ لغوي، فإنّ التداوليّة تهدف إلى دراسة الظواهر التابعة للمكوّن التّداولي من مكوّنات اللّغة، وعليه تعرف بأنّها دراسة اللّغة في الاستعمال⁴.

1. محمود أحمد نخلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2002، ص: 09.

2. هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل المعنى، ترجمة محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، 1999، ص: 100.

3. محمود أحمد نخلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 09.

4. محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص، ومجالات تطبيقاته، لبنان، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط 1، 1429، 2008، ص: 48.

انطلاقاً من هذا التحديد الذي أوكله "موريس" للتداولية يجعلها أحد الأسس القارّة التي يبنى عليها علم السيميائية، يُمكن الخروج بنتيجة مفادها أنّ العلامة حسب "موريس" تتجاوز مجالها اللساني إلى المجال السيميائي، ومجالها الإنساني إلى مجالات أخرى: المجال الحيواني، الآلي، الطبيعي¹. يُخبرنا "موريس" بمدى وفاء هذا التّصوّر للنظام اللساني عامة، ونظريّة العلامة خاصة، فهي لا تتجاوز أن تكون سريرة اكتملت في ظلّ أحد أقطاب السيميائيات الأمريكيّة لتمثّل بذلك وجوداً مكتملاً مع رواد اتجاه التّداوليّة المندمجة.

أحدثت هذه النتيجة الفكرية التي انبثقت من إطار تقسيم "موريس" للسيميائية، وجعله التداولية فرعاً منها إلى إعراض بعض الباحثين اللغويين عن هذا الطّرح كما هو الحال للباحث: "نواري سعودي أبو زيد" الذي عزف عن تصنيف موريس بحجّة أنّ هذا التّصوّر قد يُؤدّي إلى إخراج الدّراسة التّداوليّة عن سبيلها وجدديتها وجدواها في آن واحد، كما يعتبر أنّ إدراج التّداوليّة ضمن النظرية السيميائية قد يُؤدّي بالباحثين العرب إلى اعتبار التداوليّة مجالاً يقع تحت لواء علم العلامات أو السيمياء². يُمكن اعتبار إسهامات موريس بمثابة بذرة جوهرية مهّدت السبيل لظهور النظرية التداوليّة المعاصرة من خلال ترسيخ بعض المفاهيم الجديدة في الدراسات اللغوية كالاستعمال والمستخدمين والمؤولين والإطار التواصلي والسيّاق الاجتماعي، وكلّ ذلك أهله - موريس - للوصول إلى تعريف تداولي للغة، بأنّها نشاط تواصلي ذو طبيعة اجتماعية.

¹. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص: 56.

². سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، بيت الحكمة، الجزائر، سطيف، الطبعة الأولى، 2009، ص: 23.

2- التداولية بين اللغة والاصطلاح:

لا مناص لنا - ونحن نباشر تعريف التداولية - من أن نبدأ بتدبر المفهوم اللغوي للمصطلح الذي قد نستمد منه بعض المؤشرات التي يمكن أن تضيء لنا دروب الاهتداء إلى التأصيل للمفهوم، وتكوين عنه فكرة عامة شاملة قبل الدخول في تشعباته الناتجة عن تعدد الرؤى والمنطلقات والغايات.

أجمعت جلُّ المعاجم العربية على أن الجذر اللغوي لمصطلح التداولية (الفعل الثلاثي "دول" الذي ينصرف مفهومه إلى معانٍ كثيرة منها: "التناوب، والنزاع، والنصرة والتنقل فقولهم: تداولنا الأمر، معناه: أخذناه بالتداول... وقالوا: دوايك أي: مداولة على الأمر، ودالت الأيَّام أي: دارت، والله يُداولها بين الناس، وتداولته الأيدي: أخذته مرّة، وهذه مرّة... وتداولنا العمل بيننا بمعنى تعاوننا عليه، فعمل هذا مرّة وعمل هذا مرّة)¹. تكاد تلك الإحالات اللغوية جميعها تؤسس لوجود طريقي التداول (الباث Transmitter)، والمتلقّي "receiver" كتداول المال مثلا، عندئذ يكون مقتضى التداول عملية وصل بين القول، والفعل، أو قُلْ تحقيق الأفعال في الواقع التجريبي من خلال إنجاز الأقوال في نطاق التواصل اللغوي حسب ما تنصّ عليه نظرية الأفعال الكلامية .

ضمن هذا الإطار أخذت التداولية في حسابها النظر في اللسان والمنطق على أنّهما قوام حاجة المرء في التواصل والتفاعل². وعليه فإذا تتبعنا معاني مادة (دول) نجدها

¹. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، لبنان، بيروت، دار صادر، ط 1، 1999، مج 11، مادة (دول).

². أحمد يوسف، سيميائيات التواصل وفعالية الحوار، المفاهيم والآليات، الجزائر، دار الرشاد، منشورات مختبر السيميائيات وتحليل الخطابات، جامعة وهران، دط، 2004، ص: 209.

تتمحور حول تداول الكلام بين المتكلمين، وهذا يستدعي وجود تواصل لغوي بين طرفين الباث و المتلقي.

من شواهد استخدام مصطلح التداولية في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾¹. وبيان (كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم) أي: "كي لا يكون ذلك الفيء (دولة) يتداوله الأغنياء منكم بينهم، يصرفه هذا مرة في حاجات نفسه، وهذا مرة في أبواب البر، وسبيل الخير"²؛ ويقول "أبو عمرو بن العلاء" - في معنى الآية - : "إنّ الدولة بالفتح الظفر في الحرب، وغيره، وهي المصدر، وبالضم اسم الشيء الذي يتداول من الأموال"³. وفيه أيضا قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾⁴. وقد ذكر صاحب الكشف بشأها : "... نداولها: نصرفها بين الناس، نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء، كقوله: -وهو من أبيات الكتاب-:

فَيَوْمٌ عَلَيْنَا، وَيَوْمٌ لَنَا ***** وَيَوْمٌ نَسَاءُ، وَيَوْمٌ نَسْرٌ⁵.

¹. سورة الحشر، الآية 07.

*. القرآن الكريم بمامشه مختصر من تفسير الإمام الطبري للتيحني مذيلا بأسباب النزول للنيسابوري، والمعجم المفهرس لمواضيع

آيات القرآن الكريم لمروان عطية، قدم له وراجعه مروان سوار، دار الفجر الإسلامي، ط7، 1995، ص: 546.

². أبو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد العليم البردوني، 1963، الجزء 18 ص: 19.

³. المرجع نفسه .

⁴. سورة آل عمران، الآية 140.

⁵. الزمخشري، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، لبنان، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر (د.ت)

ج2، ص: 435.

إنّ هذا التّصور ليس ظفرة من فراغ، ذلك أنّ لفظ التّداوليّة ومشتقاته استعمل في الآيات بمعنى التّغيّر من حال إلى حال، أو الانتقال، أو التّعاقب، والتّناوب، فنلمس من خلالها عدم الثّبوت والاستقرار والتّحول، كما الأمر بالنّسبة إلى اللّغة بحيث تنتقل من المتكلّم إلى السّامع في سياق ما يمكن أن يفهم أو يؤوّل إلى عدّة معانٍ، وبذلك يكون المعنى غير ثابت بل متحوّل وغير مستقرّ بين باثه ومتلقّيه .

إنّ المتتبّع لنشوء التّداوليّة وتطوّرها يصل من فحصه تاريخها إلى خلاصة مفادها أنّها لها علاقة لها بالقواعد الدّاخلية للنّسق اللّساني الصّوري من مثل (الصّوارة*)، الدّلالة، التّركيب) من حيث أنّها لا تقتصر على جانب واحد، بل من الممكن أن تستوعب كلّ الجوانب، فهي تنكبّ أساسا على دراسة اللّغة من وجهة نظر وظائفية بتركيزها على دراسة جوانب السّياق التي تشقّر شكليًا في تراكيب اللّغة بوصفها جزء من مقدرة منجز الخطاب¹، وهكذا تُعدّ التّداوليّة تخصّصا لسانيا يدرس كيميّة استخدام النّاس للأدلة اللّغويّة في صلب أحاديثهم، وخطاباتهم لأنّها تسعى إلى كيميّة اكتشاف السّامع مقاصد المتكلّم، وأغراض كلامه.

ومادامت التّداوليّة تُفصي من مجال اهتمامها مراعاة شروط الحقيقة المتواضع عليها ضمن القواعد اللّغويّة، ومنطق الكلام، فإنّها تنتمي إلى المستوى الثّالث من دراسة المعنى²، ونحسب أنّ النّموذج "الإبستمولوجي" الذي حازته التّداوليّة ضمن نظرية المعنى

*. الصّوارة: العلم الذي يدرس الأصوات.

¹. محمود أحمد نخلة، أفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، ص: 10، وبلقندوز هواري، التداوليات النّصية ص: 15، 14.

². بلقندوز هواري، التداوليات النّصية، ص: 15.

أشبه ما يكون بالتصنيف الذي أشار إليه الباحث اللساني "R-E lured" من حيث أنّ التداولية تنتمي إلى لسانيات الجيل الثالث.

من الاتجاهات التي تصادفنا كون التداولية تعدّ امتدادا لللسانيات التلقظ، ولمفهوم الدلالة باللغة والدلالة التوليدية...¹. حيث ميّز الدارسون بين دالتين: دلالة ترتبط باللغة حسب المقترح (السويسري)، ودلالة ترتبط بلسانيات الكلام حسب المقترح (الأوستيني) الذي يمثّل أحد مفاهيم التداولية.

باتّساعنا أن نرى غالبا أنّ التداولية تغمر الإطار العام للخطاب كي تصبح نظرية عامة للفعل الإنساني، ومن ثمّة نجد أنّها تتداخل مع جملة من العلوم المعرفية التي لها علاقة بالبحث اللغوي من مثل: (الدلاليات، والسوسيو لسانيات، والسيكو لسانيات وتحليل الخطاب) ممّا أفرز أنواعاً متعدّدة للتداوليات أبرزها التداولية الاجتماعية، والتداولية اللسانية، والتداولية التطبيقية، والعامّة². بمعنى أنّ التداولية تتقاطع مع علوم أخرى لها صلة بالبحث اللغوي دون النظر إلى الرؤية المنهجية.

الواقع أنّ "مبدأ الواقع الفعّال" "The principle of effective reality" الذي يعدّ عنصراً أساساً للوعي التداولي ويمثّل نمطاً أصلياً تأليفيّاً في الوقت ذاته ضمن الإطار العامّ لعلوم الإنسان، "Human Sciences" يعرف التداولية بوصفها تحليلاً للوقائع الملاحظة، وينظر إليها في علاقتها بسياقات وجودها الواقعية؛ إنّّه تحديد مبدأ علمي وإذا كان ينزع إلى تأسيس حقل وموضوع مفضّلين هو التّواصل (لأنّ كلّ شيء عند الإنسان تواصل) جامعا هوامش الاختصاصات الأكثر كلاسيكية فإنّه لا يقتصر عليها ومن ثمّة،

¹. أرمينكو فرانسواز، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، لبنان، بيروت، مركز الإنماء القومي، 1986، ص: 09.

². محمود أحمد نخلة، أفق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 52، وبلقندوز هوراي، التداوليات النصية ص: 15.

فإنّه لا يُمكننا أن نعتبر التداوليّة اختصاصاً بالمعنى المتعارف للفظ الاختصاص¹. نخلص من ذلك أنّ مصطلح التداوليّة له تصورات واهتمامات متشعبة ومفاهيم متنوّعة تبعاً لتنوع توجهات الدارسين، ومرجعياتهم المختلفة في العلوم الإنسانيّة على نحو يكاد يتّفق فيه الباحثون على أنّ حقل اهتمام التداوليّة على وجه الخصوص، يشمل نظريات الدرس التداولي. فالتداولية علم يهتم بعلاقة اللغة بمستعمليها، هدفه إرساء مبادئ للحوار، في علاقته الوثيقة مع المقام الذي ينتج فيه الكلام، و تخصص لساني يحدد موضوعه في المجال الاستعمالي، أو الإنجازي لما نتكلم به.

3- التداوليّة: النشأة والتطور:

إنّ التّعرض لنشأة النّظرية التّداوليّة ليس بالأمر الهين لاسيّما أنّها مدينة لعدد من التّيّارات الفلسفيّة ولطبيعتها التي تمسّ الواقع المعيش اليومي، أين توافقت تقريباً مع نشأة العلوم المعرفيّة "Cognitive Science" التي تولدت عن التّفكير في الذكاء الاصطناعي من مثل: علم النّفس، واللّسانيّات، وفلسفة العقل... والتي كانت ردّ فعل على تيار علم النّفس السلوكي عقب ظهوره في أمريكا منذ بداية القرن العشرين. ترجع البذور التّأسيسيّة الأولى لبرنامج العلوم المعرفيّة إلى ما قبل "الخمسينات وبالتّحديد مع مقالات "نوام تشومسكي" (سنة 1956) و"ميلر G.Miller" نيوال "A.Newelle و"سيمون H-simon". "وبخاصّة محاضرات "أوستين" بجامعة (هارفارد الأمريكيّة سنة 1955)².

¹. فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص: 19.

². محمود أحمد نخلة، مرجع سابق، ص: 47.

في ظلّ الاتجاه (الابستمولوجي) الذي سارت عليه العلوم المعرفية؛ نشأت التداولية عن برنامج بحث تجريديّ له قواعده ومفاهيمه الخاصة. والذي يميّز التداولية كونها عبارة عن مجموعة من النظريات والأفكار نشأت متفاوتة من حيث المنطلقات، ومتفقة في أنّها تدرس اللغة من خلال استعمالها ضمن سياق معيّن دون إهمالها المعنى وعلاقته بظروف الكلام فهي تهتمّ بالمخاطبين ومقاصدهم. "ومن الأسئلة المثيرة التي من شأنها أن ترسم حدود التداولية وتشرح وظيفتها في تناول الخطاب الأدبي الرّاهن من جهة، ودراسة اللغة أساسا من جهة ثانية؛ ماذا نضع حين نتكلّم؟ وماذا نقول بالضبط؟ ومع من نتكلّم؟"¹، فالتداولية إذن هي ملتقى أطراف عدّة نحو العلوم الاجتماعية والفلسفية والتربوية، والنقدية، والمعرفية حتى، ذلك ما يجسّد الطّابع الشمولي الذي تنزع إليه.

تُظهر بعض المداخل النظرية إلى أنّ بداية انطلاق التداولية كانت مع أبحاث فلاسفة اللغة المنتمين إلى مدرسة (أكسفورد البريطانية) مع غياب أيّ تمثّل إجرائي لمصطلح "تداولية"، وهم: "جون أوستين 1955". و"جون سيرل"، و"بول غرايس 1957"، ذلك ضمن دائرة اهتمامهم بدراسة فلسفة اللغة الطبيعية "Philosophy of Natural Language" أو العادية "ordinary" في مقابل اتجاه مدرسة اللغة الصورية، أو الشكلية "Formal Language" الذي يمثّله "كارناب Arnap"². فكانوا جميعا مهتمّين بطريقة توصيل معنى اللغة الإنسانيّة الطبيعيّة من خلال إبلاغ مرسل رسالة إلى مُستقبل يُفسّرها.

¹. أرمينكو فرانسواز، المقاربة التداولية، ص: 07.

². محمود أحمد نخلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 09، 10 وبلقندوز هوارى، التداوليات التصية، ص: 17.

الغالب أنّ الحديث عن نشأة التداولية يذهب بنا إلى "استحضار الاختلاف الحاصل في تحديد مفهومها، ودورها في الأخذ بأسباب التأسيس المعرفي. ذلك أنّ التداولية تهتمّ بإدماج السلوك اللغوي ضمن نظرية الفعل في نظر بعض الباحثين، ويرى بعضهم الآخر أنّ مهمّة التداولية تتوقّف على مدارس التواصل، أو بالأحرى التفاعل الإنساني الحي بكل أنواعه؛ في حين يرى بعضهم أنّها تُعالج أساساً استعمال العلامات في السياق ممّا دفع بـ "ماكس بليك Max Bleak" إلى تسميتها بالسياقية، وهو منظور أحد المؤسّسين الأوائل الباحث (السيميائي الأمريكيّ) "و. شارل موريس 1938" ¹. كما يدرك "أ. ماس U.Masse"، و"د. فندرليش D. Venderlich" في كتابهما الموسوم "Prachlichers Pragmaticsands" أربعة أصول في تكوين اللسانيّات التداولية:

- (السيميائيّات) المنطقية المرتبطة بنادي "Cercle De Vienne".
- (سيميائيّات) "شارل موريس" التي تفرّع عنها تيار أعيد التفكير فيه من خلال مكوّن العمل (Component work)، ويمثّله "جون كلوس G.Klaus".
- الذرائعية الأمريكية "Pragmatism" (تشارلز ساندرز بيرس) charles.Sanders.peice ².

أهمّ ما يلفت النظر أنّ ثمة فرق جوهريّ حول اختلاف الباحثين في تحديد مفهوم التداولية الذي يرجع بالدرجة الأولى إلى الاختلاف الحاصل في إدراك المعنى السياقي للمتكلّمين وتصوّره بوصفه المعطى الأساس الذي ما برح البحث التداولي يُراهن عليه تطبيقياً وتنظيراً؛ وعليه فإنّ حقيقة موضع ذلك المعطى في محور تكاد تتداخل فيه

¹. هواري بلقندوز، التداوليات النصية، ص: 17.

². الجليلي دلاش، مدخل إلى اللسانيّات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، تر: يجياتن، الجزائر بن عكنون ديوان المطبوعات الجامعية، ص: 4، 5.

التداوليات مع علم الدلالة أدى إلى جدل علمي بين الباحثين يُقودنا أساسا إلى الإيمان بنوعين من التداولية.

أ- التداولية التكاملية: "Integrated Pragmatics" في النظام اللساني، واشتهر تداول مصطلح التحليلات التداولية المنجزة مع أبحاث "أنسكومبر" و"ديكرو" انطلاقا من تصور نظرية دلالية اكتملت ضمن اللسانيات، لا سيما مع أطروحات الملفوظية، مهمتها دراسة المعنى غير الحرفي في مستوى الأفعال الكلامية¹. فهي متداخلة في النظام اللساني.

ب- التداولية الأصلية: "Radical Pragmatic" أي مستقلة عن النظام اللساني، وعن علم الدلالة على وجه الخصوص². غير أنّ الجدير بلفت الانتباه هنا، هو أنّ التداولية التكاملية لها جذورا معرفية واسعة، غايتها تبيان مفهوم الكفاءة اللسانية "Linguistic competence"، انطلاقا من أنّ الدلالات اللغوية تتأثر بشروط استخدام اللغة والتي بدأت بإسهامات "و.شارل موريس" في حقل (السيمياءات)، وصولا عند جهود المدرسة اللسانية الفرنسية التي حمل رايتها "ديكرو". في حين نجد النوع الثاني للتداولية، يهتم بدراسة الإنجاز اللغوي "Performance The linguistics"، والذي تعود مرجعيته إلى جهود نظرية "أوستين وسيرل" حول الأفعال الكلامية إلى غاية أبحاث الفيلسوف الأمريكي "يورغن هابرماس".

الحقيقة أنّه على الرغم مما أقرّه بعض اللسانيين والمصطلحيين، ظلّت التداولية طيلة عقود من الزمن لا تُغطّي أيّ بحث فعلي، ولم يعتدّ بها في الدرس اللغوي إلى أن

¹. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، الجزائر، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، دط، 2008، ص: 82.

².GF, Maingueneau les termes clés l'analyse de discours, Ed seuil paris:1996 , 65.:p

جاء العقد السادس من القرن العشرين، وبالضبط في (سنة 1955) عند ما ألقى "جون أوستين John Austin" محاضراته في جامعة (هارفارد) "William James Lecture" حيث استعرض أول مفهوم تداولي أهمه متمثلاً في نظرية الأفعال الكلامية الذي استوحاه من مجال فلسفي عام، هو تيار الفلسفة التحليلية¹؛ وبما أن "الفلسفة التحليلية"^{*} ينبوع المعرفي لأول مفهوم تداولي وهو "الأفعال الكلامية"، لا بد أن نرصد بنوع من الإيجاز ماهية هذا الاتجاه الفلسفي وخلفياته وقضاياها الكبرى التي استطاع من خلالها أن يُجسد لنفسه مكاناً يُؤهله لوضع اللبنة الأولى للدّرس التداولي المعاصر وأسسها المفاهيمية.

4- الفلسفة التحليلية: النشأة و التأسيس:

إنّ المنهج التحليلي الفلسفي في أحلى صوره هو تفتيت المركبات إلى الجزئيات البسيطة، ويتحقّق ذلك عن طريق حذف وإلغاء كلّ ما هو مرّكب رمزي^{*} في أيّ صياغة أو تعبير لغويّ؛ للتمكّن من الوصول إلى الدقّة في تحديد الأجزاء والعلاقات الكائنة في هذه الصياغات². إنّ هذا المجموع التصوري المنهجي يُؤدّي إلى تفادي التّركيبات (ذات

¹. محمود أحمد نخلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 09.

^{*}. الفلسفة التحليلية، نسق حديث يشكّل أرضية معرفيّة فلسفيّة لنشوء آخر نظرية لسانية وهي نظرية النحو الوظيفي وينطلق من مسلمة أنّ فهم الإنسان لذاته ولعالمه يرتكز في المقام الأول على اللغة، فهي التي تُعبر عن هذا الفهم، ومن أبرز التيارات التي أطرت تصور المدرسة التحليلية، الوضعانية المنطقية، وفلسفة اللغة العادية والظاهراتية اللغوية، ينظر: مهراّن رشوان : فلسفة اللغة العادية، ص: 28.

^{*}. الرموز المركبة : هي كلّ رمز لا يدلّ على شيء جزئي، بل يدلّ على الدلالات العامة التي لا تنطوي على الدّمة، وبالتالي تنفي نوع من الغموض والالتباس حول القضايا الفلسفية واللغوية، ينظر: مهراّن رشوان، دراسات في فلسفة اللغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص: 37.

مهراّن رشوان: المرجع السابق: ص: 36، 37.²

المظهر الرمزي الغامض)، محققا التواصل إلى حدود تعابير أخرى أكثر وضوحاً ولموسية، تَضَعُنا بدورها أمام عناصر جديدة ذات طبيعة معرفية مباشرة .

كان مجيء هذا المنهج الفلسفي بمثابة ثورة فلسفية أخذت على أعناقها توجيه الفكر الإنجليزي إلى بوتقته الأصلية المتمثلة في الاتجاه التجريبي¹. الذي يقوم على التفاضل مع القضايا والإشكاليات في إطار تجريب كل ما هو جزئي مباشر، وخير دليل على ذلك المقال الذي ثار فيه على الهيكلية والمثالية الجديدة². التي كانت سائدة آنذاك ورأت أنّ العالم كلّ فريد لا ينقسم إلى اجراء ي حسيه ، واي حاوه سجره نسويه زائف ولا يوجد حقاً سوى الواقع ككلّ وهو ما يسمّى مطلق.

ظهر الاتجاه بمفهومه العلمي الصّارم بزعامة الفيلسوف الألماني "غوتلوب فريجه" (Gottlobfrege) (1848-1925) في العقد الثاني من القرن العشرين في "فيينا بالنمسا" في كتابه: "أسس علم الحساب" الذي أجرى فيه بعض التحليلات اللغوية من مثل: تمييزه بين مقولتين لغويتين هما: اسم العلم، واسم المحمول اللذان يعدان عماد القضية الحملية، حيث بين أنّ المحمول يقوم بوظيفة التصور⁴، أي إسناد مجموعة من الخصائص الوصفية الوظيفية إلى اسم العلم في حين يشير اسم العلم إلى فرد معين، أو بعبارة أخرى فإنّ الوظيفة الأساسية لاسم العلم إشارته "إلى فرد معين في مقابل الوظيفة الأساسية للمحمول، وتعني الدلالة مجموع الخصائص، أو بعضها التي أفرزت - إن صحّ

¹. المرجع نفسه ص: 23، 24 .

². المرجع نفسه ص: 28.

³. فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، دار النهضة ، بيروت، 1985، ص: 44، 45.

⁴. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 27، 28.

التعبير - بزُبَيْقِيَّة المعنى عند بحثها عن طبيعة هذا الأخير في كلام الرَّجُل¹. تلك حقيقة يجب أن لا يغفلها كلٌّ من يروم الخوض في دراسة التراث، ومفادها أنه ميّز بين المعنى والمرجع أيضا، وذلك التجديد اللغوي في الفلسفة ينم عن رؤيته الدلالية، وهكذا أحدث قطعة بين الفلسفة القديمة، والفلسفة الحديثة.

من أهمّ الرواد الفلاسفة الذين كان لهم دور طلائعي في خلق هذه الثورة الفلسفية المناهضة للمثالية وتطويرها: "جورج ادوارمو * Ge.Moore" و"برتراند راسل B.Russell" و"لود فيج فتغنشتاين^{2**} L.Wittgmstein".

هذا الأخير كان له الدور الفعّال في انبثاق الآلية المهمة في النظرية التداولية، وهي ظاهرة الأفعال الكلامية، أي أنّ هذه النظرية كما يقول: "فان ديك" Vandjick تكاد تستلهم وجودها من المنطق، إذ تُستنبط أساسا من فلسفة اللغة العادية ونظرية أفعال الكلام بوجه خاص؛ أين اتخذت الفلسفة التحليلية اللغة موضوعا للدراسة

¹. مسعود صحراوي، (مرجع سابق)، ص: 29.

*. جورج ادوارمو Ge.Moore: فيلسوف انجليزي (1873.1958) كان صديقا لراسل وفتغنشتاين، وشارك في تأسيس الحركة التحليلية إضافة إلى دوره الطلائعي في تحديد الواقعية في بلده إنجلترا، لكنه يريز تحت وطأة المثالية الهيكلية له عدة أعمال فلسفية مهمة مثل: "دفاع عن الحس المشترك" و"مبادئ الأخلاق": مهراّن رشوان، دراسات في فلسفة اللغة ص: 28 وما بعدها.

** برتراند راسل B.Russell: (1872،1970) فيلسوف من رواد الفلسفة التحليلية، لم يكن فيلسوفا فحسب بل كان رياضيا، منطقيا وسياسيا وأديبا ورجل تربية وإصلاح، ثار على الفلسفة المثالية مستخدما المنهج التحليلي الجديد، تتمثل مساهماته الأساسية في محاولته الجمع بين المنهج التجريبي والعقلي من جهة وكذلك محاولته تزويد الفلسفة بالمنهج العلمي، من كتبه "أصول الرياضيات" و"برنكيا ماتيماتيكاً"، المرجع السابق ص: 32، وما بعدها.

* * *. لودفيج فتغنشتاين L.Wittgmstein: منطقي نمساوي تحصل على الجنسية البريطانية (1889،1951)، أستاذ الفلسفة في كمبريدج، بحث في أسس الرياضيات، وبداية من سنة 1903 اتجه إلى دراسة اللغات الطبيعية، وضع نظرية لعبة اللغة (jeu de langage)، من مصنفاته "Philosophical investigation"، ينظر المرجع نفسه، ص: 38 وما بعدها.

². فان دايك، (مرجع سابق)، ص: 31، 32.

باعتبارها الأداة المعرفية التي تستطيع بواسطتها فهم الكون فهما صحيحا، ضاربة بذلك ما جاءت به الفلسفة الكلاسيكية خاصة مبدأ اللغات الطبيعية الذي لم تلتفت إليه هذه الأخيرة، ولم تُلْه ما يستحق من الدراسة والبحث، ونفس المبدأ الذي اهتمت به الفلسفة التحليلية يُعدّ من صميم البحث التداولي، فهي بذلك فلسفة تقوم على ثلاثة مبادئ¹:

- ضرورة التخلي عن أسلوب البحث الفلسفي القديم خصوصا جانبه (الميتافيزيقي).
- تغيير بؤرة الاهتمام الفلسفي من موضوع "نظرية المعرفة" إلى موضوع التحليل اللغوي.
- تحديد بعض المباحث اللغوية وتعميقها، لاسيما مبحث الدلالة والظواهر اللغوية المتفرعة عنه.

أما بالنسبة لأهم المرتكزات والدعائم التي اعتمدها حركة التحليل وهي تتعامل مع الظواهر اللغوية والقضايا الفلسفية، فيمكن إجمالها حسب " شوليموفسكي Sholimowisk " فيما يأتي²:

* الاعتماد على دور اللغة، واعتبارها دعامة أساسية في التفكير الفلسفي.

* تفتيت المشكلات الفلسفية إلى أجزاء صغيرة لمعالجتها جزءا جزءا.

* خاصيتها المعرفية.

* المعالجة المشتركة بين الذات أو (البين الذاتية) Inter-subjective treatment لعملية التحليل.

الملاحظ على هذه الرؤى النقدية المعاصرة، أنّ الكثير من الفلسفات والأنساق الفلسفية تنهض على هذه المقومات والمرتكزات، ولكن المظهر الكفيل بزرع

¹ محمد مهران رشوان، دراسات في فلسفة اللغة، ص: 13، 14.

² المرجع نفسه: ص 14.

الحدّ الفارق بينها وبين الأنواع الفلسفيّة الأخرى اجتماعها معاً في آن واحد داخل إطار الفلسفة التحليليّة.

انطلاقاً من اختلاف وجهات النّظر بين الفلاسفة التحليليين، والأسس المعرفيّة المتّبعة فقد انقسمت الفلسفة التحليليّة إلى ثلاثة اتجاهات كبرى¹:

1-الوضعيّة المنطقيّة " Logical positivism " : بزعامة (رودولف كارناب Rudolph Carnap)
(Garnap)

2-الظاهرية اللّغويّة " Phenomenology of Language: " بزعامة (إدموند هوسرل Edmond Husserl)

3-فلسفة اللّغة العاديّة: " Philosophy of ordinary language " بزعامة (فيتغنشتاين)
مثّل الاتجاه الأخير المحضن الفكري لنشوء الفلسفة الأوستينية في اللّغة، حيث انبثقت منها ظاهرة الأفعال الكلامية²، التي تعتبر أهمّ محاور الدرس التداولي المعاصر، بحكم أنّها ظاهرة استمراريّة وتطوير لنظريّة الألعاب اللّغوية التي أسّسها الفيلسوف (فيتغنشتاين)*.

¹. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 31، 32.

خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص: 50.²

*. يؤثر الكثير من الباحثين استخدام عبارة فيتغنشتاين الأول والثاني، للتفريق بين مشروعه الأول والثاني، فإذا كان فيتغنشتاين الأول يقول أنّ مهمّة الفيلسوف ليست إقامة نظريات فلسفية وإنما مجردة توضيح منطقي للأفكار أو تحليل منطقي للقضايا ومن القضايا ما لا يصور الواقع مثل قضايا الرياضيات والمنطق وهذه القضايا " تحصيلات حاصل" ومن القضايا ما يصور الواقع وهي قضايا الحياة اليومية، وكانت مهمة الفيلسوف عنده في هذه المرحلة تحليل هذين النوعين من القضايا. أما الثاني: رفض هذه المهمة واستبدالها في مهمة جديدة تكمن في المعالج النسبية وذلك بعادة الفلاسفة إلى اللغة العادية و تركم أي محاولة لإقامة لغة مثالية أو استخدام مصطلحات اخترعها الفلاسفة. دلاش الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص: 18 وما بعدها.

إنّ نظريّة ألعاب اللّغة حسب (فتغنشتاين) تنظر إلى الكلمة بوصفها إنتاج لعدّة معان وتأتي الإنتاجات المختلفة وفقاً لاستخدامها المتغيّر لها في الحياة اليوميّة باعتبار السياق التي ترد فيه، وبالتالي حطّم (فتغنشتاين) تلك الرّؤية التي كانت تعتبر أنّ اللّغة تخضع لحسابات منطقيّة دقيقة والتي لطالما اعتبرت أنّ لكلّ كلمة في اللّغة معنى واحداً محدداً¹، وعليه فإنّ أيّة محاولة لفهم لفظ معيّن مرهون بإدراك وفهم استعماله الفعلية على الواقع، وكيفيات صياغته في سياقات مختلفة.

يبدو أنّ "فتغنشتاين" من خلال نظريته "ألعاب اللّغة" خرق القواعد التي تضع الحدود والحوافر بين النشاط اللّغوي، والحياة اليوميّة الاجتماعية التي تمارس فيها عمليّة التّواصل "فقد جعل من اللّغة مجموعة كلمات حاملة لعدّة معان تظهر من خلال استخداماتنا المتعدّدة وفق سياقات محدّدة ترد فيها"²، وذلك التّصور يُفضي بنا إلى نظرة أكثر إنسانيّة يقول: "يمكننا اعتبار اللّغة مدنيّة قديمة: متاهة من الأزقة، والسّاحات، والمنازل القديمة، والجديدة التي بها إضافات من أحقاب مختلفة، وكلّ هذا مُحاط بسلسلة من الضّواحي ذوات أزقة مستوية ومنتظمة بها منازل مُوحّدة الشّكل"³. أجاد "فتغنشتاين" في دراسته؛ فجعل اللّغة المادّة الأساسيّة في فلسفته واعتبرها المفتاح السّحري الذي يفتح مغاليق الفلسفة، ذلك أنّه كان يعتقد أنّ الخلافات، والتناقضات المنتشرة بين الفلاسفة سببها الأساسيّ سوء فهمهم اللّغة، أو إهمالهم إيّاها فراح يطرّور فلسفته الجديدة التي تُوصي بمراعاة الجانب الاستعماليّ في اللّغة، ففهم اللفظ وإدراك

¹. محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللّغة، لبنان، بيروت، دار النهضة العربية، دط، 1985، ص: 57.

². المرجع نفسه: ص: 57.

³. الجليلي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص: 21.

معناه مرهون بإدراك استعمالاته الفعلية، واستيعاب السياق الذي ورد فيه؛ إذن: الممارسة والاستعمال هما اللذان يكسبان تعليم اللغة واستخدامها، وتعدّ دعوة صريحة إلى التحوّل من النموذج البنيويّ إلى النموذج التداوليّ الاستعماليّ للغة، وعليه يمكن القول: "لابدّ من تحديد الطريقة التي يتمّ بها استخدام لغتنا في الواقع والكيفية التي يتمّ بها من أجل حلّ تلك المشكلات الفلسفيّة، لأنّ وظيفة اللغة الأساسيّة المحوريّة التّواصل كما هو معلوم بديهي إلى جانب التفاهم مع الآخرين، والتأثير فيهم"¹. فهي بذلك - اللغة - تُمثّل الحجر الأساس في تعاملها مع الفلسفة التحليلية ومحور تواصل.

بناءً على ما تقدّم فإنّ ظاهرة الأفعال الكلاميّة نشأت في مناخ فكري عامّ ميزته أنّه وليّ ظهره ل(الميتافيزيقيا)، وانفتح على اللغة دراسةً وفهماً وتوضيحاً، فأسهمت إسهاماً معمّقاً في دراسة ظواهر لغويّة ودلاليّة، وتداوليّة كانت مهمّشة، بالإضافة إلى هذا، فإنّ للمفاهيم التداوليّة الأخرى أصولها المعرفيّة الخاصّة ومنابعها الفكرية التي أخرجتها إلى الوجود وأعطتها شرعيّة الحياة.

5- نظريات الدرس التداولي:

أحجم جُلّ الدارسين عن إعطاء هذا التخصّص تحديداً معيّنًا، ذلك أنّه لا يستمدّ تسويغه إلّا من خلال استخداماته، فضلا عن كونه يزجّ الباحث في إطار ضيق، كما أنّ تعدّد توجّهات اللسانيّات التداوليّة حال دون إعطاء تحديد معين لمفاهيمها، غير أنّه -انطلاقاً من مفهومها- استطاع الباحثون أن يتناولوا بعض مفاهيمها، فهي لسانيّات الحوار والأفعال الكلاميّة، والعلم الذي يتناول اللغة بوصفها ظاهرة خطائيّة

¹. الجليلي دلاش، (مرجع سابق)، ص: 35.

واجتماعية وتبليغية¹؛ ونصدق القول هنا إننا سنتناول بعض مفاهيم التداولية بشيء من الشرح على سبيل المثال لا الحصر من الأفعال الكلامية، والافتراض المسبق، والاستلزام الحواري، والإشارات.

5-1- الأفعال الكلامية " Language Acts ":

انطلاقاً من مفهوم التداولية المبني على أساس أنّها نظرية تبحث في علاقة العلامة بمستعملها، والتركيز على السياق العرفي المؤسّساتي*، متجاوزة بذلك استعمال اللغة إلى الإنجاز، فإنّ الحديث عن التداولية يحيل مباشرة إلى الحديث عن أفعال الكلام لأنّها تعكس لنا الجانب المادي للأعمال التداولية .

جاءت نظرية الأفعال الكلامية للفيلسوف (الإنجليزي جون أوستين) لتجسد موقفاً مضاداً للاتجاه السائد بين فلاسفة (الوضعية المنطقية) " Logical positivism " الذين دأبوا يعتبرون أنّ للغة وظيفة واحدة تنحصر في رسم وقائع العالم " State Of Affairs " ووصفها وصفاً يكون إما صادقاً، أو كاذباً حيث أطلق (أوستين) بالمغالطة الوصفية " Pallacy Descriptive "². حيث ركّز على الجانب المفهومي للغة، هذا يعني أنّ اللغة عنده لديها وظائف متعدّدة ممّا يسمح لها بممارسة نشاطها ضمن الأفعال الكلامية.

¹ الجليلي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص: 43.

*. يعتبر مفهوم السياق المؤسّساتي النواة المركزية لهذه النظرية، ولكنه ظل مفهوماً غائباً في نظر الكثير من الدارسين الذين لا يعرفون إلى أي مدى يعتبر قول الفعل، أو فعل قوة التلفظ مسألة عرفية وهل هي قصدية أو أنّها مرتبطة بإحداث أثر ما، ولهذا السبب طرح أوستين في كتابه: "كيف ننجز الأشياء بالكلمات" قائلاً: "إنّ من الصعب أن تحدد أين يبدأ العرف وأين ينتهي".

² محمود أحمد نخلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 34.

كما يُعدّ-الفعل الكلامي- نشاطا مادّيًا، نحويًا يتوسّل بأفعال قولية "Lecutoires Acts" إلى تحقيق أغراض إنجازية "Illocutory Acts" كالطلب والأمر، والوعد والوعيد... وغايات تأثيرية "Perlocutory Acts" تخصّ ردود فعل المتلقّي كالرفض والقبول، ومن ثمّ فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريًا¹، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعيًا أو مؤسّساتيًا، ومن ثمّ إنجاز شيء ما. ووضع "أوستين" ذلك عندما قسّم الفعل الكلامي إلى ثلاثة أقسام²:

***فعل القول** "Elocutionary Act": يُراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة؛ بمعنى أنّ فعل التلقّظ بتلك الأصوات التي يخرجها المتكلّم والتي تمثّل قولاً ذات معنى معيّن.

***الفعل المتضمّن في القول** "Illocutionary act": يعني الفعل الإنجازي الحقيقي، إذ أنّه عمل يُنجز بقول ما، وهذا الصنف من الأفعال الكلامية المقصود من النظرية برمتها.

***الفعل الناتج عن القول** "Perlocutionary act": يُقصد به الأثر الذي يُحدثه الفعل الإنجازي في السامع، أي مجموع المقاصد التي يحملها المتكلّم في بنية لغوية من الكلمات، وفي سياق معيّن لإحداث أثر لدى المتلقّي كالإقناع والتأثير، وتتلخّص فكرته في أنّ وظيفة اللغة استعمال مجموعة من الأفعال اللغوية وإنجازها، وبذلك تصير الوحدة اللغوية الصغرى المعتمدة في التّواصل الفعليّ بدل الجملة.

¹. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 54، 55.

². المرجع نفسه ص: 56، 57.

5-2- الافتراض المسبق " Presupposition "

ينطلق المتحدثون عند كلِّ عمليّة من عمليّات التّبلغ من افتراضات مسبقّة معترف بها افتراضات لا يُصرّح بها المتكلّمون؛ لأنّها تُشكّل خلفيّة التّبلغ لنجاح العمليّة التّواصلية¹؛ فقولنا "أغلق النّافذة"، "لا تغلق النّافذة" يفترض سلفاً أن نُسلّم بصحّة أنّ النّافذة مفتوحة، وأنّ ثمة مسوّغ يدفعنا لإغلاقها، وأنّ المخاطب في منزلة الأمر قادر على الحركة؛ وكلّ ذلك مرتبط بسّياق الحال وعلاقة المتكلّم بالمخاطب.

على هذا الأساس ميّز الباحثون بين نوعين من الافتراضات المسبقّة²: الافتراضات المسبقّة الدّلالية التي تخضع لمعيار الصّدق بين قضيتين: فإذا كانت القضية (س) صادقة مثلاً استلزم صدق القضية (ص)، فمثلاً قولنا: "إنّ المرأة التي تزوّجها (عمرو) كانت مطلّقة"، وكان القول صادقاً ومطابقاً للواقع، لزم صدق القول الآخر، وهو: "(عمرو) تزوّج مطلّقة". أمّا الافتراضات المسبقّة للتداوليّة، فهي غير مشروطة بقضيّة الصّدق والكذب، فإذا قلت مثلاً: "جهاز الحاسوب لديّ غني بالمعلومات"، ثم قلت: "جهازني غير غني"؛ فعلى الرّغم من التّناقض الحاصل بين القولين فإنّ الافتراض السّابق هو "أنّ لي جهاز حاسوب" لا يزال قولاً قائماً صحيحاً؛ وعليه يمكن القول إنّ الافتراض المسبق يؤدّي دوراً مهمّاً في عمليّة التّواصل، وهي محتواة ضمن السّياقات والبنى التّركيبية العامّة في أيّ عمليّة إنتاجيّة للكلام، تقول "أركيوني Orecchioni": "تلك المعلومات التي لم يفصح عنها، فإنّها- وبطريقة آليّة - مدرجة في القول الذي يتضمنها أصلاً بغضّ

¹.Oswald Ducrot , le dire et le dit, Edition de minuit ,1984,p :33,43.

². الجليلي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص: 34، 35.

النظر عن خصوصيته"¹. فنجاحها يتعلّق بوجود خلفيّة من الافتراضات المسبقة، في حين يُؤدّي الافتقار إلى مجموع الافتراضات المسبقة الضّرورية لعملية التبليغ إلى سوء التفاهم .
 مهما يكن من الأمر؛ فإنّ الافتراض المسبق إجراء معرفي تواصلية، ينطلق فيه المتخاطبون على أساس معطيات وافتراضات مسبقة أملا في تحقيق النّجاح للعملية التّخاطبية؛ ومّا تجدر الإشارة إليه أنّ مفهوم الافتراض المسبق لم ينل حقّه نيلا مستقلاً في الدّرس اللّغوي العربي.

3-5- الاستلزام الحواريّ " Conversational Involvement " تُعدّ نظريّة الاستلزام الحواريّ من أهمّ النظريّات التي سعت إلى العمل من أجل الوصول إلى تحديد مقصدية المتكلّم وتأويل المعنى تأويلا صحيحا، وإبعاد اللبس عن الطرف الثّاني (المستمع أو المتلقّي) أسّس له " بول غرايس p. grice . أحد المنظرين للتداولية، ومن فلاسفة (أوكسفورد) المتخصّصين في دراسة اللّغات الطّبيعية " Natural Language"، تتجلى قيمته في إيضاح الاختلاف بين ما يُقال "Entre Ce Qui Est Dit"، وما يُقصد " Ce Qui Est Implicite" فما يُقال ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية، وما يُقصد ما يُريد المتكلّم تبليغه المخاطب بطريقة غير مباشرة²، على أساس أن السّامع قادر على الوصول إلى مراد المتكلّم بما يسمح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال.

¹. ذهيبية همو الحاج، لسانيات التلفظ، وتداولية الخطاب، الجزائر، جامعة تيزي وزو، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، منشورات مخبر تحليل الخطاب، 2005، ص: 124.

². محمود أحمد نخلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 32، 33.

مثّلت الآراء الداعية إلى ضرورة توسيع مجال الدراسة اللغوية وتعميقه بحجج قويّة مقنعة مهّدت للتفريق بين ما تحمله الجملة من معنى متضمّن، وبين المعنى الصّريح؛ فنشأت عنده فكرة الاستلزام الحواريّ وهو على نوعين¹: استلزام عرفي، واستلزام حواري. ***الاستلزام العرفي** "Conventional implicated": قائم على "ما تعارف عليه أصحاب اللّغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تنفكّ عنها مهما اختلفت بها السياقات وتغيّرت التراكيب"²؛ فما يعنيه المتكلّم وما يقصده واحد لا يتغيّر، وإن تغيّرت السياقات والظروف المحيطة بالعملية التلقّظيّة.

***الاستلزام الحواري** "Conversational Involvement": مفهوم لسانيّ تداولي، "متغيّر دائما بتغيّر السياقات التي يرد فيها"³؛ فقد يفهم المستمع ما يقصده المتكلّم، كما قد لا يتوصّل إلى ما يعنيه الباثّ لعدم الإلمام الشامل بملابسات الخطاب والأسس التي تُنظّم العلاقات الحواريّة بين المتكلّمين.

نجد ظاهرة الاستلزام الحواريّ قريبة ممّا ورد في المؤلّفات اللغويّة العربيّة القديمة، كما الحال في مفتاح العلوم لـ (السكّاكي) الذي يلتقي معه (غرايس) مثلا فيما يُسمّيه البلاغيّون بإجراء المعنى على الأصل. من هنا بلور (غرايس) في بحثه الموسوم بـ: (المنطق، والمحادثّة، سنة 1970) مبدأ اعتبره متحكّما في المحادثّة أسماه مبدأ التّعاون بين المتكلّم والمخاطب، ويشتمل على أربع مسلّمات أساسيّة يتعيّن على المشاركين في المحادثّة احترامها وحسن توظيفها، تضمّ كلُّ مسلّمة عددا من المبادئ الفرعيّة⁴:

1. محمود أحمد نخلة، (المرجع السابق)، ص: 33.

2. محمود أحمد نخلة، (مرجع سابق)، ص: 33.

3. محمود أحمد نخلة، (مرجع سابق)، ص: 33.

4. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 46.

1 - مسلّمة الكيف "Quality": مفادها أن لا تقول ما تعتقد أنه خطأ، ولا تتحدث عن شيء لا تملك بشأنه دليلاً كافياً.

2- مسلّمة الكمّ "Quantity": أن تجعل مساهمتك في الحوار بالقدر المطلوب دون زيادة أو نقصان.

3- مسلّمة الملاءمة "Relevance": عبارة عن قاعدة واحدة متمثلة في أن تجعل كلامك مناسباً للموضوع.

4- مسلّمة الجهة¹ "Modalities": تنصّ على الوضوح في الكلام، وتتفرّع إلى ثلاث قواعد فرعية:

➤ تجنّب اللبس.

➤ تحرّ الإيجاز.

➤ تحرّ الترتيب.

بهذه المبادئ يتحقّق التعاون بين المتكلّم والمخاطب وصولاً إلى حوار مُثمر بنّاء، وأيّ خرق لقاعدة من قواعد التعاون الحوارية الرئيسة كفيل من وجهة (غرايس) أن يُؤدّي إلى ما يُعرف بظاهرة الاستلزام الحوارية.

المسألة أنّ نظرية الاستلزام الحوارية عند (غرايس) تُبنى على أساس مبدأ التعاون* وقواعده الأربعة، وتفرعاته التي تُهدف بالأساس إلى إيجاد الطّريقة والوسيلة

¹. مسعود صحراوي، (مرجع سابق)، ص: 46.

*. يعرف بول غرايس مبدأ التعاون على النحو الآتي: "أن تجعل مساهمتك في المحادثة كما هو مرجو منك من حيث اختيار التوقيت المناسب، وأن تكون تلك المساهمة متماشية مع الهدف والتوجه المسلّم بهما للتبادل الخطابي الذي تقع ضمنه"، ج.ب. براون، و.ج. يول: تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق: محمد لطفي الزليطي، منير التركي، دار النشر والمطابع، الرياض 1997، ص: 40.

الفعالة التي يستطيع بها طرفي العملية التواصلية إيصال المعاني المقصودة، وإدراكها من لدن المتلقي، أو المستمع من خلال العبارات المستعملة أثناء العملية التخاطبية بُغية الإفادة والتبليغ، الأمر الذي حدا ببعض الباحثين إلى إعادة النظر في المبدأ وذلك بإرساء بعض القواعد الإجرائية والتنظيرية .

5-4- الإشاريات "Dialectic":

يعتبر أهل التداولية الإشاريات أحد الأقطاب المهمة في البحث التداولي، إذ تُعدّ من الوحدات اللغوية التي تستدعي معلومات سياقية أكثر من غيرها ليتيسر فهمها ولا يُمكن تفسيرها بمعزل عنه، لذلك فقد كان العرب يطلقون عليها المبهمات¹؛ وتتمثل الإشاريات في: أسماء الإشارة والضمائر، وأسماء الموصول وظروف الزمان، والمكان، ويُعدّ (السيميائي) "بيرس" أول من أرسى معالمها².

للإشاريات في الدراسة اللغوية أهمية بالغة عند عدد من الباحثين أمثال "هانسون" و"بارهيل" و"بول كوشي" الذين أدمجوها ضمن تداولية الدرجة الأولى المتمثلة في النظرية التلفظية³، وتقوم على دراسة عناصر إنتاج الخطاب اللغوي التي يجعلها الدارسون خمسة أنواع، ولكلّ نوع دوره في الكلام⁴.

1- الإشاريات الشخصية "Personal Dialectic".

المخاطب وضمير الغائب، شريطة أن لا يعرف مرجعه من السياق اللغوي.

¹ . محمود أحمد نخلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 15،16.

² . محمود أحمد نخلة، (مرجع سابق)، ص: 16.

³ . فراستواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص: 41،42.

⁴ . محمود أحمد نخلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 17. وما بعدها

- 2- الإشاريات الزمانية " Temporal Dialectic ": تعني جُلّ الكلمات الدالة على الزمان الذي يُحدّد السياق بالقياس إلى زمان التّكلم الذي يعتبر مركز الإشارة الزمانية في الكلام، ويُساهم في إدراك السّامع أو القارئ لمعنى تلك الإشاريات.
- 3- الإشاريات المكانية " Spatial Dialectic ": تشمل جميع أسماء الإشارة وظروف المكان، ولا يتمّ تحديد المكان الذي تدلّ عليه إلاّ بمعرفة موقع المتكلم واتّجاهه.
- 4- الإشاريات الاجتماعية " Social Dialectic ": تتضمن ألفاظا وتراكيبا تُحيلنا إلى بيان العلاقات الاجتماعية بين المتكلم والمخاطب كصيغ الألقاب والتبجيل، أو ما يُعرف بالعلاقات الرسمية، وهذه الإشاريات مشتركة بين التداولية وعلم اللّغة الاجتماعي.
- 5- إشاريات الخطاب " Discourse Dialectic ": تتمثّل في العبارات التي تذكر في النّصّ مشيرة إلى موقف خاصّ بالمتكلم مثل: مهما يكن من آخر، بل فعلا عن ذلك...، كما أنّها تستعير إشاريات زمنية، ومكانية كقولنا: "الفصل الماضي من الكتاب، الرّأي السّابق أو هذا النّصّ، أو تلك القصّة، ولذلك أسقطها بعض الباحثين من هذا الصّنف (الإشاريات)¹. للإشاريات وظيفة مهمّة تكمن في مساعدة المتلقّي على معالجة المفوضات وتأويلها تأويلا صحيحا، أي بواسطتها يستطيع الوصول إلى التّفسير الصّحيح على أساس أنّ الكثير من "ألفاظ اللّغة ما لا يُفسر إلاّ بمعرفة السّياق الماديّ للمتكلم"²؛ كما تظهر الأهميّة البالغة للإشاريات من خلال الحكم على تماسك الخطاب من عدمه، وفي إدراك المتلقّي معنى الخطاب حتّى يغدو كُتلة مُتراصّة لا تقبل الانقسام، والتّجزئة .

¹. محمود أحمد نخلة (مرجع سابق)، ص: 25، 26.

². جورج بول، معرفة اللّغة، تر: محمد فراج عبد الحافظ: مصر، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ص: 137.

5-5- نظرية الملاءمة "Theory de la pertinence": تُعدّ نظرية الملاءمة* نظرية تداولية معرفية، أرسى معالمها الباحث الفرنسي "دان سبربر D.sperber"، والبريطاني "ديدر ولسن D.wilson"¹. تهتمّ بمقولة المقام حيث تقوم بتفسير الظواهر الكلامية وسماتها البنيوية في طبقاتها المقامية، فقد "استفادت النظرية القالبية خاصة فيما يتعلق برصد وقائع الحياة الذهنية وتفسير طرق المعالجة الإخبارية"². فاشتغال العقل البشري - كما يرى "فودرو*" - عمل ممنهج ذو طبيعة منظّمة، إذ يتمّ فيه معالجة المعلومة الصادرة من المتكلم عبر مراحل متلاحقة: مرحلة اللواقط، ومرحلة الأنظمة الدّخل، والأنظمة المركزية .

أهمّ ميزة تميّزت بها نظرية الملاءمة تصوورها الخاصّ لمفهوم السياق، فهي تنظر إليه على أنّه "شيء غير معطى إعطاء نهائياً، أو محدّد قبل عملية الفهم، وإثما يُبنى تبعاً لتوالي الأقوال"³. أي لا وجود للسياق قبل العملية الحوارية المتكوّنة من مُتحدّث، ومُتلقي يُحاول تأويل هذه الأقوال تأويلاً صحيحاً، كما تُعدّ في الوقت نفسه - نظرية الملاءمة - نظرية إدراكية لأنّها تنتمي إلى العلوم المعرفية الإدراكية. إذ يتألف السياق من زمرة من

*. تعدّ نظرية الملاءمة نظرية إدراكية لاستفادتها من علم النفس المعرفي، خاصة النظرية القالبية، modularité لفودور: ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 37.

¹. مسعود صحراوي، (مرجع سابق)، ص: 49.

². مسعود صحراوي، (مرجع سابق)، ص: 50.

*. جيرري فودور Jerry Afodor: فيلسوف وعالم نفس أمريكي، (ولد سنة 1935)، باحث في مخبر متخصص: في الالكترونيات، يدرس الفلسفة وعلم النفس منذ سنة 1963 في معهد ساشوتس للتكنولوجيا Mit من الذين أوجدوا مفهوم المنظومية الذي كان شائعاً في الدراسات اللسانية النفسية، وقد أعطاه صيغة جديدة في كتابه Of Mind Modularity (83) ينظر آن روبول. جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص: 245، 246.

³. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 52.

"الافتراضات السياقية" تستمدّ من مصادر ثلاثة تتمثّل في¹: تأويل الأقوال السابقة والمحيط الفيزيائي، وذاكرة النظام المركزي.

في ضوء ما سبق تقديمه تبين لنا أنّ التداولية تنطوي على قدر هائل من المحاور والمفاهيم، ولا ندعي أنّنا تعرّضنا في السطور السابقة إلى كلّ صغيرة وكبيرة تعلّقت بجوانب الدرس اللغوي المعاصر، بل هناك الكثير من النظريات والمفاهيم التي حضنتها التداولية وتبنّتها باليسير وفقا في تعاملها مع اللغة كالتنظيرية التلفظية، والنظرية الحجاجية؛ ويعود ذلك إلى طبيعة البحث وحدوده التي فرضت علينا التّعرّض للجزء اليسير من جوانب الدرس التداولي.

¹. مسعود صحراوي، مرجع سابق، ص: 52، 53.

الفصل الأول

الإطار النظري للأفعال الكلامية

المبحث الأول:

الأفعال الكلامية في الدراسات العربية

المبحث الثاني:

الأفعال الكلامية في الدراسات الغربية

المبحث الأول:

الأفعال الكلامية في الدراسات العربية

1- الخبر

2- الإنشاء

تمهيد:

اهتمت الدراسات اللغوية في التراث اللساني العربي ببعض الجوانب التي تُعدّ اليوم من أهمّ الأسس التي تأسست عليها اللسانيات التداولية، بحيث اشتغل العرب القدامى بدراسة كلّ ما له صلة بالتواصل اللغوي من حيث الاهتمام بالسّامع، واعتبار المخاطب وبيان دور المتكلم في إنتاج الخطاب، وقد عُني هؤلاء بمعيار الصدق والكذب، ومطابقة الكلام لمقتضى الظاهر أو مخالفته له¹. تعددت أشكال الاهتمام بظاهرة الأفعال الكلامية في التراث العربيّ اللساني، فأدرجت في مباحث علم المعاني، وتحديدًا ضمن نظرية الخبر والإنشاء وما يتعلّق بها من قضايا وفروع، وتطبيقات.

كانت ظاهرة الخبر والإنشاء في التراث العربيّ حقلاً مشتركاً بين تخصصات علمية متعدّدة، فقد اشتغل ببحثها الفلاسفة والبلاغيّون والنحاة والأصوليون على اختلاف مذاهبهم، واتّجاهاتهم الفكرية أمثال: "سيبويه (ت180هـ)" و"القاضي عبد الجبار (ت415هـ)" و"أبو علي ابن سينا (ت428هـ)" و"عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)" و"أبو يعقوب السكاكي (ت626هـ)"... وغيرهم. هؤلاء العلماء - وإن تعددت تخصصاتهم العلميّة، وتباينت آراؤهم في كثير من أصول الظاهرة أو فروعها، أو تطبيقاتها - فإنّهم يلتقون على صعيد إجرائيّ مهمّ ولاسيّما المتأخّرين منهم، وهو أنّهم توغّلوا في استعمال أدوات التحليل المنطقية، وهي على قدر كبير من الدقّة والتّحديد حتى صار من المستعصي على من لم يتمرّس بتلك الأدوات أن يُتابِعهم في جلّ ما كتبوه إلاّ بصعوبة وإعناء². إنّ دراسة أولئك العلماء ظاهرة الخبر، والإنشاء مقتصرة على التراكيب الدّالة

¹. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 76.

². المرجع نفسه ص: 76.

المفيدة دون غيرها، وإيضاحاً للأصل بين (السكاكي) أنّ موضوع علم المعاني: "تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره. وأعني بخواص التراكيب ما يسبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التركيب جارياً مجرى اللازم له، وأعني بالفهم: فهم ذي الفطرة السليمة مثل ما يسبق إلى فهمك من تركيب: إنّ زيدا منطلق إذا سمعته عن العارف بصياغة الكلام من أن يكون مقصوداً به نفي الشكّ، أو رد الإنكار، أو من تركيب: زيد منطلق من أن يلزم مجرد القصد إلى الإخبار، أو من نحو: منطلق بترك المسند إليه من أنّه يلزم أن يكون المطلوب به وجه الاختصار مع إفادة لطيفة مما يلوح بها مقامها"¹. الخطاب في نظر (السكاكي) تركيب لغويّ لها علاقة وطيدة بالمعنى، الأمر الذي يستدعيه إلى ربط قصد المتكلم بشكل اللغة الدال عليه انطلاقاً من افتراض عام؛ إنّ لكل معنى نمطاً لغويّاً يحيل عليه وفق مواضع اللغة، وبناءً عليه يتجلى لنا التفريق بين المعنى الذي يدلّ عليه الخطاب مباشرة والمعنى الخفيّ للمتكلم في الخطاب أي المعنى الذي يستلزمه.

تنبؤنا الفكرة التي يحملها (السكاكي) بمدى وجود آليات ذهنيّة تتدخل للخروج عن معنى اللغة الحقيقيّ، ثم تأويل الخطاب مع وجود قرائن دالة على ترجيح قصد دون آخر سواء في إنتاج الخطاب أو تأويله، ذلك أنّ (السكاكي) ينطلق من اعتقاد مفاده أنّ الخطاب يمكن أن يأخذ وضعه الحرفي الحقيقي فيتضح فيه القصد مباشرة دون عمليّات ذهنيّة للاستدلال عليه. هذا التمرد الواضح على جبريّة علم المعاني؛ يُفسر لنا

¹. أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2000، ص: 247، 248.

حرص (السكاكي) على أن التركيب يختلف معناه باختلاف المقام الذي يرد فيه علم المعاني؛ فهو يركّز على التراكيب الدالة، أي التي لها دلالات مباشرة (حرفية) أو غير مباشرة (ضمنية)، تُفهم منها أو ملازمة لها، وكلها تُفهم من المقام بحسب مقصد المتكلم، وهو ما تقوم عليه الدراسات التداولية الحديثة "القصود والإفادة". وبالتالي تُصبح العلاقة فيما بينهما علاقة لازم بملزوم، أو ملزوم بلازم.

من بين الدراسات ذات الطابع البلاغي - أيضا - ما بلوره الخطيب (القزويني) في دراسته على أساس أن اللغة دليل على تحقق الكفاءة الخطابية التي يعتمد عليها المتكلم في بلورة خطابه ولظاهرة الخبر، والإنشاء بالتحديد على مطابقة المقال *Forme* للمقام *Situation* الذي يرد فيه مع مراعاة مقتضى الحال، ويُعرف علم المعاني: "بأنه علم يعرف به أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال"¹. أي مطابقة الكلام للواقع.

1- الأفعال الكلامية في الدراسات العربية:

توصّل العلماء العرب إلى وضع معايير علمية متفاوتة الدقة، مختلفة في الهوية المعرفية للتمييز بين الخبر والإنشاء، فكانت دراساتهم ثرية بالأفكار والرؤى والمناهج، ولا سيما الأدوات المعتمدة في التمييز بين الأسلوبين، فتعددت التقسيمات واختلفت الآراء بين بلاغية وتداولية، وتجلّى وجه الاختلاف بالتحديد في عدم اتفاق العلماء على مصطلح الإنشاء الذي لا نجد له ذكرا إلا إذا استثنينا قلة نادرة منهم أمثال: "الشيخ نجم الدين الكاتبي القزويني (ت 493هـ)" ويعتبر أول من استعمله استعمالاً اصطلاحياً مدققاً، وبعدها "قطب الدين محمود الرازي (ت 766هـ)" ثم "محمد عليّ الجرجاني (ت 729هـ)"

¹. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تعليق محمد عبد المنعم خفاجي، لبنان، بيروت، دار الجيل، ط 3، 1993، ج1، ص: 52.

وبعض النحاة المتأخرين. نثبت هنا نصًا يشرح فيه الباحث مسعود صحراوي* تعليقه على القضية قائلا: "تميّز المرحلة التأسيسية الثانية من عمر علم المعاني العربي حتى وفاة السكاكي سنة (626هـ) بعدم اتفاق العلماء العرب على مصطلح الإنشاء الذي هو أحد قسمي الأسلوبين الأساسيين، فلا نجد له ذكرا عند الإمام "عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ)"، ولا عند خلفه "أبي يعقوب السكاكي"، ولا عند الفلاسفة الذين ساهموا بقسط وافر في التقسيمات البلاغية، ولا سيما في موضوع التمييز بين الخبر والإنشاء "كالفارابي"، و"بن سينا" مما يدلّ على عدم شيوع هذا المصطلح في تلك الفترة خصوصا بين البلاغيين"¹. فمصطلح الإنشاء كان غائبا غيابا شبه تام من مؤلفاتهم بالإضافة إلى هذا فقد وجدناه حتى بعد استعمالهم له وشيوعه بين العلماء في مرحلة لاحقة، فإنه لم يكن له مفهوم موحد عندهم وهو نفسه ما صرح به "رضي الدين الإستربادي" حين قال: "إنّ الجملة غير الخبرية إمّا إنشائية نحو: (بعث، وطلقت)، أو طلبية كالأمر والنهي والاستفهام والتمني"². فقد جعل الإنشاء قسيما للطلب وقرينا له في مخالفتهما للخبر، وجعل له حيزاً كلامياً يشمل ما يُعرف بألفاظ العقود مثل: (بعث، وطلقت) أو الإيقاعيات باصطلاح المعاصرين .

سنحاول فيما يلي ضبط بعض الآليات التي بواسطتها يتمّ تحديد المعنى المقصود للخطاب إمّا في الدرس البلاغي العربي القديم، أو في منظومة البحث اللساني

*. الدكتور مسعود صحراوي، أستاذ علم اللغة بجامعة الأغواط (الجزائر)، من مؤلفاته، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي.

¹. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 79، 80.

². شرح الرضي على الكافية، تصحيح و تعليق، يوسف حسن عمر، منشورات مؤسسة الصادق، طهران، 1398، 197، ص: 33.

الغربي المعاصر؛ مبينين كيف يمكن المتلقي أن يمرّ عبر مراحل ليصل إلى قصد المتكلم، ذلك بعد إدراكه أنّ للفعل الكلامي قوة إنجازية حرفية هي الأولى، والثانية قوة إنجازية مستلزمة، ولكن قد تكون هذه القوة في بعض السياقات هي القوة الأولى¹. يجد الباحث نفسه مضطراً إلى استحضار المرتكز الذي قام عليه البلاغيون العرب ووافقهم فيه بعض فلاسفة اللغة العادية للتمييز بين المعنى الحرفي الصريح والمعنى الضمني المستلزم، من خلال ما ورد عند "بن فارس" و"أبو يعقوب السكاكي"؛ على أساس أنّهما وضعاً للّمسات الأولى للبلاغة من جهة، ومن جهة أخرى البلاغة تُعدّ الميدان الفسيح والخصب لمعالجة ظاهرة المعنى وغيرها من العلوم اللغوية والأدبية .

1-1-الأفعال الكلامية عند بن فارس (395هـ):

يكشف بن فارس في كتابه: "الصاحي في فقه اللغة" أنّ الكلام ينقسم إلى معانٍ كثيرة ويحصرها في عشرة: خبر واستخبار، وأمر ونهي، ودعاء وطلب، وعرض وتحضيض، وتمنّ وتعجّب²، والخبر حسبه: "ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه، وهو إفادة المخاطب أمراً في ماضٍ من زمان، أو مستقبل أو دائم نحو: (قام زيد)، و(يقوم زيد)، وقائم زيد، ثم يكون واجبا، وجائزا وممتنعاً، فالواجب قولنا (النار محرقة) و الجائز قولنا (لقي زيد عمرا) والممتنع قولنا (حملت الجبل)"³، تتلخّص فكرته في أنّ الخطاب لا يمكن أن نُدرِك مقاصده وأهدافه دائماً على الحقيقة. أي أنّ المعنى الظاهر الذي يدلّ عليه الخطاب ليس دائماً المعنى الوارد، فالمعنى الذي يتوصّل إليه بإعمال الفكر هو ما يُسمّيه

¹. CF.Searle, Sens et Expression , p :40,41

². أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، الصاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح، أحمد حسن بسج، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية (2007م، 1428هـ)، ط2، ص: 133.

. المصدر نفسه، ص: 133³.

التداوليون في البحث الحديث بالمعنى المستلزم، أو ما يُطلق عليه "غرايس وسيرل" بمعنى المتكلم، وفي إطار تلك الصبغة الجديدة التي صبغت مباحث الخبر راح يضع الاستخبار مقابل الاستفهام، ويعني طلب معرفة أمر مجهول عند السامع (المتلقي) فيقول في السياق نفسه: "إنّ الاستخبار طلب خبر ما ليس عند المستخبر وهو الاستفهام، وذكر أناس أنّ بين الاستخبار، والاستفهام أدنى فرق قالوا: ذلك أنّ أولى الحالين الاستخبار لأنك تستخبر فتجاب بشيء، فربما فهمته وربما لم تفهمه، فإذا سألت ثانية، فأنت مُستفهم تقول: أفهمني ما قلته لي قالوا: والدليل على ذلك أنّ الباري - جلّ ثناؤه - يُوصف بالخبر، ولا يُوصف بالفهم¹. فمن خلال تأملنا النصّ نلاحظ أنّ فكرة تحقيق الاستخبار لا تكون إلاّ إذا كان ظاهره موافقا لباطنه كسؤالك عمّا لا تعلمه فتقول: ما عندك؟ ومن رأيت؟"، وهي من الأولويات التي لا يجب التّغاضي عنها؛ ولعلّ الأمر الجوهرى والهدف المحوري الذي ينتج عن تلك المطابقة يكمن في تحقيق الفهم والإفهام.

1-2-الأفعال الكلامية عند السكاكي*:

يُعدّ "السكاكي" من أبرز العلماء الذين تناولوا بشيء من التّحليل والدراسة ظاهرة تجاوز الأفعال الكلامية من معناها الحرفي إلى معناها المجازي السياقي؛ فقسم الكلام إلى قسمين وسمي كلّ قسم بالقانون، فكان القسم الأوّل قانون الخبر والقسم الثّاني قانون الطّلب، والخبر عنده ما يحتمل الصدق والكذب، ويرجع ذلك إلى: "إمكان تحقّق ذلك الحكم مع كلّ واحد منهما من حيث إنّ حكم مخبر، ومرجع كون الخبر

¹. المصدر السابق، ص: 134.

*. السكاكي، سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي، ولد في قرية خوارزم سنة 55هـ، 1160م له مصنفات شتى منها . شرح الجمل، والتبيان، رسالة في علم المناظرة ومن أهمها كتاب مفتاح العلوم، توفي بخوارزم، سنة 626هـ، مفتاح العلوم، ص: 14.

مفيدا للمخاطب إلى استفادة المخاطب منه ذلك الحكم ويسمى هذا (فائدة الخبر) كقولك: زيدٌ عالمٌ¹. إذا طابَق الخبر الواقع فهو صادق، وإذا لم يُطابقه فهو كاذب، وأوجز تعريف نخلص إليه أنّ الخبر يعني الكلام الذي يمكننا أن نحكم عليه بالصدق أو الكذب، وتكمن أهميته في العملية التواصليّة، أمّا الفعل الكلامي قد يتأسس بمجرد التلفظ به كونه يخلق قاعدة بين المتخاطبين.

من بين الومضات التداوليّة التي نلفيها تفرض نفسها بقوة؛ تقسيمه للطلب إلى نوعين: يتمثل النوع الأول في التّميّي، أمّا النوع الثاني فيشتمل على الاستفهام والأمر، والنهي والنداء، ويندرج تحت ما يسمّى بالتّصور² الذي تتولّد عنه معان حرفيّة أصليّة إذا أجزاها المتكلّم بشروطها في سياقات مناسبة، أمّا إذا امتنع إجراء هذه الأبواب على أصلها؛ فإنّه يتولّد منها ما يُناسب المقام، ويستند "السّكاكي" إلى بعض الأمثلة التي يصف من خلالها طريقة توليد التّميّي من الاستفهام، وكلّ ذلك بمعونة ما يُسمّيه بقرائن الأحوال بحيث يقول: "إذا قلت: هل لي من شفيح في مقام لا يسع إمكان التّصديق بوجود الشّفيح امتنع إجراء الاستفهام على أصله وولد بمعونة قرائن الأحوال معنى التّميّي"³. ويذكر "تاج الدّين السّبكي" أنّ بن مالك قد جعل الكلام "خبرا وطلبا"، وذكر أنّ من العلماء من يُربّع الأقسام فيقول: "خبر واستخبار، وطلب وإنشاء بناءً على التّصديق، والتّكذيب"⁴. وما يعزّز القول ما أشار إليه "السّكاكي" في قوله: "وإذا عرفت أنّ إيراد المعنى الواحد على صور مختلفة لا يتأتى إلّا في الدلالات العقليّة وهي: الانتقال

¹. أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 254.

². المصدر نفسه، ص: 415.

³. المصدر نفسه، ص: 41.

⁴. بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص: المفتاح مصطفى البابي الحلبي، مصر، القاهرة، 1948، ص: 173.

من معنى إلى معنى بسبب علاقة بينهما كلزوم أحدهما الآخر بوجه من الوجوه، ظهر لك أنّ علم البيان مرجعه اعتبار الملازمات بين المعاني¹. فالسكاكي كان على وعي كبير بأنّ معنى التّكلم الذي تُعبر عنه الأفعال من مثل: الاستفهام والأمر، والنهي يُحدّد المنهج الذي يعتمد في إنتاج الخطاب ويتغير سياق الحال يتغير تعبيره عن المعنى قوّة وضعفاً، فقد يكون الأمر دعاء من الأدنى مرتبة إلى الأعلى مرتبة، وقد يكون التماساً بين متساويين في المرتبة، وقد يكون على وجه الاستعلاء.

أمام العتبات المنهجية الموجزة الخاصة بتصوّر "السكاكي"؛ نخلص إلى أنّه ثمة آليات ذهنية تتدخل للخروج عن معنى اللغة الحقيقي، ثمّ تأويل الخطاب مع وجود قرائن دالة على اختيار معنى دون آخر سواء في إنتاج الخطاب أو في تأويله.

من نافلة القول أن تصوّرات العلماء وآراءهم في التّمييز بين الخبر والإنشاء مختلفة، " فلم يكتف الدارسون العرب بتقسيم العلوم إلى الخبر والإنشاء، بل توغّلوا في دراسة تلك المعاني مراعين في ذلك المقامات المختلفة التي ترد فيها المعاني، بل أكثر من ذلك ذهبوا إلى التّمييز بين الجمل من حيث قوتها (شدّتها) وضعفها وما ينتج عنها من معان مختلفة، وهذا ما يُقابل مفهوم القوّة الإنجازية في اعتقاد التّداوليين المعاصرين الغرب، وأبسط ما يمكن قوله: إنّ الأبحاث والدراسات العربية تميزت بوجهة نظر ذات بعد تداولي خلال دراستها وتعاملها مع اللغة.

2-الخبر:

إنّ آخر ما استقرت عليه البلاغة العربية في مراحل نُضجها ذلك التّصور الذي يميّز بين الأسلوبين بمعيّار القصد، ومعيّار إيجاد النسبة الخارجيّة، وقد تمخّض عن

¹. أبو يعقوب السكاكي، مصدر سابق، ص: 438.

هذين المعيارين خصوصا تعريف دقيق للخبر والإنشاء، فكان لهؤلاء العلماء الأجلاء ملحظ تداولي في تحديد قيمتي الصدق والكذب، وفي التمييز بين الخبر والإنشاء.

نعتقد أنّ جلّ العلماء والباحثين يتفق على أنّ الخبر "ما يحمّل الصدق والكذب مراعين في ذلك قصد المخبر واعتقاده، فإذا كانت نسبة الخبر الكلامية مطابقة لنسبته الخارجيّة مع اعتقاد المخبر بمطابقتها للواقع فالكلام صادق؛ وإذا كانت نسبته الكلامية غير مطابقة لنسبته الخارجيّة بدون اعتقاد المخبر بمطابقتها للواقع، فالكلام كاذب"¹، فما ذكره من تحديد للخبر ملتبس وغير دقيق؛ فالأخبار المستقبلية كلّها ليس لها واقع تطابقه أو لا تطابقه سواء كانت مصدرّة بدليل استقبال ك (السّين وسوف، وغيرها)، أو لم تكن مصدرّة بدليل استقبال، وليس من شكّ في أنّ كثيرا من الأخبار لا تقبل الكذب كالأخبار الواردة في القرآن الكريم؛ ويتجلّى ذلك في أنّ ثمة بعض الفروق التي يمكن الباحث أن يلتمسها ضمن تعامله مع الأسلوبين، فالخبر يقبل الحكم عليه بالثبوت أو النفي بخلاف الإنشاء الذي يُحاول إيجاد مدلول خارجي يتطابق مع لفظه، يقول "الخطيب القزويني": "... والفارق بين الخبر والإنشاء قصد المطابقة أو قصد عدمها في الخبر، والإنشاء ليس فيه قصد للمطابقة ولا لعدمها"²، وكثيرا ما عمد: القزويني إلى التّفريق بين الخبر والإنشاء، ففي معرض آخر له يقول: " (وعبد الحكيم) وغيره يقولون: الإنشاء لا خارج له، إذ لو كان له خارج لكان خبرا يتصوّر فيه الصدق، والكذب اللذان هما من لوازم الخارجيّة، واللّازم باطل فبطل الملزوم"³؛ وتبدو هذه الأمثلة السّاخرة بالنسبة إلينا؛ وكأنّها فعل تصوير حقيقيّ لعمل الإنشاء، وهكذا نكون مدعوين إلى نفي وجود

¹. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 129.

². الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 56.

³. المصدر نفسه ص: 56.

نسبة خارجية للإنشاء، وإلا فسيصبح خبراً بمجرد تطابقها أو عدم تطابقها مع النسبة الكلامية.

يبدو الاختلاف جلياً بين العلماء حول انحصار الخبر في الصدق والكذب، فذهب بعضهم إلى الأخذ باعتقاد المتكلم أثناء الحكم على الخبر، يقول "النظام" فيما نصه: "الخبر الصادق هو ما طابق اعتقاد المخبر سواء طابق الواقع (النسبة الخارجية)، أو لم يطابقه"¹، وعندئذٍ من يعتقد أمراً فيخبر به ثم يظهر خبره بخلاف الواقع عندها لا يتهم بالكذب، وإنما يُقال أخطأ كما روى عن "عائشة" -رضي الله- عنها فيمن شأنه كذلك: "ما كذب ولكنه وهم"²، لأنه لم يتكلم بخلاف اعتقاده أو ظنه؛ فالصدق عنده منظور إليه نظرة تداولية لا نظرة تجريدية، أي بحسب ما يعتقده اليهودي لا المسلم.

كذلك ما جاء في الآية الكريمة: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾³، فقول المنافقين ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ قول كاذب، فالتكذيب في قولهم "نشهد" وادّعائهم فيه المواطأة⁴، لأن الله يعلم أنّ المنافقين كاذبون، كذلك قد أكد بطلان شهادتهم باستعمال (لام التوكيد)، و(أنّ)، والشقّ الثاني من الآية يوضح ذلك.

إنّ هذا التصور أفضى بـ (الجاحظ ت255هـ) إلى أن ينكر انحصار الخبر في الصدق، والكذب فقط، حيث رأى أنه ينحصر في ثلاثة أقسام⁵:

¹. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 130.

². الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 60.

³. سورة المنافقون، الآية 01.

⁴. جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبدیع، تح، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط3، 2003، ص: 25.

⁵. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، الجزء الأول، ص: 61، 62.

❖ الخبر الصادق: يُطابق الحكم فيه الواقع مع اعتقاد المخبر له أو عدمه.

❖ الخبر الكاذب: لا يُطابق فيه الحكم الواقع مع اعتقاد المخبر له أو عدمه.

❖ الخبر غير الصادق، ولا الكاذب، وفيه أربع حالات:

➤ مطابق للواقع مع اعتقاد المتكلم أنه غير مطابق.

➤ مطابق للواقع دون اعتقاد المتكلم أنه مطابق أصلاً.

➤ غير مطابق للواقع مع اعتقاد المتكلم أنه مطابق.

➤ غير مطابق للواقع دون اعتقاد المتكلم أنه مطابق أصلاً.

يحتكم "الملاحظ" إلى معيارين مهمين في الحكم على صدق الخبر أو كذبه

هما: مطابقة الخبر للواقع واعتقاد المخبر (قصد المتكلم)، ومن الشواهد التي يعتمد عليها

قوله تعالى: ﴿أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾¹، فالافتراء هنا الكذب عن عمد فهو

من الكذب أيضاً، فلا يمتنع أن يكون الإخبار حال الجنون كذباً أيضاً لجواز أن يكون

نوعاً آخر من الكذب، وهو الكذب لاعن عمد فيكون التقسيم للخبر الكاذب لا

للخبر مطلقاً². فـ "الملاحظ" ينحو منحىً تداولياً حديثاً في حكمه على صحة الخبر أو

كذبه وهو (اعتقاد المتكلم وقصده)، ذلك ما ميّز اتجاهه الذي طغت عليه الرؤية

التحليلية ذات الطابع التداولي.

هنا تجلّى جهده البلاغيّ أوضح تصنيفاً وتفسيراً، حيث حاول بلورة مفهوم

الصدق والكذب وإن كان أظهر المفاهيم التي رسّخت في التقاليد اللغوية العربية، فإنّه

يظلّ مفهوماً ملبساً تردّد القدامى أنفسهم في ضبطه وبيان مراده بين قائل: "إنّه مطابقة

¹. سورة سبأ، الآية 08 .

². الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبديع والبيان، ص: 26.

حكم الخبر، أو عدم مطابقته للواقع"، وقائل: "... بل مطابقة حكمه لاعتقاد المخبر صوابا كان أو خطأ، أو عدم مطابقته؛ ذلك أنّ من اعتقد أمرا فأخبره ثم استبان خلافه لا يؤمن بالكذب وإنما يُقال أخطأ.

2-1-أضرب الخبر :

قسّم العلماء الخبر بحسب درجة قوّة دلالاته وضعفها إلى ثلاثة أضرب، واتفقوا على تسميتها على النحو الآتي¹: خبرا ابتدائيا وخبرا طلبيا، وخبرا إنكاريا.

2-1-1-2-الخبر الابتدائي:

ذلك الخبر الذي يستغنى فيه عن مؤكّدات الحكم، ويكون المتلقّي خالي الذهن من الحكم تماما، يقول "السكاكي": "فإذا اندفع في الكلام مخبر لزم أن يكون قصده في حكمه بالمسند للمسند إليه في خبره ذاك إفادته المخاطب، متعاطيا مناطها بقدر الافتقار، فإذا ألقى الجملة الخبرية إلى من هو خالي الذهن عمّا يلقي إليه ليحضر طرفاها عنده وينتقش في ذهنه استنادا أحدهما إلى الآخر ثبوتا، أو انتقاء كفى في ذلك الانتقاش حكمه، ويتمكّن لمصادفته إيّاه خاليا فتستغني الجملة عن مؤكّدات الحكم، ويسمّى هذا النوع من الخبر ابتدائيا"²، مثال ذلك قول أحد الشعراء:

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَىٰ *** فَصَادَفَ قَلْبِي حَالِيًا فَتَمَكَّنَا³.

الشاعر هنا يُقرّر أنّ قلبه كان خاليا من أيّ تجربة سابقة لهذا تمكّن من حبّ تلك المرأة، فأدخلها قلبه وفؤاده.

¹. أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 258.

². المصدر نفسه، ص: 258.

³. المصدر نفسه ص: 258.

2-1-2-الخبر الطلبي:

يعني الخبر الذي يلزم متلقيه إلى تأكيد من قائله بأحد أدوات التأكيد مثل: "إن" و"لام التوكيد"، حتى يتمكن من نفسه ويقضي على حيرة المتلقي وشكّه. يقول السكاكي: "وإذا ألقاها إلى طالب لها متحير طرفاها عنده دون الاستناد، فهو منه بين لينقده عن ورطة الحيرة، استحسّن تقوية المنقذ بإدخال (اللام) في الجملة أو (إن)، كنحو: "الزيد عارف"، أو: "إن زيدا عارف" ويسمى هذا النوع من الخبر طلبياً¹؛ يقول الشاعر "أبو العتاهية":

إِنِّي رَأَيْتُ عَوَاقِبَ الدُّنْيَا ***** فَتَرَكْتُ مَا أَهْوَى بِمَا أَحْشَى².

فالشاعر في البيت يؤكد تركه الشهوات وحبّ الدنيا بأداة التوكيد "أنّ" لخوفه من عاقبة الآخرة.

2-1-3-الخبر الإنكاري:

الخبر الذي يتطلّب أن تُؤكّده بمؤكد أو أكثر على حسب إنكاره قوة وضعفاً، يقول "السكاكي": "وإذا ألقاها حاكم فيها بخلافه، ليرده إلى حكم نفسه استوجب حكمه ليترجح تأكيدا بحسب ما أشرب المخالف الإنكار في اعتقاده كنحو: (إني صادق)، لمن ينكر صدقك إنكاراً، و(إني لصادق) لمن يبالغ في إنكار صدقك، و(والله إني لصادق على هذا)³. فالمتلقي قد ينكر الخبر ويتمادى في إنكاره، لكن كلّ له تأكيد

¹. المصدر السابق ص: 258..

². علي الجارم ومصطفى أنيس، البلاغة الواضحة، البيان والمعاني والبديع، ودليل البلاغة الواضحة، مصر، القاهرة، دار قباء الحديثة، 2007، ص: 270.

³. أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 259، 258.

بأدوات معينة يستعملها المتكلم أو المخبر بحسب درجة إنكار المتلقي، مثال ذلك قول الشاعر:

إِنِّي رَأَيْتُ عَوَاقِبَ الدُّنْيَا **** فَتَرَكْتُ مَا أَهْوَى بِمَا أَخْشَى¹.

استخدم الشاعر أدوات التوكيد نحو "إنّ" و"اللام" ليؤكد لمن يباليغ في إنكاره صدق الخبر.

نخلص من ذلك إلى أمر نراه على درجة بالغة من الأهمية، مفاده أنّ الجمل الخبرية تختلف بحسب اختلاف قوة العرض الذي تتضمنه، وبالتالي تتنوع المعاني بتنوع السياق الذي ترد فيه كما رأينا سالفاً مع الأبيات الشعرية، أي أنّ الجملة التي تحمل مؤكّدات أكثر تكون لها دلالة أقوى وقد تخرج إلى أغراض أخرى تُفهم من سياق الكلام.

2-2-المعاني التي يحتملها لفظ الخبر:

يخرج الخبر إلى أغراض ومعانٍ متنوّعة تتنوّع باختلاف المقامات التي ترد فيها ومنها:

- التّعجب: نحو قولك: ما أجمل البحر! فيه تعجب لجمال البحر باستعمال الأداة (ما).

- التمني: نحو قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾² ففي الآية تمني الكفار العودة إلى الدار لإحسان العمل.

- النهي: نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا﴾¹. نهي عن المشي في الأرض فخرّاً وكبراً، لأنّ ذلك لا يبلغ بك الجبال ولا تحرق الأرض بكبرك وفخرك.

¹ علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص: 258.

² سورة الزمر، الآية 58.

- النَّفْي: نحو قولك: لا بأس عليك.

- الدَّعاء والطلب: نحو قول الشاعر "أحمد شوقي":

جَزَاكُمُ ذُو الْجَلَالِ بَنِي دِمَشْقٍ *** وَعَزُّ الشَّرْقِ أَوْلُهُ دِمَشْقُ

في البيت الشعري حزن الشاعر لما حلّ بدمشق من أذى، فينتقم على المستعمر داعياً السوريين إلى الصمود والتضحية .

- الأمر: نحو قوله تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾². أي أنّ الله تعالى

أمر يحيى أن يأخذ الكتاب الذي أنزل على موسى و هو التوراة.

- التَّعْظِيم: نحو قول الشاعر "أبو تمام":

فَتَحُّ تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ *** وَتُبْرُزُ الْأَرْضُ فِي أَبْرَادِهَا الْقَشْبِ³.

في البيت الشعري تعظيم للفتح، ففيه تفتح له أبواب السماء بالغيث و الرحمة و تنزّين له الأرض بأثوابها الجديدة.

3- الإنشاء:

تعدّدت وجهات نظر العلماء قديماً حول استعمال مصطلح الإنشاء كما رأينا

أنّه كان يُعبّر عن " الإنشاء" في مؤلّفات بعضهم بمصطلح "الطلب"، فمنهم من أرجح

الطلب بأنّه نوع من أنواع الإنشاء، وهذا ما وجدناه عند "الخطيب القزويني" حين قال:

"الإنشاء ضربان: طلب وغير طلب: فالطلب يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب

لامتناع تحصيل الحاصل، وهو التّهج الذي سار عليه البلاغيون فيما بعد. الإنشاء لا

يحتمل الصدق ولا الكذب لأنّه أسلوب مباشر يعتمد على المخاطبة في أغلبه ولا يصحّ

¹. سورة لقمان، الآية 18.

². سورة مريم، الآية 12.

³. بوزياني خالد، البلاغة، علم المعاني، البيان، البديع، ص: 09.

أن يُقال لقائله إنّه صادق أو كاذب لعدم تحقّق مدلوله في الخارج، وتوقّفه عن النطق به¹، أي أنّه يبحث عن مدلولات في الخارج تتلاءم مع لفظه أو كلامه، فلا يُقصد من نسبته الكلامية أن تُطابق أو لا تُطابق نسبته الخارجيّة.

3-1-أقسام الإنشاء: الإنشاء قسمان: طلي، وغير طلي.

3-1-1- الإنشاء الطلبي:

ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب لامتناع تحصيل الحاصل²، أي ما تأخّر وجود معناه عن وجود لفظه، ويشمل على ظواهر أسلوبية متعدّدة قُسمت بعد التوسّع الدّراسي والبحث العميق إلى تسعة أقسام: الأمر والنهي، والاستفهام والدعاء والعرض، والتّحضيض، والتّمنيّ والترجيّ والنداء³.

هناك من البلاغيّين من يرجعها إلى خمسة أقسام فقط: الأمر والنهي، والاستفهام والتّمنيّ والنداء، يشير الباحث "سعد الدين التفتازاني" إلى تلك الأقسام في قوله: "وهي أي الأساليب الإنشائية الطلبيّة خمسة: التّمنيّ والاستفهام، والأمر والنهي، والنداء"⁴ ذلك لأنّ بعض العلماء يرون أنّ تلك الصّيغ الأسلوبية تخرج من مقتضى دلالتها الظاهرة إلى أغراض وإفادات تواصلية بحسب ما يقتضيه المقام، وهناك من يرى أنّها أغراض يجمعها أسلوب واحد أو صيغة واحدة⁵، فنجدهم يعتبرون الدّعاء نوعاً من

1. عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي. مصر، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط3، 1981، ص:13.

2. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 107.

3. عبد العزيز أبو سريع ياسين، الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية، الأردن، عمان، مطبعة السعادة، ط1، 1989 ص:10.

4. المصدر نفسه ص: 14.

5. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص:150.

الأمر، والغرض ضرب من الاستفهام، أمّا التّحضيض والتّرجي فهما نوعان من أنواع التّمنيّ .

انتبه البلاغيّون العرب لخروج الأغراض من معانيها الأصليّة إلى معانٍ غير أصليّة تتماشى مع حركة المقام، فمثلاً نجد "السّكاكي" حصر قانون الطّلب في خمسة أبواب: الأمر والنّهي والاستفهام، والتّمني والتّداء؛ فيذكر إذا أجزاها المرسل بشروطها في سياقاتها الملائمة لها تولّد عنها معانٍ أصليّة، أمّا إذا امتنع إجراء هذه الأبواب على الأصل فإنّه يتولّد عنها ما يُناسب المقام نحو قولك: "هل لي من شفيح؟" في مقام لا يسع إمكان التّصديق بوجود الشّفيح، فامتنع إجراء الاستفهام على أصله وولّد معنى التّمنيّ¹؛ أي ينجز عن خرق للإجراء الأصلي، وشروطه معانٍ أخرى بالاعتماد على القرائن والأحوال.

إنّ ثمة إشارة لا تخطئها العين قوامها أنّ هناك بعض الأبعاد والمفاهيم التّداوليّة التي يُمكن للباحث المتمرّس أن يلتمسها ضمن تعامله مع عمليّة انتقال الأغراض من معانيها الأصليّة إلى معانٍ أخرى تتّضح بمعرفة القرائن والأحوال، وعليه تدعونا الحاجة إلى الوقوف وقفات وجيزة عند كلّ من أسلوب الاستفهام والأمر، وخروجهما من معانيهما الأصليّة إلى معانٍ ومقاصد أخرى ملائمة لمقام التّلّفظ.

أ- سياق الاستفهام:

تظهر منزلة الاستفهام في دلالاته السياقية وقت خروجه عن معانيه الأصليّة إلى معانٍ أخرى ويُعرّف بأنّه: "طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل

¹. أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 416.

بإحدى أدواته¹، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾²، أي كيف تجحدون وجوده وتعبدون معه غيره. وقال "المتنبي":

بِأَيِّ لَفْظٍ تَقُولُ الشَّعْرَ زَعْنَقَةً *** تَجُوزُ عِنْدَكَ لَا عَرَبُ، وَلَا عَجَمٌ؟³

ما نلاحظه أنّ الفعل الكلامي في الملفوظ الاستفهامي وسيلة من الوسائل اللغوية لمعرفة ما يجول بخاطر المخاطب، وفهم كلّ ما يتعلّق بحيثيات قوة المقام من ظروف ومقامات، لأنّ وظيفة الاستفهام لا تتوقّف عند إجراء الفهم فحسب بل تتعدّاه عند الترائين إلى بناء قاعدة حوارية تواصلية بين المستفهم والمستفهم عن طريق أسئلة وأجوبة حسب ما يقتضيه السياق أو ما يتطلّبه.

اعتبر البلاغيون العرب أدوات الاستفهام قد تستعمل لغير ما وُضعت عليه في الأصل للدلالة على معانٍ أخرى تتماشى مع ما يناسب المقام وحيثياته، وفي السياق نفسه يقول "الخطيب القزويني": "...ثمّ هذه الألفاظ (ألفاظ الاستفهام) كثيرا ما تُستعمل في معانٍ غير الاستفهام بحسب ما يناسب المقام"⁴. من خلال تأملنا النصّ نلاحظ أنّ هناك دليلا صريحا على علاقة معاني الأقوال بالسياق الذي وردت فيه.

*. تتمثل أدوات الاستفهام في، الهمزة، هل، متى، أين، أيان، أنى، أي، كيف، وكم، ينظر، أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 418.

¹. عبد العزيز أبو سريع ياسين، الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية، ص: 11.

². سورة البقرة، الآية 27.

³. جعيرن ميهوب وبوزياني خالد، البلاغة بالأمثلة والتطبيق، علم المعاني، علم البيان، علم البديع، منشورات الشهاب ص: 38.

⁴. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 112.

على إثر ذِكرِ مفهوم الاستفهام وخروجه عن معانيه الأصلية، راح العلماء يُقسّمونه بحسب ما يطلب إلى ثلاثة أقسام مُدرجين تحت كل قسم أدوات معينة¹ :

1- أدوات استفهام تختصّ بطلب حصول التّصور، والتّصديق: (الهمزة).

2- أدوات استفهام تختصّ بطلب حصول التّصور، وتمثّل في: (هل).

3- أدوات استفهام تختصّ بطلب حصول التّصور فقط، تتمثّل في: (ما، متى، أيّ، أيّان، أنّي كيف كم، وأين).

أجاد العلماء قديما في دراسة الاستفهام والألفاظ الموضوعية له، ولم يتوقّفوا عند هذا الحدّ بل توغّلوا في تحليل تلك الألفاظ والمواضع التي يستعمل فيها كلّ لفظ ودراستها؛ مراعين في ذلك المقامات المختلفة التي ترد فيها وضعيّة المتكلم والسّامع وغاية كليهما، فكانت دراساتهم ذات منحنى تداولي، ورؤية تحليلية دقيقة سابقة لعصرها.

عوّّل الباحث "أحمد قاسم" على أنّ "السّيوطي" وصل بدلالات الاستفهام التّحويلية إلى اثنتين وثلاثين دلالة جامعا بذلك ما ذكره العلماء قبله²، وإن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على الاهتمام الفائق الذي أبداه الدّرس العربيّ قديما لدراسة الصّيغة الأصل أو الفعل الكلاميّ المباشر بالمفهوم الحديث، وما ينتج عنها من أفعال كلامية مباشرة (صيغ مجازية فرعية) تُفهم من سياق الحال وقرائن الأحوال. وما يُعزّز القول ما ذهب إليه "القزويني" حينما أردف الكلام ببعض المعاني التي يخرج إليها الاستفهام وتُفهم من سياق الكلام كالإنكار والتّهكّم، والتّعجب والأمر والتّوبيخ، والوعيد والتّمني...

¹. أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 418، 419.

². حسام أحمد قاسم، تحويلات الطلب ومحددات الدلالة، مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف، مصر، القاهرة، دار الآفاق العربية، ط1، 2007، ص: 117.

مستشهدا في كل معنى من هذه المعاني بآيات من (الذكر الحكيم)¹. في حين نجد "عبد القاهر الجرجاني" يُلفي بنظره ويُبَلِّور فكره الثاقب على أسلوب الاستفهام وخروجه إلى أغراض مقامية ناتجة من إرادة المتكلم وقصده، ومن المعاني التي يذكرها: (التقرير) وهو حمل المخاطب على الإقرار، ويشترط فيه أن يلي همزة الاستفهام المقرّر به كقولك: "أفعلت؟" إذا أردت أن تقرّره بأنّ الفعل كان منه، وقولك: "أأنت فعلت؟" إذا أردت أن تُقرّره بأنّه الفاعل²؛ ومن الشواهد التي استند عليها "الجرجاني" قوله - عز وجل - ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾³. يقول "عبد القاهر الجرجاني": "لم يقولوا ذلك له عليه السلام وهم يريدون أن يُقرّ لهم بأنّ كسر الأصنام قد كان، ولكن أن يُقرّ بأنّه منه كان وكيف؟ وقد أشاروا له إلى الفعل في قولهم: "أأنت فعلت هذا؟" وقال عليه السلام ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾⁴ ولو كان التقدير بالفعل لكان الجواب: فعلت أو لم أفعل⁵؛ أمّا على مستوى التصنيف فإنّ الاستفهام يُصنّف ضمن التوجيهات: "فالوظيفة التداولية مثل دلالتها على التضامن والتّقريب بين طرفي الخطاب، فإنّها تُصنّف على أنّها خطابات توجيهية إذ يكفي كونها الحافز للمرسل إليه للتلفظ بخطابه"⁶، فينبغي أن يتّسع أيضا ليشمل الأفعال الكلامية الدّالة عليه كالسؤال والاستفهام والاستعلام...⁷، لأنّ الغرض الإنجازي أساس التأثير في المتكلم ليفعل شيئا أو يخبرنا عنه. وبهذا نتمكّن من

¹. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 112.

². عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 89، وينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 112.

³. سورة الأنبياء، الآية 62.

⁴. سورة الأنبياء، الآية 63.

⁵. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح. محمد رشيد الرضا، لبنان، بيروت، دار المعرفة، 1992، ص: 89.

⁶. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص: 103.

⁷. محمود أحمد نخلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 103.

توجيه المخاطب والمخاطب في آن واحد، وكذلك إذا كان شرط الإخلاص مشتركاً بين السائل والمسؤول تكون الأمانة (الرسالة) موسومة بالصدق وموصوفة على مستواها التداولي بالتقارب والتّحاور بين المتكلمين والمخاطبين بوجه عام. سنحاول فيما يلي ضبط بعض آليات الاستفهام التي تُفهم من سياق الكلام .

أ-1- المعاني التي يحتملها لفظ الاستفهام:

للاستفهام معان عديدة تُفهم من سياق الكلام¹: الإنكار، التّهمك، التّحقير، العتاب، التّقرير، التّوبيخ، الوعيد والاستبطاء والأمر والتّعجب، والتّمني، والدّعاء، والاستبعاد.

* الإنكار: كقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾²، إنّ قوله تعالى موجه إلى (بني إسرائيل) الذين يأمرون غيرهم بفعل الخيرات، ولكنهم لا يقدمون عليها، والاستفهام في هذه الآية لا يُرجى من ورائه جواب، ولكننا نلمس فيه إنكاراً لهذا السلوك المتناقض وتوبيخاً شديد اللّهجة.

* التّهمك: في مثل قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾³، فالغرض هنا الاستخفاف بشأن شعيب في صلاته، والاستفهام في الآية لا يُرجى من ورائه جواب، ولكننا نلمس فيه الغضب والتّهمك.

¹. جعيرن ميهوب وبوزياني خالد، البلاغة بالأمثلة والتطبيق، علم المعاني، علم البيان، علم البديع، ص: 37.

². سورة البقرة، الآية 44.

³. سورة هود، الآية 87.

*التحقير: قال المتنبي:

بِأَيِّ لَفْظٍ تَقُولُ الشُّعْرَ زَعْنَقَةً *** تَجُورُ عِنْدَكَ لَا عَرَبُ، وَلَا عَجَمٌ؟¹

نلمس في البيت الشعري تحدي الشاعر خصومه أثناء مدحه "سيف الدولة"، فحطّ من قيمة خصومه من الشعراء بغرض التحقير.

*التعجب: كقوله - جلّ ثناؤه -: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا

فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾². فالغرض من السؤال التعجب

من كفرهم بعد أن ظهر الحق الذي يتجلّى في خلق الله - جلّ ثناؤه - لهم من العدم وبعثهم يوم الحساب، ويفصل "السكاكي" في شرح هذه الآية فيقول "وقد علمت أنّ (كيف) للسؤال عن الحال، وللکفر مزيد اختصاص بالعلم الصانع وبالجهل به... فأفاد:

أفي حال العلم تكفرون؟ أم في حال الجهل به؟ ثم إذا قيل (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ) بقوله (وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) صار المعنى: كيف تكفرون بالله والحال حال علم بهذه القصة، وهي أن كنتم أمواتا فصرتم أحياء وسيكون كذا وكذا، فصار الكفر أبعد شيء عن العاقل"³، فصار وجوده منه مظنة التعجب.

*التوبيخ: نحو قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ

إِيمَانِكُمْ ﴾⁴. أي توبيخ للذين كفروا بمحمد و كذبوه.

¹. جعيرن ميهوب وبوزياني خالد، البلاغة بالأمثلة والتطبيق، ص: 38.

². سورة البقرة، الآية 27.

³. أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 418.

⁴. سورة آل عمران، الآية 106.

*الوعيد: في مثل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾¹. ففي الآية لوم للذين لا يؤمنون باليوم الآخر، و في نفس الوقت دعوة للتدبر و النظر في أيام الذين خلوا من قبلنا .

*التقرير: نحو قوله تعالى: ﴿أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾²، وفي السياق نفسه يُشير الباحث "أحمد قاسم" إلى أنّ "عبد القاهر الجرجاني" ذكر في شرحه للآية أنّ الهمزة تكون لتقرير بفعل قد كان وإنكار له لم يكن، وتوبيخه لفاعله عليه³، ونفس ما ذهب إليه "السيوطي" حين أشار إلى أنّ "الرمحشيري" اعتبر الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجب من حالهم⁴، بمعنى أننا لا يمكن ضبط غرض محدد يخرج إليه الاستفهام، كما أننا نصادف في بعض الأحيان مجموعة من المعاني المتداخلة فيما بينها فلا نستطيع بذلك أن نُحدّد معنى واحد لذلك الملفوظ.

*الاستبطاء: نحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾⁵ بمعنى ألم يجيء وقت أن تخضع وترق وتلين قلوبهم.

*الأمر: في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾⁶. ففي الآية استفهام بمعنى الأمر؛ أي أذكروا واتّعظوا.

1. سورة المرسلات، الآية 16.

2. سورة الأنبياء، الآية 63.

3. حسام أحمد قاسم، تحويلات الطلب ومحددات الدلالة، ص: 121.

4. جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، لبنان، بيروت، دار المعرفة، (د ت)، الجزء 2، ص: 103.

5. سورة الحديد، الآية 16.

6. سورة القمر، الآية 51.

*الدعاء: نحو قوله تعالى: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ ﴾¹. فهي دعوة لطلب المغفرة العامة له ولوالديه ولكل المؤمنين من لدن آدم إلى قيام الساعة، الأحياء منهم والأموات.

*الاستبعاد: نحو قوله تعالى: ﴿ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ {13} ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴾². بمعنى استبعاد لرسالة الرسول عليه السلام.

*التمني: في مثل قوله: ﴿ فَهَلْ أَتَاكُمْ نَذِيرٌ فَأَنْزَلْنَا لَهُ السُّيُوفَ فَأَنْزَلْنَا لَهُ السُّيُوفَ ﴾³ ::

الآية تمني الخلاص مما هم فيه.

يمكن القول - إن صح التعبير - تُعتبر هذه المقاصد والإفادات أفعال كلامية أو قوى إنجازية متولدة عن الطلب الأصلي للاستفهام، فهي تختلف حسب مقامات الكلام وهنا يتجلى البعد التداولي لمعاني هذه الحروف .

نلمس عند "السكاكي" ملاحظات جديرة بالانتباه، ففي تمييزه للاستفهام عن غيره من الطلبيات يميّزه من حيث "إِنَّكَ فِي الاستفهام تطلب ما هو في الخارج ليحصل في ذهنك نقش له مطابق، وفيما سواه تنقش في ذهنك ثم تطلب أن يحصل له في الخارج مطابق ، فنقش الذهن في الأول (أي الاستفهام) تابع والثاني (أي باقي الطلبيات) متبوع"⁴. فالعلم بالشيء هو حصول انتقاش صورة ذلك الشيء في الذهن، أين يمكننا القول أنه يميّز بين الاستفهام وباقي الطلبيات انطلاقاً من علاقة الواقع

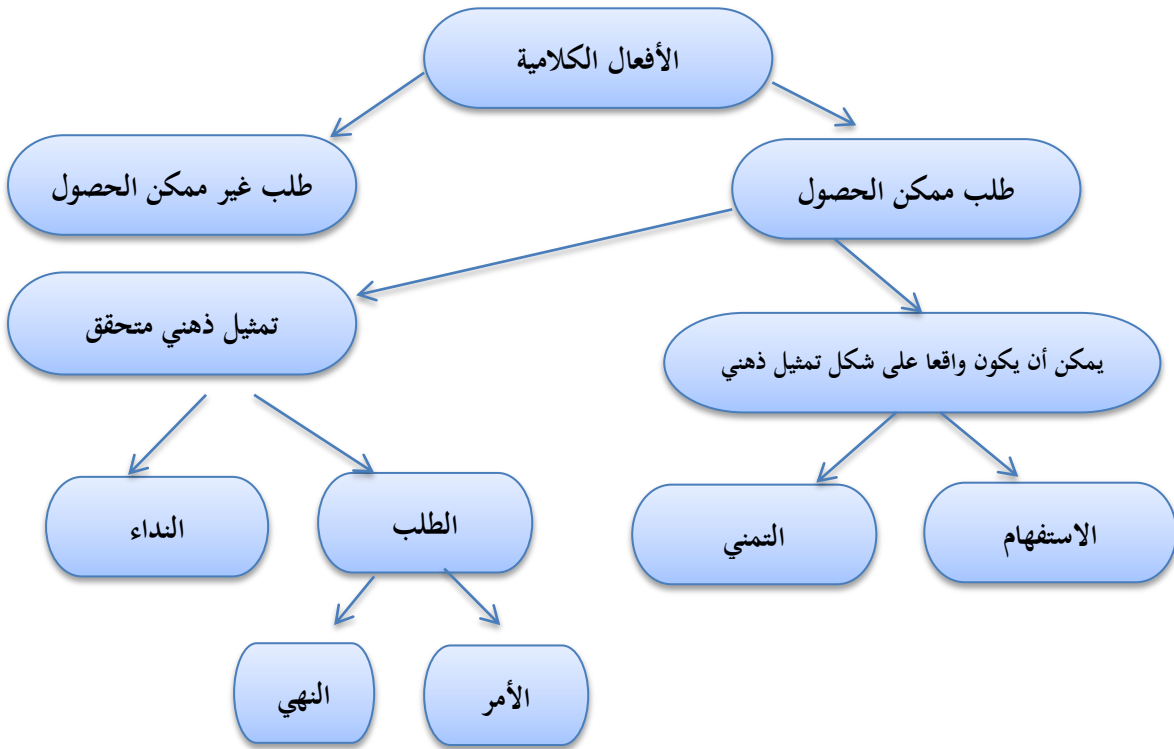
1. سورة المزمل، الآية 28.

2. سورة الدخان، الآيتان: 13، 14 .

3. سورة الأعراف، الآية 53.

4. أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 416.

بالتمثيل الذهني للمتكلّم، بحيث أنّ الاستفهام يطلب ما هو في الخارج ليحصل في الذهن، أمّا باقي الطلبيات ك: النداء والأمر والنهي فهي من الصنف الثاني الذي يكون لطلب الحصول في الخارج، مثلاً كأن تقول لشخصٍ: لا تقم بهذا التصرف؟ فإنّ بطلبك هذا قمت بالنهي عن القيام بذلك الفعل في الخارج أو الداخل ممثلاً لذلك كالاتي :



2- الأفعال الكلامية الناتجة عن الاستفهام:

يخرج الاستفهام عن معناه الأصلي وذلك ضمن مقامات مختلفة لتحقيق

مقاصد معينة يبغى المتكلّم الوصول إليها متمثلة كالاتي:

1- خروج الاستفهام إلى التمني: مثلاً إذا قلت: هل لي من شفيع؟ "في مقام لا

يسع إمكان تصديق بوجود الشفيع امتنع إجراء الاستفهام على أصله، وولد بمعونة قرائن

الأحوال معنى التمني¹. فخرق شرط التصديق جعل الاستفهام يخرج عن معناه الأصلي إلى التمني .

2- خروج الاستفهام إلى العرض: يقول "السكاكي": "إذا قلت لمن تراه لا ينزل: ألا تنزل فتصيب خيراً، امتنع أن يكون المطلوب بالاستفهام التصديق بحال نزول صاحبك لكونه حاصلًا، ويوجد بمعونة قرينة الحال إلى نحو: ألا تحبّ النزول مع محبتنا إياه وولد معنى العرض². أين نجد في هذا المقام أيضاً خرق لشرط التصديق .

3- خروج الاستفهام إلى الإنكار والزجر والتوبيخ:

نلتمس خروج الاستفهام عن أصله " إذا قلت لمن تراه يؤذي الأب: أتفعل هذا ؟ امتنع توجه الاستفهام إلى فعل الأذى لعلمك بحاله، وتوجه إلى مالا تعلم به مما يُلابسه من نحو: أستحسن؟ وولد الإنكار والزجر، أو كما قال لمن يهجو أباه مع حكمك بأن هجو الأب ليس شيئاً غير هجو النفس: هل تهجو إلاّ نفسك؟ امتنع منك إجراء الاستفهام على ظاهره لاستدعائه أن يكون الهجو احتمال أن يكون عندك توجّهاً إلى غيره، وتولد منه بمعونة القرينة الإنكار والتوبيخ³. فنلاحظ في هذا المقام أنه يستفهم عن معنى معلوم لديه، ومن الشروط المعدة للاستفهام أن يطلب شيئاً غير معلوم لديه فيرجع المقام لتحديد المعنى المطلوب.

¹. أبو يعقوب السكاكي، (المصدر السابق)، ص: 416

². المصدر نفسه، ص: 416

³. المصدر نفسه، ص: 416

4- خروج الاستفهام إلى الوعيد والزجر: ومن الأمثلة كذلك "كما قلت لمن يسيئ الأدب: ألم أؤدب فلاناً؟ امتنع أن تطلب العلم بتأديبك فلاناً وهو حاصل، و تولّد منه الوعيد و الزجر"¹. أين تم خرق الشرط السابق ممّا ولد معنأً جديداً هو الوعد والزجر.

5- خروج الاستفهام إلى الاستبطاء :

وتّم في هذا المقام أيضا خرق لشرط التصديق، فإذا قلت "لمن بعثت إلى مهام وأنت تراه عندك: أما ذهبت بعد؟ امتنع الذهاب عن وجه الاستفهام إليه لكونه معلوم الحال واستدعى شيئا مجهول الحال ممّا يلبس الذهاب: أما تيسّر لك الذهاب؟ وتولّد منه الاستبطاء والتحضيض"². وعليه يُمكننا اعتبار الاستفهام الفعل الأصلي وما تولّد عنه من أفعال في مثل: التمني و العرض والوعيد والزجر، الاستبطاء أفعالاً متضمنةً في القول ناتجة عن مقامات معينة. وبعده وبملاحظتنا لطريقة تحليل "السكاكي" لخروج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى الأغراض الفرعية نجده يتمّ في مرحلتين:

- 1- أن يُؤدّي عدم المطابقة المقامية إلى خرق أحد شروط الإجراء على الأصل أو أطلقنا عليه الشروط المعدّة الخاصة بالاستفهام، فيمتنع إجراء المعنى الأصلي .
- 2- أن يتولّد عن خرق شرط المعنى الأصلي وامتناع إجراءه معنى آخر، وقد يكون من المعاني أو الأفعال الكلامية الخمسة.

ب- سياق الأمر:

يُعتبر الأمر من الأساليب التي تخرج عن معانيها الأصلية إلى معانٍ أخرى فرعية بحسب ما يقتضيه السياق ويناسب المقام الذي يُعرّف عادةً بأنّه: "استدعاء الفعل

¹. أبو يعقوب السكاكي، (مصدر سابق)، ص: 416

². المصدر نفسه ص: 416، 417

بالقول ممن هو دونه"¹، أي من الأعلى منزلة إلى الأدنى منزلة، والأمر عند العرب إذا لم يفعله المأمور سُمي المأمور به عاصياً، ويكون عاملاً بلفظ "افعل"، أو بلفظ "ليفعل"²، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوا﴾³؛ فيذهب العلماء إلى أنّ الأمر ينبغي أن يتحقق على الفور. يقول "السكّاكي": "الأمر: حقه الفور، لأنّه الظاهر من الطلب ولتبادر الفهم عند الأمر شيء يبعد الأمر بخلافه إلى تغيير الأمر الأوّل دون الجمع وإرادة التراخي"⁴، لأنّ حملته الدلالية تُوجب تنفيذ المطلوب على عجل وذلك لأنّ الله حينما يُطالب عباده بالقيام بشيء ما يستوجب على هذا الأخير الامتثال لطاعة الله دون أيّ تردّد وإلاّ نال الجزاء (العقاب)⁵، وفي هذا المعنى تأكيد صريح على تحقيق الأمر على عجل فلا يحقّ للمأمور أن يسترخي ويُمّاطل في تنفيذ ما أمر به، فمثلاً عندما يقول الأستاذ لتلميذه: "انفض، واقراً ما في السّبورة"، حتماً سيطيعه ويقوم بالقراءة على الفور، ومن هنا يتحوّل الأمر من مجرد ملفوظ إلى عمل يتحقق وينجز في الواقع .

اعتبر العلماء قديماً أنّ للأمر قوّة إنجازيّة تتحقّق بمجرد التلقّف به وتنفيذه في الواقع، وهذا ما أكدّه "أوستين" من خلال محاضراته المعنونة بـ "Quand Dire C'est Faire" التي من خلالها ميّز بين ما سمّاه بالجمل الوصفية؛ وهي الجمل التي تصف حدثاً ما دون أن تُحقّق فعلاً في الواقع وبين الجمل الإنجازيّة"⁶؛ أي أنّ الجمل لا بدّ أن تحتوي على فعل

¹. الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص: 340.

². أحمد بن فارس، الصحاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص: 138.

³. سورة الأنعام، الآية 72.

⁴. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 117.

⁵. نعيمة الزهري، الأمر والنهي في اللغة العربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط جامعة الحسن الثاني، مطبعة المعارف الجيدة، 1997، ص: 71، 75.

⁶. J.L.Austin , Quand Dire C'est Faire, Introduction, Traduction, Gille Lane 88.87:Postface De Françoise, récaniti Edition Du Seuil Paris, 1970p

إنجازي كالجمل الأمرية والاستفهامية بحيث يقع الفعل بمجرد التلّفظ بالجملة، إلا أنه قد يخرج عن المعنى الأصلي إلى معانٍ ومقاصد تُفهم، وأخرى تُفهم من خلال القرائن والأحوال أي: "تولد بحسب قرائن الأحوال ما ناسب المقام"¹.

ممّا تُظهره لنا سياقات الأمر للتداولية من أغراض فرعية؛ نُلفي معنى الدعاء الذي يتحقّق عند قولك في مقام التضرع: "اللهم اغفر وارحم"²، فنتج عن ذلك فعلا كلامياً متمثلاً في الدعاء. كما نتلمّس معنى التهديد عندما تستعمل صيغة الأمر في مقام تسخّط المأمور به "³. غير أنّ هذه المعاني لا تُعدّ ولا تُحصى (كثير).

قد يخرج أسلوب الأمر عن أصله ليحيل على مقاصد أخرى كالتّمني والالتماس، والإرشاد والتّسوية والتهديد...⁴، يقول "الخطيب" قائلاً: "...وصيغة الأمر قد قد تستعمل في غير طلب الفعل بحسب مناسبة المقام كالإباحة والتهديد والإهانة..."⁵ وبهذا استعلائية الصيغة ما هي إلا مطيئة لتحقيق قصديّة يُريدها الأمر من المأمور؛ فالقوّة الإنجازيّة لصيغة الأمر تظهر بمجرد التلّفظ به مادام المتكلّم حريصاً كلّ الحرص على بعث رسالة توجيهيّة إلى المخاطب، ونُدرج الأمر ضمن نمط الإنجازيات بلغة "أوستين"⁶. أسهم عدد منهم في تطوير غرض الأمر وجعل له صيغاً يتحدّد بها يُمكن إجمالها في: فعل الأمر والمضارع المجزوم ب(لام الأمر)، واسم فعل الأمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر.⁷

¹. أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 428.

². المصدر نفسه، ص: 428.

³. المصدر نفسه، ص: 428.

⁴. مختار عطية، علم المعاني ودلالات الأمر في القرآن الكريم، مصر، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، دط، 2004، ص: 225.

⁵. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 117.

⁶. سيرفوتي جان، الملفوظية، تر. قاسم المقداد، سوريا، دمشق، منشورات إتحاد الكتاب العرب، 1998، ص: 03.

⁷. رجاء عيد، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، مصر، الإسكندرية، منشأة المعارف، ط2، 1988، ص: 120.

هكذا نكون مدعويين إلى القول: "إنّ تلك الصيغ غير جديرة بتحديد غرض الأمر في العبارات، والأقوال وتمييزه عن باقي الأغراض الأخرى، فليست المسألة لغوية قطّ، بل لغوية تداولية، إذ ليس الوضع اللغوي المعيار الأوحده، بل لابدّ أن تستكفنه مرتبة المرسل لأنّها تُحوّل دلالة الصياغة من الأمر إلى غير ذلك"¹. أي أنّ غرض الأمر لا يُوحى دائماً بالوجوب في التداول الخطابي، إذ لابدّ أن تتماشى الصيغة بحكم الأمر (المرسل)، وهكذا ندرك مدى تدخّل عناصر خارجة عن اللغة في مساعدة تحديد الغرض الإنجازي المتضمّن في القول، ولم يقتصر على الجمل الوصفية الإنجازية فحسب، بل امتدّ إلى مفهوم الكفاءة التداولية واللغوية امتداداً عاماً، إذ لابدّ أن يكون المرسل على دراية ضمن تطوّره لتلك الأسماء فيستعين بكفاءة المرسل إليه اللغوية والتداولية شرط أن تكون أسماء فعل الأمر مثلاً من بين الصيغ المحددة لغرض الأمر²، بحكم أن يكون الأخير على إطلاع تامّ بدلالة هذه الأسماء.

ج- سياق النهي:

يقول "السكاكي": "للنهي حرف واحد وهو (لا) الجازم في قولك: لا تفعل والنهي ما حدّوا به حدّو الأمر في أنّ أصل الاستعمال: لا تفعل، أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور، فإن صادف ذلك أفاد الوجوب وإلاّ أفاد طلب الترك فحسب"³. للنهي أداة إنجازية واحدة هي (لا) الجازمة هذا من جهة، ومن جهة أخرى أخرى النهي يشبه الأمر وذلك في اشتراطه الاستعلاء، و إذا هذه الشروط وافقت الشرط التداولي الاستعلاء وجب تحقيق هذا الطلب من قبل المخاطب.

¹. الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص: 342.

². المرجع نفسه، ص: 348.

³. أبو يعقوب السكاكي، مصدر سابق ص: 427.

فعند خرق شرط الاستعلاء وصدور الطلب ممن هو أقلّ مرتبة من مخاطبه في مقام أو قصد التضرع؛ كقول المبتهل إلى الله: "لا تكلفني إلى نفسي، ولدت فعلا كلامياً هو الدعاء وإن استعمل في المساوي الرتبة ولدت الالتماس، ويختلف بحسب المقامات فإن أُستعمل في مقام الإذن نتج عنها ما يُسمّى بالإباحة والتهديد وإن أُستعمل في مقام تسخيط الترك"¹. ممّا ينتج عن الفعل الكلامي الأصلي للنهي أفعالاً متضمنةً في القول مثل الدعاء والالتماس والإباحة، ويكون ذلك إثر خرق الشروط المعدّة للفعل الأصلي أو اختلاف مقاصد أو مقام الكلام.

د- النداء:

لم يُؤل: السكاكي "النداء نفس القدر من الاهتمام بباقي الطلبات يقول: "وتلك الصورة هي قولهم: أمّا أنا فأفعل كذا أيّها الرجل ونحن نفعل كذا أيّها القوم، اللهم اغفر لنا أيّتها العصابة، يُراد بهذا النوع الاختصاص على معنى: أنا أفعل كذا متخصصاً بذلك من بين الرجال، ونحن نفعل كذا متخصصين من بين الأقسام واللهم اغفر لنا مخصوصين من بين العصابة"². فالنداء هنا خرج غرضه لإفادة التخصيص.

هـ- التمني:

في حديث "السكاكي" عن التمني نجده يقول: "أما النوع الأول من الطلب: فهو التمني أو ما ترى تقول: ليت زيداً جاءني، فتطلب كون غير الواقع فيما واقعا فيه مع حكم العقل بامتناعه"³. يمكن أن تُصبح هذه الشروط بمثابة الشروط المعدّة للتمني على إصلاح "سيرل" أين يُقدّم مثلاً على هذا النوع بقولك: "ليت الشباب يعود يوماً"

¹. المصدر نفسه ص: 427

². المصدر نفسه ص: 431

³. المصدر السابق ص: 415

فتطلب عودة الشّباب مع جزمك بأنّه لن يعود، ثمّ يُقدّم مثلاً آخر في مثل قولك: "ليت زيداً يأتيني، أو ليتك تحدّثني، فتطلب إتيان زيد وحديث صاحبك في حال لا تتوقعها، إذ لو توقعت أو طمعت لاستعملت: لعلّ أو عسى"¹. وعليه فخرق أي شرط من هذه الشروط يجعل التمني يخرج عن معناه الأصلي أو غرضه الأصلي، كما لاحظنا في المثال السابق لخرق شرط عدم الطماعية الذي تولّد عنه معنى فرعي للتمني وهو الترجي والذي أدواته الإنجازيّة لعل وعسى.

وللتمني أداة إنجازيّة وحيدة هي ليت، بالإضافة إلى أدوات إنجازيّة أخرى في مثل (لو) و(هل) اللتان تُفيدان معنى التمني؛ أي أنّهما تخرجان عن وظيفتهما الأصليّة ف(هل) أداة إنجازيّة للاستفهام والسؤال. يقول "السكاكي": "إذا قلت لمن يهملك همم: ليتك تحدّثني، امتنع إجراء التمني والحال ما ذكر عن أصله، فتطلب الحديث من صاحبك غير مطموع في حصوله وولد بقرينة الحال معنى السؤال"². يتولّد عن التمني معنى فرعي هو السؤال، كما قد يتولد عن التمني أفعال إنجازية فرعية كالتنديم وهو "لوم وتوبيخ المخاطب فيما تركه أو يقدر فيه تركه"³، و الذي من أدواته: هلا، ألا، ولوما، ولولا، مثلاً إذ قيل: هلا أكرمت زيداً؟؛ فكأنّ المعنى ليتك أكرمت زيداً، مُتولد منه معنى التنديم"⁴. وهكذا تولد عن الاستفهام غرض التنديم.

حاصل الكلام أنّ الأغراض البلاغيّة للاستفهام والأمر والنهي والتمني وغيرها من الأساليب والصيغ تتحدّد بحسب تعدّد السّياق الذي ترد فيه، كما أنّنا من خلال

¹ المصدر نفسه ص: 415

² المصدر نفسه ص: 416

³ ابن يعيش، شرح المفصل، موفق الدين، عالم الكتب، بيروت، د ت، ج8، ص: 144.

⁴ أبو يعقوب السكاكي، (مصدر سابق)، ص: 418

هذه العتبات المنهجية الموجزة يجدر القول: إنّه لا يمكن دراسة الأغراض الفرعية إلاّ بالوقوف على سياقاتها اللفظية الحالية لأنّ السياق هو الذي يحتم على المتكلم اجتناب اللغة الفاعلة الفعلية ذات الحمولة الإنجازية من حيث الاستعمال.

3-1-2- الإنشاء غير الطلبي:

يُعتبر الإنشاء غير الطلبي الضرب الثاني من الأسلوب الإنشائي. الذي يميّزه عن الإنشاء الطلبي أنّه لا طلب فيه، ويُعرف بأنّه: "ما لا يستلزم مطلوباً غير حاصل وقت الطلب"¹. أي ما اقترن وجود معناه بوجود لفظه، كأساليب التعجب، التّرجي، القسم، المدح، الذم، أفعال الرّجاء لفظ ربّ، وكم الخبرية، وصيغ العقود، ولفظ الردع ب(كلا)، وغيرها². على اختلاف بينهم في بعضها.

فهذا الضرب من الإنشاء لا يدخل ضمن باب علم المعاني، لذلك يُقرّ البلاغيّون بعدم دراسة الأساليب الإنشائية غير الطلبيّة بحجة أنّها في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء، وعندها يمكن القول: "إنّ الإنشاء غير الطلبيّ ليس ركن ركين عند البلاغيّين"³. في إطار الصبغة الجديدة التي صبغت مباحث الإنشاء غير الطلبي عند البلاغيّين بفكرة الإهمال راح النّحويّون يُولون اهتماماً كبيراً بهذا الضرب من الإنشاء، بحيث تعمّقوا في دراسته وتوسّعوا في بحث أساليبه المختلفة لدرجة أنّهم خصّصوا لبعضها أبواباً خاصّة لدراستها حتى⁴. أي اهتموا به أشدّ اهتمام.

¹. عبد العزيز أبو سريع، الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية، ص: 17، 18.

². عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص: 14.

³. المصدر نفسه ص: 14.

⁴. المصدر نفسه ص: 14.

في ضوء ما تقدّم؛ نُحاول أن نقتفي بعض ملامح نظرية الأفعال الكلامية وتحليلاتها في بعض المفاهيم البلاغية في تراثنا العربي، والوقوف وقفات وجيزة عند كلٍّ من تلك الظواهر الأسلوبية بشيء من الدراسة، والتحليل لتبيين بعض الآليات والمسوّغات التي قام عليها هذا الانتقال.

3-1-2-1-أفعال التعجب:

التعجب هو شعور داخلي انفعالي يحدث في النفس عمّا خفي سببه لذلك قيل: "إذا ظهر السبب بطل العجب"، وله صيغتان قياسيتان هما: (ما أفعله!) و(أفعل به!) نحو قولك: "ما أجمل السماء!" و"أجمل بالسماء!"¹. فالجملتان كلتاها تُعبران عن شعور انفعالي ينتاب النفس دون أن نعرف له سبباً، وعندها فلا مندوحة القول إنّ صيغة التعجب "صيغة إيقاعية لفظية لا ينظر فيها إلى عنصر الزمن، لذلك إذا أريد مراعاة الزمن في جملة التعجب أشير إليه بالقرائن الدالة عليه"². اشترط في المتعجب منه أن يكون معرفة أو نكرة مخصوصة، ففي قولك مثلاً: "ما أحسن زيدا ورجلا معه!" فلولا ذكرنا للفظه "معه" لما كان للكلام معنى، وذلك أنك إذا قلت: "ما أحسن رجلاً!" بالتثنية فليس هذا ممّا يُفيد به السامع شيئاً لأنه لا يستنكر أن يكون في الناس من هو كذا كثير³؛ فعنصر الإفادة إذن وسيلة مهمّة لتحقيق عملية التواصل اللغوية المناسبة لمقتضيات السياق بحيث يستلزم أن يكون في لفظ التعجب معنى يُفيد به السامع، وهذا الشرط "ليس شرطاً مندرجاً بمعايير "سيرل" في المحتوى القضويّ وإنما ينبغي أن يكون

¹. رضى الدين الإسترابادي، شرح الكافية في النحو، تح: رجاء عكاوي، لبنان، بيروت، دار الفكر، دط، 2000، ج2، ص:307.

². عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص: 16.

³. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 153.

مندرجا فيما سمّاه "قوى متضمّنة في القول بلا محتويات قضويّة"¹. لأنّ المحتوى القضوي في الجملة السابقة - ما أجمل السماء! - ليس المقصود منه جمال السماء وإنما تحميل المتكلّم لجمال السماء.

3-1-2-2- أفعال المدح، والذمّ:

يُوضع لإنشاء المدح أو الذم أسلوبان إنشائيان ومن صيغتهما: "نعم وبئس" و"حبذا ولا حبذا"، ومنه قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾² (للمدح)؛ وقوله أيضا: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾³، وليس خافيا على أحد ما "للاستربادي" كذلك من آراء سديدة في مواضع عديدة من كتابه "شرح الكافية" حول ضرورة ألا يكون الحكم على الكلام بالرداءة والجودة يقول في ذلك "إنّك إذا تلفظت بـ (51)، فإنّما تنشئ المدح وتحدثه بهذا اللفظ، وليس المدح موجودا في الخارج في أحد الأزمنة الثلاثة مقصودا مطابقة هذا الكلام إيّاه حتى يكون خيرا"⁴. تبين لنا أنّ مدح الشّيء يكون على جودته الحاصلة خارجا، ويُقاس عليه ذمّ الشّيء لرداءة حاصلة في الخارج، ودور المتكلّم هنا في المدح والذمّ ليس وصف تلك الجودة أو الرّداءة الواقعتين في الخارج، إنّما هو تحسين حسن زيد في المدح وتقبيح قبح زيد في الذمّ؛ وهكذا ندرك إلى أيّ مدى يمكن - بتطبيق معايير "سيرل" - أن نعتبر هذين الأمرين - الرّداءة والجودة - شرطين معدّين للمدح والذمّ، وما

¹. المرجع نفسه، ص: 154.

². سورة ص، الآية 30.

³. سورة الجمعة، الآية 05.

⁴. رضي الدين الاستربادي، شرح الكافية في النحو، ج2، ص: 211.

يعزز القول ما ذهب إليه "سيرل" في قوله: "...ومبدأ الشُّروط المعدّة من أهمّ المبادئ التي تؤثر في هويّة الأفعال الكلامية وفي قوّتها وضعفها، وفي تصنيفها"¹. فحواه أن تجتمع ظروف تداوليّة معيّنة خاصّة بالمتكلّم أو المخاطب، فتغيّر من قوّة أحدهما وتؤثّر من ثمّ في الخطاب وتجعل من الفعل فعلا كلاميًا ناجحًا أو فاشلا.

3-1-2-3- أفعال الرجاء:

تدلّ على وقوع خبرها وتفيد التّرجي، وتتمثّل في: (عسى، وحرى واخلولق) وتعتبر أفعال جامدة، ومن أمثلة ذلك قول أحد الشعراء:

عَسَى الْكَرْبُ الَّذِي أَمْسَيْتُ فِيهِ *** يَكُونُ وِرَاءَهُ فَرْجٌ قَرِيبٌ

ومثاله أيضا: حرى المسلم أن يعود إلى القرآن². أي يترجى أن يعود المسلم إلى الإسلام.

3-1-2-4- القسم:

القسم أسلوب من أساليب توكيد الكلام وتثبيته وإظهار معانيه ومقاصده على الطّريقة التي يقتضيها المتكلّم، وهو اليمين أو الحلف يُؤدّى ببعض حروف الجرّ: "الباء" و"الواو" و"التاء" واللام أو بألفاظ دالة عليه، ويتكوّن من (المقسم به والمقسم عليه)، وبهذا تتحقّق وظيفته التداوليّة³، نحو قوله تعالى على لسان سيّدنا "إبراهيم عليه السلام": ﴿ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ {56} وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ ﴾⁴، ونظرا إلى قدسيّة القسم وعلاقته بالمعاني الدنيّة وقوّة دلالته الإيحائيّة؛ فإنّ الاستدلال به يكون أشدّ وقعا

¹. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب. ص: 155.

² عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص: 27.

³. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 156.

⁴. سورة الأنبياء، الآيتان: 56. 57.

في النفس كما رأينا في الآية الكريمة، وذلك لكون دلالة القسم أبلغ من قوة التوكيد من حيث تقرير الأخبار وحمل المخاطب على التصديق، فإن الفعل التأكيدى - تَاللّهِ لَأَكِيدَنَّ - تضمّن طلبا فيه الإخبار والوصف لأن الصيغة خبرية تتراوح بين الصدق وغير الصدق والضابط التداولي يدفعنا إلى إدراجه بلغة "سيرل" ضمن التقريرات والكفاءة التداولية لخطاب القسم تتمظهر في خلق شحنة صدق تغطي الملفوظ اللساني لما يحمله هذا الأسلوب من مكانة في حياة الناس .

تكمّن القوة الإنجازية للقسم في كونه نابعاً من شعور نفسي داخليّ ليس له وجود في الخارج، وكذلك كونه من المؤكّدات المشهورة التي تمكّن الشيء في النفس وتقويه، وأنّ الخلفية في تصنيف القسم ضمن الإنشاء (غير الطلبي) هي ملاحظة أنّ المتكلّم ينشئ يمينا للتعبير عن صحة ما يعتقد، ومن هنا يمكن القول: "إنّ السياق ركن ركين في اجتباء اللغة الفاعلة والفعليّة ذات الحمولة الإنجازية المناسبة، بحيث لا يمكن تجاوز أيّ مقارنة لغوية باحثة عن المقاصد والأغراض .

3-1-2-5-التكثير:

هو أن ينشئ المتكلّم استكثارا لعدد من شيء وذلك باستعمال "ربّ" أو "كم الخبرية" للتعبير عن الكمّ، ويشير "عبد السلام هارون" إلى أنّه: "لكلّ من التكثير أو التقليل معنى إنشائي لأنّ كليهما يكون في نفس المتكلّم، وليس له وجود في الخارج حتّى يحتمل الصدق والكذب"¹. يقول "ابن يعقوب" متحدثا عن (ربّ): "إنّها للإنشاء باعتبار أنّك إذا قلت مثلا: "ربّ جاهل في الدنيا"، فالمراد هنا هو أنّك تستكثر

¹. عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص: 27.

الجاهلين"¹، ومثال (ربّ): ربّ فقير عفيف، ومثال (كم) قول "أبي تمام" يمدح "إسحاق ابن إبراهيم":

كَمْ نَفْحَةٍ لَكَ لَمْ يُحْفَظْ تَدْمُهَا **** لَصَامَتْ الْمَالَ لَا إِلَّا وَلَاذُ مِمَّا².

فكم في البيت الشعري أفادت معنى التكرير لعدد النفحات.

3-1-2-6- أَلْفَاظُ الْعُقُودِ وَالْمَعَاهِدَاتِ:

حملت الظاهرة في طبيعتها قدرا تداوليا لا يستهان به، ذلك أنها تمثل أهمّ مظهرٍ للأفعال المتضمنة في القول، وهي الصيغ التي تتضمن عقود البيع والشراء مثل: (بعت واشترت، وعقد الزواج والطلاق مثل: (نكحت وطلقت)، وعقد الإجارة مثل: (أجرت واستأجرت)... وغيرها³. فهي تعدّ أقوى مسألة يرتكز عليها في إثبات بحث العلماء لنظرية الأفعال الكلامية، لكن البحث فيها كان قليلا لأنّ التحويين والبلاغيين لم يعيروا هذه الصيغ العناية، فأهملوا دراستها بحجة أنّها أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء على غرار الأصوليين وبعض الفقهاء، فقد أظهروا اهتمامهم الكبير بهذه الصيغ، فبحثوا بعناية في ظواهر من الأفعال الكلامية الناتجة عن الصيغ الأصلية عن طريق مناقشاتهم لها في ثنايا مباحثهم الفقهيّة، يقول "مسعود صحراوي": "أما في التراث العربي فلم تُول هذه الصيغ حقّها من العناية لأسباب قد يختلف فيها الدارسون في تحديدها، ومن مظاهر نسيان تلك الصيغ أنّها لم تأت مفصّلة إلاّ في الكتب التطبيقية لظواهر الخبر والإنشاء ككتب الأصول والفقّه بوصفها متعلّقة بإبرام العقود وفسخها... فالبحث النحوي

¹. المرجع نفسه ص: 27.

² عبد العزيز أبو سريع ياسين، الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية، ص: 18..

³. المصدر نفسه، ص: 18.

والبلاغي لم يُعبر تلك الظواهر من الاهتمام إلا شيئاً يسيراً¹. نجد الإقرار نفسه بوجود كتب الفقهاء والأصوليين قد استفاضت بدراسة الظواهر التي تقتضي إبرام عقود أو فسخها، وذلك من خلال إنشاء أفعال كلامية ينجز عن طريقها العقد، فمثلاً في الزواج الإسلامي يقتضي أخذاً وردّاً من الزوجة والزوج، ويشترط صيغتي (القبول والإيجاب) نحو قول المرأة أو (وليها) للزوج:

- زوّجتك نفسي (أو ابنتي) بشرط كذا.

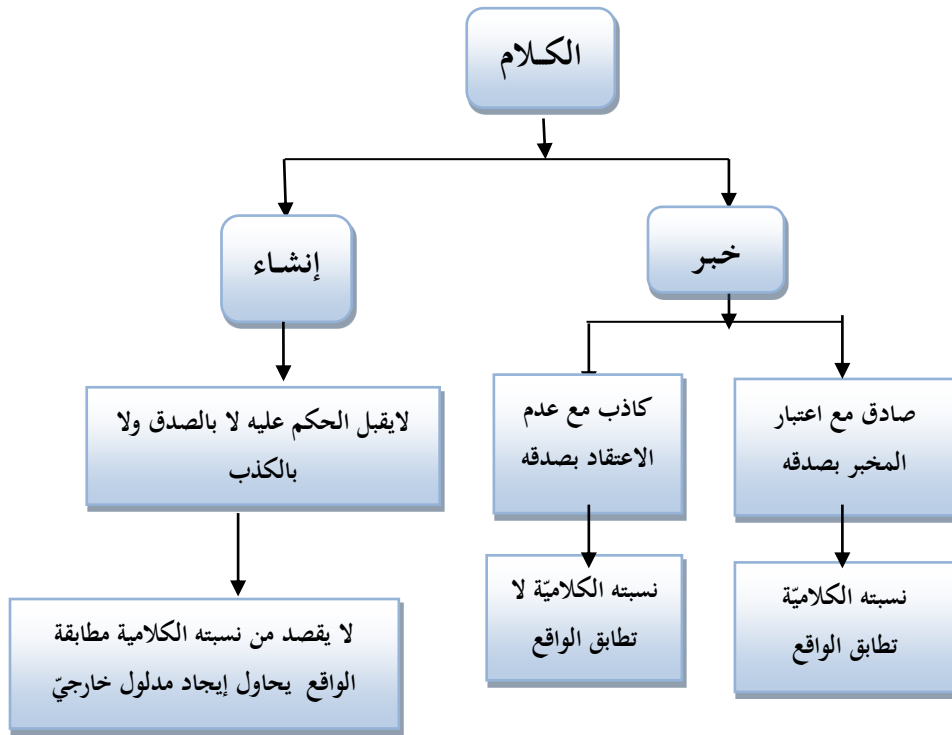
- يردّ الزوج: قبّلتك زوجة لي.

فبمجرد التلقظ بصيغة القبول يقع الزواج الشرعي، وتتمّ العلاقة الزوجية بهما معاً، ولا يمكن تحديد نهايتها إلا بتلفظ بفعل كلامي واحد كأن يقول الزوج لزوجته: "أنت طالق"، فصيغة: "أنت طالق" تُعدّ فعلاً كلامياً أنشأ فعل الطلاق حقيقة في الواقع². ولئن كان "مسعود صحراوي" قد أبدع في الكلام عن ألفاظ العقود والمعاهدات؛ فلا مراء القول إنّ لألفاظ العقود والمعاهدات في كتب الفقه الإسلامي كما في القوانين كلّها أهمية كبيرة وعناية بالغة تتجلى من خلال بحوثهم التطبيقية المستفيضة بالدراسة والتحليل، وفي كونها ساهمت في تغيير تلك النظرة التقليدية في معالجة الظاهرة اللغوية التي كانت تنحاز بقوة للاستعمال المعرفي والوصفي للغة، حيث نظرت إلى اللغة باعتبارها قوّة فاعلة في الواقع ومؤثّرة فيه³، وهذا ما جعلها (تموضع) ضمن الإيقاعات بحسب اصطلاح التداوليين المعاصرين، وبمعايير "سيرل" تُوضع ضمن الأفعال المتضمنة في القول ويُمكن تلخيص ما جاء في هذا الاتجاه بالمخطط الآتي:

¹. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 157.

². مسعود صحراوي، مرجع سابق، ص: 159.

. المرجع نفسه ص: 159³.



ما يُمكن قوله في الأخير من خلال العرض المختصر لبعض تصوّرات العلماء العرب وآرائهم في التّمييز بين الخبر والإنشاء مختلفة؛ إنّه على الرّغم من الاختلاف الإيجابي والتّعدد في وجهات النظر فإنّه يمكننا أن نُميّز بين الأسلوبين عن طريقة التّأليف بين تلك الآراء بتصوّر مفاده أنّ الخبر يُعدّ الخطاب التّواصلية المكتمل إفادياً، والذي يُريد المتكلّم من نسبته الكلامية أن تطابق نسبه الخارجية، وأنّ الإنشاء يعني الخطاب التّواصلية المكتمل إفادياً والذي يريد المتكلّم من نسبه الكلامية أن توجد نسبه الخارجية، كما لم يغفل العلماء العرب عن التّمثيل للمكون الوظيفي التّداولي في النّظرية اللّغوية العربيّة فقد استبان من غير وجه أنّهم عاجلوا الجملة على مساق التّخاطب، فشكّلت الأساليب الإنشائية عندهم حجر الأساس في الدّراسات الأصولية والنّحوية والبلاغية، وجاء تحليلهم لتلك الأساليب دقيقاً إلى درجة أنّ أبحاث "أوستين وسورل" لا يمكن أن نعتبرها إلاّ تابعا لما بحثه العرب في هذا المجال.

المبحث الثاني:

الأفعال الكلامية في الدراسات الغربية

1 - نظرية الأفعال الكلامية

2 - الأفعال الكلامية في أبحاث جون أوستين

3 - الأفعال الكلامية في أبحاث جون سول

تمهيد:

تُعدّ نظرية الأفعال الكلامية من أهمّ النظريات التي كان لها صدى كبير في مجال الدراسات بالخصوص والركيزة الأساسية التي قام عليها الاتجاه التداولي، فقد استأثرت باهتمام الباحثين في جوانب النظرية العامة لاستعمال اللغة. إنّ الاهتمام المتزايد من مجموع المعارف لنظرية الأفعال الكلامية جعل منها قطب الرحى في الدراسات اللسانية التداولية المعاصرة، خاصة عند دارسي اللغة من منظورها التداولي¹. بحيث انصبّ اهتمامها على دراسة ما يفعله المتكلمون باللغة من تبليغ الأفعال وإنجازها، وتأثيرها وذلك بغرض إنجاح العملية التواصلية بين المتحدثين كما ذهب إليه "أوستين": "لا يمكن أن يكون الفعل الإنجازي ناجحاً تاماً دون أن يحدث تأثيراً في المخاطب"²، وبالفعل الكلامي يمكن أن تتحقّق اللغة وتتجسد في عملية التلقظ والخطاب، وباعتبارها قوّة فاعلة في الواقع ألغت الحدود القائمة بين الفعل والكلام.

1-نظرية الأفعال الكلامية: Speech Acts Theory

ظهر أثر نظرية الاستعمال أو الألعاب اللغوية أوّل ما ظهر في مدرسة "أكسفورد" وخاصة في أعمال الفيلسوف "جون أوستين" J.austine كان أوّل من نبّه عليها من الفلاسفة المعاصرين إذ درسها بنوع من الاستفاضة ثم عمّقها الفيلسوف "سيرل" j.searl الذي مثل استمراراً دراسية منهجية منظمة، استطاع من خلالها تطوير أسس هذه النظرية.

¹.فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص: 23.

².Austin (J.L.S) quand dire c'est fair,P:124.

1- الأفعال الكلامية في أبحاث جون أوستين:

يُعتبر "جون أوستين" مؤسس هذه النظرية وواضع المصطلح الذي تُعرف به الآن في الدراسات الفلسفية واللغوية المعاصرة، وتمثّل ذلك في المحاضرات الاثنتي عشر التي ألقاها في جامعة "هارفارد Harvard" سنة 1955، ونشرت بعد وفاته سنة 1962 في كتاب عنوانه "HowToDo Think Withword"¹. أحدث بطريقته الخاصة تحولات في المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة من الفلسفة اللغوية إلى فلسفة اللغة كمجال فلسفي يبحث في مشكلات اللغة.

مثّلت نظرية الأفعال الكلامية موقفاً مُضاداً للاتجاه الذي كان سائداً بين فلاسفة الوضعية المنطقية Logical positivism الذين حصرُوا وظيفة اللغة في وصف ورسم وقائع العالم stateofaffaires وصفاً إمّا يكون صادقاً أو كاذباً، حيث أطلق "أوستين" على هذا المصطلح المغالطة الوصفية PallayDescriptive باعتبار أنّ هناك العديد من العبارات التي تُشبه العبارات الوظيفية في تركيبها ولكنها لا تصف وقائع العالم، ولا يمكن أن ينطبق عليها معيار الصدق والكذب، كأن يقول رجل مسلم لامرأته مثلاً: "أنت طالق" لا تصف شيئاً من واقع العالم الخارجي، ولا تنشئ قولاً Statement Tomake بل تؤدي فعلاً performance فهي أفعال كلامية². أين ينطلق من موقف جديد وهو: أنّ كلّ الجمل والعبارات مهما كانت طبيعتها قابلة ومعدّة للتواصل وبالتالي فإنّ الوحدة الأساسية للغة هي الأفعال الكلامية، وإذا اعتبرنا الأقوال أفعالاً، فإنّها تسعى إلى أن نحقق شيئاً ما. وبالتالي فإنّ المسألة لا تتعلق بالصدق أو الكذب فقط وإنما بالسياق

¹. محمود أحمد نخلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 42. 43.

². المرجع نفسه ص: 43.

والمناسبة التي تمّ فيها الفعل أيضا¹. وإذا نظرنا في استعمالنا للغة وجدنا أنّ ما قدمه "أوستين" لنظرية الأفعال الكلامية يكمن في نقطتين أساسيتين²:

النقطة الأولى تتمثل في رفضه ثنائية الصدق و الكذب، أما النقطة الثانية تتمثل في إقراره بأنّ كلّ قول عبارة عن عمل، فالمتكلم ينجز عمله بمجرد تلفظه بقول فالقول هو إنجاز لفعل ما في الوقت نفسه.

أُجْز عن هذا الطرح الأوستيني بعدا آخر بالنسبة للأقوال اللغوية، تتمثل في النشاط الاجتماعي الذي تحمله الصياغات اللغوية المنتجة من طرف الأفراد في إطار التواصل، وهو بعد مهم في نظره بالنسبة لوظائف اللغة. فدورها لا ينحصر في نقل الأخبار ووصف الوقائع، وتوصيل المعلومات إلى المتلقي عن طريق علامات صوتية، بل إنّ هناك أفعالاً تنجز في الواقع وتُبدل قناعات الأفراد واعتقاداتهم بمجرد التلفظ بها، حيث اعتبر هذا الفيلسوف أنّ "إحداث التلفظ هو إنجاز لفعل وإنشاء لحدث"³.

سعى أوستين في البداية إلى تمييز نوعين من الأقوال، حيث أطلق على النوع الأول مصطلح الأقوال الإنجازية Performative Location وهو الملفوظ المرهون ببعض شروط النجاح التي تحقق الفعل الذي تسميه⁴. أيّ إنجاز ما قيل عن طريق التلفظ. فاللغة تشتمل على أسئلة وعبارات تعجب وأوامر وتعايير خاصة بالوعود والأمنيات والترغيب والتشجيع... بينما أطلق على النوع الثاني مصطلح الأقوال الإخبارية (التقريرية) Location Constative وهي الأقوال الخاضعة لمعيار الصدق والكذب مثل الملفوظ افتح

¹. الزواوي بغورة، الفلسفة واللغة، ص: 104.

². الجليلي دلاش، (مرجع سابق)، ص: 22.

³. جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ترجمة عبد القادر قنبي، افريقيا، الشرق، الدار البيضاء، 1991، ص: 17.

⁴. محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 42، 43.

الباب...، فهذا ملفوظ إما صحيح أو خاطئ، وتحقيق الفعل مستقبل تماماً عن تلفظ الجملة وبالتالي يصبح هذا الملفوظ تقريريًا Constative¹. غير أن أوستين استخلص لاحقاً عدم دقة هذا التمييز، ذلك أنّ الأقوال التقريرية غالباً ما تعمل هي الأخرى على إنجاز فعل الإخبار، وبالتالي فإنّ هناك أفعال كلامية قد تأتي في سياق حال ما في صفة خبرية وتفيد الإنجاز. مثلاً: السماء صافية وبما أنّ "أقول" فعل إنجازي فإنّه ينقل الجملة من الخبر إلى الإنجاز ويتحدّد نوع الملفوظ من خلال الفعل الذي يظهر فيه على الشكل التالي:

أ-أفعال إخبارية: مثل: توفّي، قرأ، رسم، ملتئم، تونس.

ب-أفعال إنجازية: مثل: أرجو، أتمنى، أشكر، أرفض²، لكم صفراً ممتعاً.

أشار أوستين إلى إمكانية فشل الأقوال الإنجازية وعدم تحققها مستخدماً حياها معياراً مختلفاً عن معيار الصدق والكذب، فهي إما أن تكون مُوفقة Happy أو غير مُوفقة Un Happy ولضبط نجاح أو فشل الفعل الكلامي وضع أوستين مجموعة من الشّروط وقسمها إلى شروط تكوينية وقياسية³. فأما الشّروط التكوينية فهي:

1-وجود إجراء عرفي مقبول وله أثر عرفي معين...

2-أن يتضمن الإجراء نطق كلمات محددة ينطق بها أناس معينون في ظروف معينة.

3-أن يكون الناس مؤهلين لتنفيذ هذا الإجراء...

4-أن يكون التنفيذ صحيحاً.

¹. عادل التامري، التداولية ظهورها وتطورها www.elaph.com

². الجليلي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص: 22.

³. محمود أحمد نخلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 44

5- أن يكون التنفيذ كاملاً.

وأما الشروط القياسية Regulative فهي¹:

1- أن يكون المشارك في الإجراء صادقاً في أفكاره ومشاعره.

2- أن يكون المشارك صادقاً في نواياه.

3- أن يلتزم القائل بما يلزم به.

4- أن تكون مبنية للفاعل.

5- أن يكون زمن الفعل هو زمن المتكلم.

اعتبر أوستين الشروط التكوينية مهمة مقارنة بالشروط القياسية، ذلك أن الأولى إذا تحققت كانت فعلاً أدائياً موقفاً، وإذا لم تتحقق كان ذلك أدائياً بإخفاء الأداء Misfire. أما بالنسبة للثانية (الشروط القياسية) فهي ليست ضرورية لإنجاز الفعل: أي أنّها إن لم تتحقق ينتج إساءة أداء الفعل Abuse²، ويوضح كذلك أن خرق أحد هذه الشروط كفيل بتحويل الجملة إلى عبارة وصفية.

بالإضافة إلى هذا الجهد توصل "أوستين" في آخر مرحلة من مراحل بحثه إلى تقسيم الأفعال الكلامية إلى نطقية أو لفظية، واعتبر أنّها الأصوات التي ينطقها المتكلم بصورتها التركيبية الفعلية ومعناها المعجمي، وإنجازية وهي التي يقصد من خلالها المتكلم الوصول إلى بعض الأهداف والمرامي والأغراض، وتأثيرية وهي ما يخلفه القول من تأثير. ويمكن إجمال هذا التصنيف فيما يلي:

¹ محمود أحمد نخلة، المرجع السابق، ص: 44.

² المرجع نفسه ص: 44.

1- فعل التلفظ: "Elocutionary Act": وهي تلك الألفاظ التي تنتمي إلى جمل سليمة نحويًا وذات دلالة معينة¹، أي تلك الأصوات التي تصدر من متكلم معين وتعني قولاً ذات معنى معين. ويندرج تحت هذا القسم ثلاثة أفعال لغوية فرعية بحسب تقسيم أوستين:²

1-1- الفعل الصوتي: يعني التلفظ بسلسلة من الأصوات.

1-2- الفعل التبليغي: يقوم بانتهاج كلمات يكون لها رصيلاً في المعجم وتكون خاضعة لقواعد النحو والتركيب.

1-3- الفعل الخطابي: يتمثل في الربط بين الكلمات ودلالاتها حسب ما تُحِيل إليه.

تجدر الإشارة في هذا المقام إلى أنّ الأفعال الفرعية الثلاثة متداخلة فيما بينها بحيث أنّها تنجز في وقت واحد. فنحن ننتج سلسلة من الأصوات التي تنتمي إلى لغة معينة ضمن شكل عرفي يمكن معرفته، وتنجز هذا العمل بقصد مساوٍ أيضاً، لأننا في العادة لا نتكلم على إرادتنا، فمن خلال إنتاج الأصوات نقوم في الوقت ذاته بأحداث فونولوجية ومورفولوجية ونحوية وتركيبية³، حيث أشار "فان دايك" في قوله: "ونحن نفهم من فعل الكلام الأصلي... النحوي"⁴. بمعنى الرجوع إلى أصل الكلمة يفهم المعنى من خلال سياقها النحوي.

¹ . مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب، ص: 55.

² . مسعود صحراوي، المرجع السابق، ص: 56

³ . نون أفان (دايك)، علم النفس، مدخل متداخل الاختصاصات، تر. سعيد حسن لجيري، دار القاهرة للكتاب (مصر) ط1، 2001، ص: 130.

⁴ . نون أفان (دايك)، المرجع السابق، ص: 263. 265.

2- فعل قوة التلفظ: Illocutionary Act

يتصل هذا الجزء من التصنيف بالوظائف التي تنتج من أي صيغة كلامية كالوعد والسؤال و الاستفهام... وبمعنى أدق "هو ما يؤديه الفعل اللفظي من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي"¹. فعملية إنجاز الفعل الكلامي وتحققه مُتعلقة بقصد المتكلم وفهم السامع القصد فهما جيّدا ومن ثمة الاستجابة له. يضع أوستين بعض المقاييس التي يتحدّد وفقها الفعل الإنجازي يمكن حصرها في النقاط الآتية²:

- إنّ الفعل الإنجازي ينجز في الكلام ذاته، فهو إذن ليس نتيجة تنتظر من الكلام.

- إنّ الفعل الإنجازي قابل للتفسير والتأويل بواسطة صيغة إنجازية مناسبة له.

- إنّ الفعل الإنجازي ذو صيغة اصطلاحية تواضعية.

3- فعل أثر التلفظ: Perlocutionary Act

بمعنى التسبب في نشوء آثار في العواطف والأفكار كالإقناع والارشاد³، أي أنّ الكلمات التي يُنتجها المتكلم في بنية لغوية منتظمة محمّلة بمقاصد معينة في سياق محدّد تعمل على تبليغ رسالة، وتُحدث أثرا على المتلقين أو المستمعين. إنّ هذا البعد الإنجازي الذي انبثق في تصوّر أوستين كان في مستوى القبول المعرفي لدى نخبة من الفلاسفة واللغويين الذين أقرّوا بالطابع الإنجازي للتلفظات، مخالفين بذلك رؤى جمع كبير لا يستهان به من المناطقة والفلاسفة الوضعانيين الذين ركزوا

¹. محمود أحمد نخلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي، المعاصر، ص: 45.

². علي آيت أوشان: السياق والنص، الشعري، من البنية إلى القراءة، دار الثقافة للنشر و التوزيع، المغرب، الدار البيضاء، ط1 2000، ص: 71.

³. محمود صحراوي، مرجع سابق، ص: 57.

اهتمامهم في دراسة المعنى في إطار ما عُرف بالمعنى القضوي للجملة التقريرية الخبرية، وهي الجملة التي يُمكننا الحكم عليها قضوياً بالصدق أو الكذب دون إعطاء أدنى اعتبار الأنماط الأخرى من الجمل، ومن بين الفلاسفة واللغويين الذين تأثروا بالمنعطف المعرفي الأوستيني: جاك موشلار J. Moeschler وأنطوان أوشلين A. Auchlin، حيث أُعتبر هذان الأخيران في مؤلفهما *Contemporaine Linguistique la Introduction* أنّ نظرية أفعال الكلام مرتكزة على "الثورة ضدّ الفكرة القائلة أنّ وظيفة اللّغة هي وصف العالم، الإيهام الوصفي، وأنّ كلّ الملفوظات التقريرية تقوم على ثنائية الصدق والكذب، فالعكس من ذلك: أنّ وظيفة اللّغة هي التأثير على الواقع والسماح لمن ينتج الملفوظات إنجاز هذا الفعل، وفي هذه الحالة لا تخضع الملفوظات الثنائية للصدق والكذب"¹. فالوظيفة الإنجازية التي تتأتّى من الملفوظات هي التي تُحدث القطيعة بين تطبيق معيار الصدق والكذب وكلّ الملفوظات التي تصدر من متكلّم معيّن.

يمكن اعتبار الإنجاز الذي قامت عليه نظرية الأفعال الكلامية بمثابة الدعامة الأساسية²، بخلاف التّصورات والتنظيرات التقليدية التي أخفقت في الكثير من الأحيان في إعطاء القيمة الحقيقية للملفوظات بسبب تغاضيها عن البعد الإنجازي المنبثق من العبارات والأقوال والخطابات المتلفظ بها، وماينجر من آثار مختلفة عنها كقلب القناعات والتأثير عليها والاتجاه نحو قلب حركية الواقع وجوهره.

¹.Jaque Moeschler ,Antonie Auchlin, Introduction à linguistique contemporaine, deuxième édition, armande colin/Her Paris, 1997.2000, p 135.

².Voire .F.Recanati , la transparence et l'énonciation, Edition du seuil, Paris, 1979, P:100.

قدّم أوستين تصنيفاً للأفعال الكلامية، من حيث معناها إلى مجموعات وظيفية، معتمداً في هذا التصنيف على معيار "القوة الانجازية" Illocutionary Force وهو تقسيم غير مستفيض باعتراف أوستين ذاته¹.

أ- **الأفعال الدالة على الحكم Verdictives**: وهي أفعال تثبت في بعض القضايا من سلطة معترف بها رسمياً (القضاة والحكام).

ب- **أفعال الممارسة Exertives**: هي الأفعال الحاملة لقوة في فرض واقع جديد مثل الانتخاب، التعيين، الترشيح... إلخ.

ج- **أفعال الوعد Commisives**: هي أفعال كلامية تُلزم المتكلم القيام بعمل ما معترف به من قبل المخاطب، ومن أمثلتها: الوعد والضمان والتعاهد... إلخ.

د- **أفعال السلوك Behabitives**: وهي ردود الأفعال الناتجة لحدث أو مثير ما كالاعتذار والشكر.

هـ- **أفعال العرض Expositives**: تستخدم هذه الأفعال الكلامية عادة في إيضاح وجهات النظر والآراء عن طريق الحجج، مثل الإثبات، التأكيد، النفي، الشرح التوضيح... إلخ.

اشتراط أوستين في تحقيق الفعل الكلامي عامل القصدية* والمقصود بذلك هو أنّ الفعل الإنشائي الذي يصدر عن شخص يرفض- في قرارة نفسه- دلالته يعتبر

¹ عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الطبعة (1) 2003، ص: 158.159.

*يقوم هذا المفهوم على أبعاد ومرتكزات تداولية، كانت محل اهتمام الفلاسفة التحليليين والتداوليين على حد سواء وقد نشأ عن هذا الاهتمام والدراسة مجموعة من المفاهيم المترابطة ومنها على الخصوص: مبدأ الفضاء المزدوج لتمظهرات فعل اللغة، مبدأ الاستراتيجية، الصريح الضمني، نمط تنظيم الخطاب، ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء، ص 44.

فعلا غير متحقق¹، أين وجب على المتلفظ بالفعل الكلامي أن يكون حاملا لقصد صادق في مكونات نفسه لكي يتسنى له تحقيق فعلاً كلامياً ناجحاً وموفقاً، فإذا اعتذر شخص من آخر بواسطة عبارة "أعتذر منك" وهو لا يقصد ذلك حقيقة فإنّ فعل الاعتذار لن يتحقق، لأنّ الشخص المتكلم منا يستطيع أن يقصد أشياء أخرى كالتهكم أو الاهتزاز أو الكذب أو الخديعة أو ما شابه ذلك.

لكن الشيء الأهمّ في هذا المضمّار هو ضرورة الإقرار أنّ جهود أوستين- وإن كان هائلة- لم تكن كفيّلة وحدها بوضع نظرية كاملة متكاملة للأفعال الكلامية، وإنما كانت بمثابة البذور الأولى التي حملت على عاتقها مسؤولية خلق الأسس المنهجية المعرفية التي تقوم عليها هذه النظرية، بصيغة أخرى: إنّ أعمال أوستين كانت بمثابة نقطة انطلاق مهّدت ويسّرت السبيل المعرفي أمام باحث وفيلسوف آخر "ج. سول" J.Searl. عمل هو الآخر على تطوير هذه النظرية.

3- الأفعال الكلامية في أبحاث ج. سول:

عمل الفيلسوف الأمريكي على تطوير نظرية أفعال الكلام لأوستين مضيفاً بعض المبادئ وكان من أهم إضافاته لهذه النظرية مبدأ التعبيرية Principle of excretion القائم على أساس فكرة جوهرية مفادها: "أنّ كلّ ما تريد قوله يمكن قوله"². اقتداء بأوستين اعتبر "سول" أنّ أيّ ملفوظ لساني يعمل كفعل محدد (أمر، سؤال، وعد... إلخ) أي يساهم في إنتاج بعض الآثار ويخلق بعض تعبيرات الموقف التواصلية، كما "اعتبر أنّ المكون الأساسي للملفوظ الذي يمنحه قوته هو القوّة الإنجازية

¹. عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص: 158.

². محمود أحمد نخلة، (مرجع سابق)، ص: 71.

Illocutionary Force إنّ هذه القوّة تطبّق وتُضاف إلى المحتوى المعنوي للملفوظ¹.

تؤكد "أوركينيوني" Kk.Orrechioni هذا الطرح بإعطائها الأمثلة التالية²:

1-جون يدخن كثيرا.

2-هل يدخن جون كثيرا؟.

3-دخن كثيرا يا جون.

4-يا ليت جون يدخن كثيرا.

تحمل إشارات "أوركينيوني" لهذه الملفوظات الأربع نفس المحتوى القضوي، أي نفس المحمول (كثرة التدخين) ونفس الموضوع (جون)، ولكنها في المقابل هذه الملفوظات لا تحمل نفس القوة الإنجازية ففي الملفوظ الأول نلمس أن قوته تتمثل في التقرير، أمّا الملفوظ الثاني فتتمثل قوته الإنجازية في السؤال، وبالنسبة للثالث فإنّ قوته تتمثل في الأمر، أمّا الملفوظ الرابع فتكمن قوته الإنجازية في التعبير عن التمني.

تقول "أوركينيوني" إنّ الكلام بدون شك هو تبادل للمعلومات ولكنه أيضا تحقيق لأفعال مسيرة وفق مجموعة من القواعد... من شأنها تغيير حال المتلقي وتغيير منظومة معتقداته أو وضعه السلوكي وينجز عن ذلك أنّ فهم قول معين يعني التعريف بمحتواه الإخباري، وتوجّهه التداولي³. أي تنطلق النظرية الكلاسيكية لأفعال اللّغة من

¹.CatherineArbratorrechioni, Les Actes De Language, p:16.

².Voire ,Ibid, P: 16.

³. خلود عموش، الخطاب القرآني: دراسة في العلاقة بين النص و السياق، عالم الكتب الحديث، إريد، الأردن، عمان، ط1، 1429هـ، 2008، ص: 31.

الاعتقاد الآتي: إنّ الوحدة الدّنيا للتّواصل الإنساني ليست هي الجملة ولا أيّ تعبير آخر بل هي استكمال (إنجاز) بعض أنماط الأفعال¹، ورائد هذا الاعتقاد جون أوستين.

كما عمد "سورل" إلى التمييز بين ثلاثة مستويات في أيّ نشاط اجتماعي²:

- 1- مستوى اللّسان: بعدد اتفاقات الاجتماعية تحملها العبارة دون التلفظ بها.
- 2- مفهوم الحوافز الفردية: ويقابلها الكلام بالمفهوم السويسري الذي تمنح العبارات اللّغوية دلالات معينة في حالة التلفظ بها.
- 3- على مستوى الاشتراطات الاجتماعية الواسعة: يعني شرح أسباب اختيار دلالة معينة دون اللجوء إلى انتقاء دلالات أخرى.

بناءً على ما تقدّم فإنّ جوهر اللّغة ينتقل من ذلك المفهوم الضيق الذي نُسب إليها من طرف الفلاسفة والمناطقة التقليديين الذين نظروا إلى اللّغة بأنّها جهاز لوصف حال الأشياء، وإثباتها في إطار تطبيق مفهوم ما عُرف بشائبة (الصدق الكذب) إلى جوهر مفاده إعطاء اللّغة مفهوماً آخر يشتغل على آليات وظيفية حركية ليصل إلى فكرة أخرى مفادها أنّ اللّغة نشاط اجتماعي تفاعلي أولاً وقبل كلّ شيء.

اعتبر "سورل" أنّ بنية اللّغة لا تختلف عن بنية الفكر ووظيفتها تتجاوز كونها وسيلة تواصل إلى وسيلة تأثير في العالم والسلوك، من خلال انتقاء بعض العبارات (الأفعال الكلامية) التي يمكن أن تلعب دوراً كبيراً لا يُستهان به في مسألة التأثير على المتلقين مهما كان مستواهم أو خلفياتهم على أساس أنّ الكلام ذو قوة بلاغية كامنة فيه تظهر في حال النطق به، وقوة أخرى تأثيرية على مستوى المتلقي تظهر من خلال الآثار

¹. خلود عموش (مصدر سابق)، ص: 31. 32.

². بوجادي خليفة، في اللسانيات التداولية، ص: 93. 94.

والنتائج المترتبة¹. وبذلك فإنّ تحديد دلالة جملة ما اعتداداً بهذا المفهوم لا يمكن إذا استمر فصل قيمتها الوصفية عن قيمتها الملفوظية التي تقرّها.

يرى "سورل" J.Searl في كتابه أفعال الكلام Speech Act 1969 أننا نقوم بأربعة أفعال حين تتلفظ بعبارة ما.

1- التللفظ بالكلمات: يتمثل في التللفظ بعبارة لغوية ما طبقاً للقواعد الصوتية والتركيبية لتلك اللغة على نحو صحيح (وهو يضم كلّ من الفعل الصوتي والتركيب عند أوستين) يقول "سورل" إنني أسمى فعل قول شيء ما بالمعنى العادي التام أداءً للفعل التعبيري وأسمى دراسة المنطوقات حق هذه النقطة، ومن هذه الجوانب باسم دراسة التعبيرات أو الوحدات التامة للكلام². أي أنّه لا يهتم بالجانب التركيبي للكلمة في سياقها .

2- الفعل القضوي: يشمل المتحدّث عنه أو المرجع Reference والمتحدّث به أو الخبر Prediction وينقسم حسبه إلى فرعين أساسيين هما³:

1-2- الفعل الإحالي: Relegation Act يُسهّم في ربط الصلّة بين المتكلمين (المتكلم

والسامع)، ويمكن توضيح ذلك من خلال الأمثلة الآتية:

1- أنصحكم بمغادرة القاعة.

2- عنتره بن شداد شاعر جاهلي.

3- بلدية مدينة الورود.

¹ جان سرفوني، الملفوظية، ترجمة قاسم المقداد، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998، ص: 18.

² الزواوي بغورة، الفلسفة واللغة، ص: 108.

³ محمود أحمد نخلة. أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. ص: 71.

فالجملّة (1) أحالت على الآنا في أنصحكم بصيغة الفعل المضارع "أفعل" وعلى "الأنتم" بالضمير "كم" الذي يحيل إلى مجموعة من الأشخاص في العامل الخارجي. أمّا عنترّة بن شداد في الجملّة (2) فيحيل إلى اسم شخص معين معروف في عالم الشعر كما تحيل كلمة بليدة في الجملّة (3) إلى اسم علم لمكان معين.

ميّز "سورل" بين الإحالة كفعل والإحالة كنتيجة؛ ذلك أنّ الكلمات التي تُكوّن جملة ما إذا عزلت عن سياق المتحدثين بها تكون كلمات معجمية ذات معنى عام¹، وتفقد دلالاتها على التخصيص أو التعريف أو التحديد.

2-2-الفعل الحملّي: Preaching Act هو الاسنادي أي أن تستند نسبة المحمول أو

الحمل إلى الموضوع المحال عليه، كأن نحمل على شخص أحلنا عليه فعل شيء ما، أي أن ننسب إليه فعل ذلك الشيء مثل قولنا في الجملّة السابقة "عنترّة بن شداد شاعر جاهلي"، فقد أحلنا بعنترّة على شخص معين وحملنا عليه فعل شيء معين، فنسبنا له الشعر أو اشتغاله بالشعر.

كما ميّز "سورل" بين الجمل كفعل والجمل كنتيجة، ذلك أنّ المتكلم هو الذي يسند إلى الموضوع محمولاً ما قد يكون فعلاً أو صفة بغض النظر عن الغرض المنجز الذي قد يكون أمراً أو تمنياً أو إخباراً أو تهديداً. وعمد إلى تصور قوامه أنّ الفعل الإحالي والفعل الحملّي يشكّلان قضية واحدة² (Proposal) ومع ذلك لا تعتبر القضية فعلاً كلامياً.

¹. يحيى بعطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص: 152. 153.

². الجليلي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص: 25.

3- الفعل الغرضي: (الإنجازي) Act Illocutionary

هو الفعل الذي يحدّد الطريقة التي يستعمل بها التعبير، فقد يكون تحذيراً أو تهديداً أو وعداً أو أمراً مثل (أنصحك، أمرك... إلخ¹)، وبهذا يكون الفعل الغرضي تلك المساحة التي تبرز من خلالها اعتبارات استعمال اللغة، ويتداخلان الفعلان القضوي والغرضي فيما بينها تداخلاً شديداً يجعل كلّ فعل من هذين الفعلين مكماً للآخر بحيث لا يمكن التلفظ بفعل قضوي دون أن يكون لنا مقصد معين من نطقه، ويعتبر "سورل" الفعل الإنجازي بمثابة الوحدة الصغرى *Minimale Unité* للاتصال اللغوي ككل² لاعتماده على اللغة في تحديد مقصد الكلام.

4- الفعل التأثيري: Act Perlocutionary

يُجسد هذا المفهوم النتائج والتأثيرات التي تُحدثها الأفعال الإنجازية السابقة على أفكار ومعتقدات المستمع، فقد يخيفه وقد يحقره وقد يُجزئه وقد يُشعره بالسعادة، فعلى سبيل المثال ربما يقنع شخصا معينا أنّ شيئاً حقيقية واقعة أو بحث شخصاً معينا لأداء شيء ما³، بمعنى أنّ هذا المفهوم لا ينفصل مع مفهوم قوة التلفظ بل يلازمه وبهذا ينجز المرء فعلاً عن طريق القول. وعلى هذا الأساس يُميّز "سورل" بين نوعين من القواعد:⁴

أ- القواعد التأسيسية: *Rules Constitutive* هي القواعد التي تُحدّد معايير إنجاز الفعل الكلامي وإنجاحه وأيّ حلّ فيها يُؤدّي إلى فشل الفعل الكلامي.

¹. الزواوي بغورة، الفلسفة واللغة، ص: 108..

². محمد أحمد نخلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. ص: 72.

³. الزواوي بغورة، (مرجع سابق)، ص: 108.

⁴. Les actes de langage , essai de philosophie de langage, P: 72.73.

ب- القواعد الضابطة: Normative rules هي القواعد التي تحكم وتسير أشكال السلوكيات الموجودة في الواقع مثل: قواعد التهذيب التي تُنظّم العلاقات بين الأشخاص التي يُمكن أن تحتل دون أن يفشل الفعل الكلامي، ومثال ذلك لعبة الشطرنج حيث يمكننا استعمال أدوات من ورق أو حديد بدل الخشب دون أن يؤثر ذلك على سير اللعبة فحرق أحد هذه القواعد لا يؤدي إلى فشل الفعل الكلامي. ولم يكتف "سورل" بهذه القواعد بل أضاف إليها مجموعة من المعايير بلغت حوالي اثنا عشر معياراً، يرى أنّها تُساعد على التمييز بين الأفعال الإنجازية¹، ومن ثم تُسهل علينا تصنيفها بحسب الاختلافات الموجودة في كلّ فعل إنجازي وآخر. بالإضافة إلى هذه الجهود اقترح "سورل" تصنيف الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف:

1- الإخباريات (الاثباتيات) Assersifs²:

تكون عندما يتعهد المستمع بحقيقة الخبر، وهي تمثيل حقيقي للمعالم ومن أمثلتها: الأحكام التقريرية والأوصاف الطيبة و التصنيفات.

2- الأوامر: (التوجيهات) Directives

هي الأفعال الكلامية المعنية بحمل المخاطب على فعل معين³، أي أنّها أفعال كلامية تعهدية بالدرجة الأولى، إذ نجدّها في الرّهانات والعقود والضمانات... إلخ.

¹ صلاح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص: 224 .

² جون سورل، العقل واللغة والمجتمع في العالم الواقعي، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي، منشورات الاختلاف الدار العربية للعلوم، الجزائر، ط1، 2006، ص: 217.

³ خليفة بوجادي، (مرجع سابق)، ص: 99.

3-الإلزاميات (الوعديات) Commissifs

تتجسّد في تلك الملفوظات التي يلتزم فيها المتكلم بفعل شيء ما¹؛ بمعنى أنّها أفعال كلامية تعهدية بالدرجة الأولى ونجدها في الوعود، العقود الضمانات... إلخ.

4-التعبيرات: (التصريحات) expressive²

تتمثّل في الملفوظات أو الأفعال الكلامية المشتملة على كلمات وعبارات تُعبّر عن الحالة الشعورية للمتكلّم إزاء واقع أو شيء مُعين مع مراعاة شرط الصدق، ومن أمثلتها التشكرات و الاعتذارات والتهاني....

يرمز "سورل" لهذه الفئة بالرمز الموالي: ع Ø ك (س/ص + خاصية) حيث يشير (ع) على الغرض من التعبير و (Ø) ترمز إلى إفراغ (رمز فارغ) لاتجاه المطابقة (ك) يدلّ على الحالة السيكلوجية (النفسية) المعبر عنها في أداء الأفعال الغرضية لهذه الفئة وهي تمثل المدى المتغير لهذه الأفعال، حيث يعتبر المحتوى القضوي خاصية وليس فعلا ويكون موجها إمّا ل (س) المتكلّم وإمّا ل (ص) المستمع³. أي أنّ "سورل" أعطى كلّ فئة رمزاً سهّل بها عملية التمييز بين الأفعال .

5-الإنجازات: Déclaration

تتميّز هذه الفئة من الأفعال بأدائها الناجح أين يحاول المتكلم إحداث تغيير في الواقع وعليه نجدها في التلفظ ذاته⁴، ويرمز "سورل" لأفعال هذا الصنف بالصورة الرمزية التالية: (إ) Ø (م) حيث يُمثّل الرمز (إ) إنجاز أفعال هذه الفئة والسهم (➤) يشير

¹ . بوجادي خليفة، (مرجع سابق)، ص: 99.

² . جون سورل، العقل واللغة والمجتمع، ص: 218.

³ . صلاح إسماعيل عبد الحق : التحليل اللغوي عند مدرسة أسكفورد، ص: 232 وما بعدها.

⁴ . بوجادي خليفة،(مرجع سابق)، ص: 100.

إلى أنّ اتجاه المطابقة يكون من العالم إلى الكلمات ومن الكلمات إلى العالم أمّا (Ø) تدلّ على عدم وجود شرط الإخلاص و (م) ترمز إلى المتغير القضوي¹، ويرجع السبب في وجود سهم المطابقة مزدوج الاتجاه في أنّ التصريحات تحاول التأثير في اللغة لتتماثل مع العالم.

بالإضافة إلى هذا ميّز "سورل" بين نوعين من الأفعال الكلامية، الأفعال الكلامية المباشرة والأفعال الكلامية غير المباشرة.

أ- الأفعال الكلامية المباشرة:

هي الأفعال التي تطبّق قوتها الإنجازية مراد المتكلم فيكون معنى ما ينطقه مطابقا حرفيا لما يريد أن يقول²، أو هي كما يُعرّفها "ستانلي فش" في كتابه "هل يوجد نص في هذا الفصل: أفعال الكلام مباشرة وغير مباشرة، وتأسس هذان النوعان على بنية الجملة حيث تكون العلاقة بين التركيب والوظائف التواصلية، فإذا وجدنا توافقا بين التركيب والوظيفة التواصلية في كلّ جملة (خبر، استفهام، أمر) فإننا نكون أمام فعل إنجازي مباشر"³. كما نُلفي تعريفا آخر قوامه أنّ الفعل الكلامي المباشر هو ذلك الفعل الذي يتلفظ به المتكلم في خطابه وهو يعني حرفيا ما يقول: وفي هذه الحالة يكون المتكلم قاصدا أن ينتج أثرا إنجازيا على المتلقي وبقصده أن ينتج هذا الأثر من خلال جعله المتلقي يدرك قصده في الإنجاز"⁴. إنّها حقاً مقارنة تجعل من الأفعال الكلامية تشمل الأقوال التي تتوقّر على تطابق تامّ بين معنى الجملة ومعنى القول، باعتبار أنّ

¹. صلاح إسماعيل عبد الحق (مرجع سابق)، ص: 232. 238.

² علي محمود حجي الصراف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص: 38.

³. المرجع نفسه ص: 08.

⁴. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص: 135.

المتكلم كثيراً ما يستعمل عبارات وأساليب صريحة ومباشرة خالية من الغموض وظاهرها لا تخالف القصد الذي يصبو إليه، ومن خلالها يستطيع السامع أن يدرك مراد المتكلم.

ب - الأفعال الكلامية غير المباشرة:

فهي التي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم¹. أي أن يقول المتكلم شيئاً لكنه يعني شيئاً آخر ويتعلق الأمر بأقوال يرمي من خلالها المتكلم التعبير بشكل ضمني عن شيء آخر غير المعنى الحرفي مثلما هو الشأن في الاستعارة وحالات تعدد المعنى². وعليه يرى "سورل" أننا في حالة التعبير البسيط ننطق بجملة واحدة ونقصد ما نقول تماماً، ولكن المشكلة تكمن في أنّ الأمور لا تسير دائماً بهذه البساطة³، ففي كثير من الأحيان يختلف المعنى المقصود عن التعبير الحرفي الدلالي للمنطوق.

يقول "سورل" "يوجد بعض الحالات التي يتمكن من خلالها المتكلم من قول جملة وهو لا يريد بها معناها الظاهر، ويدل ذلك على مقولة ذات محتوى إسنادي مغاير⁴، تمّ يتثبت ذلك بمثال فيقول: يمكن للمتلفظ (المتكلم) أن يتلفظ بجملة: هل تستطيع أن تناولني الملح؟ فهو ملفوظ لا يطرح به المتكلم استفهاماً حول مقدرة المخاطب تقديم الملح له ولكن يدعوه إلى تمكينه منه، أي يتم فيها الانتقال من المعنى الظاهر إلى معنى آخر بطريقة غير مباشرة⁵. ناقش "سورل" عدداً من الأفعال الإنجازية غير المباشرة خاصة تلك التي تكون استفهاماً مقصوداً به الطلب، ولاحظ أنّ أهم البواعث

¹. عبد الهادي بن ظافر الشهري، (مرجع سابق)، ص: 99.

². محمود أحمد نخلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 50.

³. بلانشيه فليب: التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص: 18، نظرية الفعل الكلامي، ص: 129.

⁴. علي محمود حجي الصراف الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص: 124.

⁵. محمود أحمد نخلة (مرجع سابق)، ص: 51.

على استخدام هذا النوع هو التأدّب في الحديث ثم اختار التوجيهات غير المباشرة نموذجاً فقسمها إلى مجموعات بحسب قدرة السامع على أداء الفعل ورغبته فيه والبواعث إليه. فالأفعال الإنجازية غير المباشرة لا تدلّ هيئتها التركيبية على زيادة المعنى الإنجازي الحرفي، وإثماً الزيادة فيما أطلق عليه "سورل" معنى المتكلم فكيف يقول شيئاً ويعني شيئاً آخر؟ وكيف يكون ممكناً أن يسمع المخاطب شيئاً له معنى ويفهم معنى آخر؟¹ في هذا الملحق قدّم العلماء والباحثون مجموعة من التعاريف لهذه الأفعال وفقاً لرؤية "سورل" المطورة لطرح أوستين من بينها:

-الأفعال الكلامية غير المباشرة تلك الأفعال ذات المعاني الضعيفة التي لا تدلّ عليها صيغة الجملة بالضرورة ولكنّ للسياق دخلاً في تحديدها والتوجيه إليها، وهي تشتمل على معانٍ عرفية و حوارية². نستشف من خلال التعريف أنّ الركن الركين في عملية الفهم الصحيح للملفوظات والخطابات التي تشتمل على الأفعال الكلامية غير المباشرة ذلك السياق الذي وردت فيه هذه التلفظات، ونعني بالسياق هنا مجموعة المعطيات والعوامل والظروف التي تمّت بصلّة إلى العملية التفاعلية Interactional مثل المكان والزمان والعلاقة بين المتحاورين والخلفيات المعرفية. بالإضافة إلى عوامل ثانوية أخرى كالعرف السائد وتنغيم العبارات وما شابه ذلك من أمور لها علاقة بالحدث الكلامي وروافده³. ممّا يعني أنّ لعملية الفهم أسساً ترتكز عليها في وصولها إلى المعنى الخفي للملفوظات.

¹ محمود أحمد نخلة (مرجع سابق)، ص: 81.

² مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، ص: 35.

³ علي محمود حجي الصراف، (مرجع سابق)، ص: 99.

في موضع آخر نلفي "د. محمد العبد" يميلنا على مفهوم آخر للأفعال الكلامية غير المباشرة يقول "إنّ العرف هو ملمح رئيسي للتمييز بين ما هو مباشر وما هو غير مباشر"¹ ويحرص "عبد الهادي بن ظافر الشهري" على أنّ الأفعال الكلامية غير المباشرة مفادها أنّها "استراتيجية لغوية تلميحية يعبر بها المتكلم عن القصد بما يُغاير معنى الخطاب الحرفي لخطابه، فيُعبر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ مستثمرا في ذلك عناصر السياق"². أين يمكن تعداد أهم النقاط الأساسية المتعلقة بالفعل الكلامي غير المباشر من بينها.

- أنّها استراتيجية تلميحية غير مباشرة، أي غير صريحة. على المتلقّي أن يقوم بعمليات استدلالية يستدرج من خلالها المعنى، أمّا النقطة الثانية فمتمركزة في مجال السياق وحيثياته بحيث يلجأ المتكلم لاستخدام هذا النوع من الأفعال معتمدا عناصر السياق (النفسي، الثقافي، ...) ³ التي تُساعد المتلقي للوصول إلى الفهم الصحيح.

- أنّ القوة الإنجازية للأفعال غير المباشرة يجوز أن تُلغى فإذا قال لك صاحبك: "أذهب معي إلى المكتبة"؟ فقد تلغي القوة الإنجازية غير المباشرة وهي الطلب ليقصر الفعل على قوته الإنجازية المباشرة وهي الاستفهام.

بالإضافة إلى هذه الجهود المكتملة لنظرية الأفعال الكلامية، قدّم "سورل" اقتداءً بأوستين جملة من الشروط المتعلقة بنجاح الإنجاز يتجاوز فيها تصوّر الشروط التي

¹ علي الصراف: الأفعال الإنجازية، ص: 99.

² عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص: 370.

³ أحمد المتوكل، أفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، ص: 22.

قدمها أوستين "فالإنجاز حسبه لا يتحقق إلا باستيفاء بعض المبادئ التي يعتبرها ضرورية هي:

1- شروط المحتوى القضوي: Content Propostionnel

يتحقق بأن يكون للكلام معنى قضوي (نسبة إلى القضية Proposition التي تقوم على متحدّث عنه أو مرجع القضوي Référenc ومتحدّث به أو خبر Prédication والمحتوى القضوي هو المعنى الأصلي للقضية¹، أي أنّ هذه الأساسيات (المكونات) ذات العلاقات الإنسانية هي التي تُؤطر وتحكم المحتوى القضوي لأيّ صيغة لغوية أو فعل كلامي.

2- الشرط التمهيدي: Preparatory

يتمّ هذا الشرط "إذا كان المتكلّم قادراً على إنجاز الفعل، لكن لا يكون من الواضح عند كلّ من المتكلّم والمخاطب أنّ فعل المطلوب سينجز في المجرى المعتاد لأحداث أو لا ينجز"²، بمعنى أن يكون المتكلّم في الوضع الذي يسمح له بإتمام الإنجاز.

3- شرط الإخلاص Sincerity:

يتمّ تحقيق هذا الشرط "حين يكون المتكلّم مخلصاً في أداء الفعل، فلا يقول غير ما يعتقد، ولا يزعم أنّه قادر على فعل ما لا يستطيع"³. أي أن ينوي المتكلّم إنجاز الفعل الذي تسند له القضية المطروحة.

4- الشرط الأساسي Essentiel:

¹ أحمد المتوكل المرجع سابق ، ص: 22.

² أحمد المتوكل، أفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ص: 22.

³ المرجع نفسه ص: 48.

يتمّ تحقيقه "حين يُحاول المتكلم التأثير في السامع لينجز الفعل، أي أن يقصد المتكلم أن يلزمه تلفظه القيام بالفعل مناط التلفظ.

تبيّن لنا من خلال ما تقدّم، أنّ القواعد التي أرسى معالمها كل من أوستين وسيرل "المتعلّقة بنظرية الأفعال الكلامية غير مسار أفق الدراسات اللسانية، إذا أصبحت اللّغة وفق هذا المنظور فضاءً مبسوطاً للإنجاز والممارسة، والفعل يتمّ عن طريق التلفظ أثناء العملية التواصلية التفاعلية، وفي هذا تأكيد فكرة جوهرية عمادها أنّ وظيفة النطق أو التلفظ الذي يُجسّد إنجاز الفعل هو تمثيل الفكر أو المقصدية التي تكشف أي عبارة لغوية باعتبار أنّ أيّ عملية إنتاجية للكلام، إنّما تعمل من أجل تحقيق غايات وأهداف معينة. وبهذا يمكن اعتبار أيّ فعل كلامي أنّه ذو بعد مقصدي.

الفصل الثاني

مستويات الأفعال الكلامية في الفكر
الأصولي

المبحث الأول:

الأفعال الكلامية عند الأصوليين

المبحث الثاني:

القوة الإنجازية عند الأصوليين

المبحث الأول:

الأفعال الكلامية عند الأصوليين

✓ القضايا اللغوية في البحث الأصولي

✓ المنحى التداولي عند الأصوليين

✓ الدلالة عند الأصوليين

✓ مستويات الأفعال الكلامية المنبثقة عن الخبر

✓ الأفعال الكلامية المنبثقة عن الإنشاء

تمهيد:

إنّ المرتكزات الفكرية والمنهجية التي اعتمدها الأصوليون في مقاربتهم للخطاب التداولي هو إيمانهم بوحدة انسجام النص وترابط أجزائه المكونة له. ولعلّ هذا الإجراء المعرفي هو الذي مكّنهم من رؤية الوحدات في إطارها الكلي الشامل واتّساق النصوص بعضها ببعض كوجه من أوجه التأويل.

الرؤية التي تؤمن بأنّ الدرس الأصولي تناول جانباً كبيراً من تراثنا التطبيقي والبلاغي منه بوجه خاص. فدرسوا ظاهرة الأفعال الكلامية وهي أنساق لغوية ضمن نظرية الخبر والإنشاء، وكانت لهم آراء متقدّمة ناجعة فيما يتعلّق بالفعل الكلامي وما مدى تأثيره في حياة الفرد كألفاظ العقود والبيوع وعقود الزواج.... و غيرها¹. فقد توصّل الأصوليون إلى اكتشاف أفعالاً كلامية فرعية جديدة منبثقة عن الأفعال الكلامية الأصلية لم يتعرض لها المعاصرون، إذ لم تعرفها الثقافة الغربية المعاصرة.

في هذا البحث سنتناول المسائل التطبيقية لنظرية الأفعال الكلامية في علم أصول الفقه، وكيفية تعامل الفكر الأصولي مع هذه الأفعال الكلامية المنبثقة، وكيف استثمر العلماء كلّ أدوات اللّغة بُغية تطوير هذه المفاهيم الجديدة لتتلاءم مع كلية النصّ لأنّ: "اللّغة تتعدّد أنظمتها الإبلاغية بحسب تعدّد أنماط ثقافات المجتمعات عبر العصور"². هذا يعني أنّ للّغة وظائف متعدّدة يتواصل بها أفراد المجتمع تتغيّر بحسب تغيّر ثقافتهم.

¹. مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، ص: 165.

². Ernst cassirer, la philosophie des formes symbolique, tradition, de Hansenlove et Jean Lacoste, Minuit, Paris, 1972, p: 131.

تبيّن أنّ الكلام لا ينعقد إلاّ بإسناد صحيح" وأنّ ما يقصده علماؤنا بالكلام الذي يقوم على نسبة المسند إلى المسند إليه هو عين ما يقصده أوستين بالفعل اللفظي، وما يقصده "سيرل" بالفعل القضوي، أمّا ما يقصده كلّ منهما بالفعل الإنجازي وهو الذي يحمل قصد المتكلّم فيكاد علم أصول الفقه كلّه يكون قائماً على هذا النوع من الأفعال"¹. فهذا دليل على أنّ الكلام عند الأصوليين يعتمد على المسند والمسند إليه وربطه بالفعل الإنجازي الذي يقصده المتكلّم.

1-الكلام عند الأصوليين:

إنّ عناية علماء الأصول للدّرس اللّغوي تفوق عناية اللّغويين والبلاغيين، ذلك أنّهم حاولوا فهم النّص الشرعي فهماً صحيحاً بالاعتماد على استقراء الأساليب والمفردات العربيّة ودراستها واهتمامهم بالمعنى المتضمّن فيه أمراً أو نهياً، ترغيباً أو ترهيباً، ولما كانت هذه القواعد لغوية أعتد فيها على دراسة التراكيب والألفاظ العربيّة، خصّصوا مقدمات أطلقوا عليها اسم المبادئ اللّغوية أو مباحث الألفاظ قبل أن يدخلوا في صلب موضوعات أصولهم وقواعدهم لاستنباط الحكم من النّص.

إنّ الهدف الأوّل لعلماء الأصول من هذه الدراسة هو البحث عن كيفيات تلقّي الخبر وفهم القصد المترتب عليه، "وقد اختلف عملهم عن عمل النّحاة والبلاغيين بكونه عملاً لا يُعنى بالنظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللّغوي فحسب، وهي دلالة عامّة اختصّ بها النّحاة، كما لا يُعنى بالنظر في فضيلة تلك الدلالة وهي دلالة خاصّة عُني بها أهل البيان من البلاغيين، وإتّما يُعنى بمعرفة ما يريد "الشّارع" على وجه الخصوص والتحقيق، كأن يريد إفادة مضمون الخطاب أو التكليف بأمر أو

1.محمود أحمد نخلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص:107.

النهي عنه على سبيل الإلزام أو التخيير حتى يستخرج من ذلك أحكام الوجوب والحرمة والإباحة¹. فالاختلاف جلي بين علماء الأصول حول كيفية تلقي الخبر والقصد منه. يُواصل "الشوكاني"^{*} في هذا الصدد المتعلق بالمبادئ اللغوية من تعاريف للكلام بقوله "اعلم أنّ البحث إمّا أن يقع عن ماهية الكلام أو عن كيفية دلالاته، ثم لما كانت دلالاته وضعية فالبحث عن هذه الكيفية إمّا أن يقع عن الواضع أو الموضوع له، أو عن الطّريق التي يُعرف بها الوضع، فهذه أبحاث خمسة... ثم ذكر المقصود من البحث الأوّل وهو يقال بالاشتراك عن المعنى القائم بالنفس وعلى الأصوات المقطعة المسموعة"². فالشوكاني بهذه التخریجة المتعلقة بشأن تعريف الكلام يجعلنا نستشف في ظلّها تقسيم الجوانب المستحضرة في التعريف على النحو التالي:

¹. ميلاد خالد، الإنشاء في العربية، ص:344.

^{*} هو الإمام العلامة المجتهد القاضي محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، ولد في نهار الاثنين الثامن و العشرين من شهر ذي القعدة سنة 1173هـ. 1760م والشوكاني نسبة إلى عدني شوكان، نشأ الإمام الشوكاني بصنعاء، فقرأ القرآن الكريم، حفظ عدّة مختصرات في الفقه والنحو والعروض وآداب البحث وعلوم اللغة، طالع عدة كتب من كتب التاريخ والأدب توفي ليلة الأربعاء 27 من جمادى الآخرة سنة 1250هـ، 1834م بصنعاء عن 76 سنة وسبعة أشهر، الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت.

² الشوكاني محمد بن علي، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق أحمد عزو، عناية، بيروت، دار الكتاب العربي، ج1، ط1، 1999م، ص:40.

الوضع	دلالة الألفاظ
الموضوع	دلالة الخطاب، الكلام
الموضوع له	المتلقي
طريقة الاستعمال	قواعد الاستعمال و طرائقه

أمّا القواعد التي ارتكز إليها الأصوليون للتمييز بين الخبر والإنشاء فتختزل

فيما يلي:

أولاً: القواعد التي تبنّاها عامّة اللّغويين والمتمثّلة في تمييز الإنشاء من الخبر على أساس النسبة التامة الحاصلة باللفظ. فإن كانت لهذه النسبة مطابق خارج اللفظ فهو خبر وإلاّ فإنشاء¹. أي إذا خرجت النسبة عن مقتضى اللفظ أفادت الخبر و العكس .

يُشير "الأمدي"^{*} (ت 631 هـ) في شأن هذه القواعد ما بيانه: "الخبر عبارة عن اللفظ الدالّ بالوضع على نسبة معلوم إلى معلوم أو سلبها على وجه يحسّن السكوت عليه من غير حاجة إلى تمام مع قصد المتكلّم به الدلالة على النسبة أو

1. الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ج2، ص:199.

*. سيف الدين الأمدي، هو سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم بن محمد العلامة الأمدي التغلبي الحنبلي ثم الشافعي، فقيه أصولي وباحث ولد سنة (551هـ)، في آمد من دار بكر، و نسب إليها، وقرأ بها القراءات على يد الشيخ محمد الصفار، وعمار الأمدي، وحفظ الهداية في مذهب أحمد بن حنبل، تفقه على أيدي أبي الفتح ابن المني الحنبلي، انتقل إلى القاهرة فدرس فيها و اشتهر، لديه نحو عشرين مصنفا منها، أباكار الأفكار في أصول الدين، غاية المرام في علم الكلام، الأحكام في أصول الاحكام، توفي بدمشق سنة 631هـ، خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ج4، ص:332.

سَلِبَهَا"¹، فهو أعني الخبر موضوع لِيُعَبَّرَ به المتكلم ويحكي بثبوت النسبة الوجودية أو سلبها، قاصداً بذلك حكاية الثبوت أو السلب². إنَّ من أهمِّ ما ينمُّ عليه هذا القول تلکم التفرقة بين المسكوت عنه والبدال عليه، فالخبر قد يحتمل الصدق أو الكذب.

ذكر "الرازي" (ت 606 هـ) مُبَيَّنًا حدَّ الخبر ثلاثة أمور هي:³

1- أنه الذي يدخله الصدق أو الكذب.

2- أنه الذي يحتمل التصديق والتكذيب.

3- ما ذكره "أبو الحسين البصري" (ت 436 هـ) "أنه كلام مفيد بنفسه وإضافة إلى

أمر من الأمور نفياً أو إثباتاً. وفي نفس السياق يقول "الشوكاني": "أنَّ الخبر لا يتَّصف بالصدق إلَّا إذا جمع بين مطابقة الواقع والاعتقاد، فإن خالفهما أحدهما فكذب. فيقال

في تعريفهما هكذا: الصدق ما طابق الواقع والاعتقاد والكذب ما خالفهما أو أحدهما"⁴.

أمَّا الإنشاء فهو ما وضع من اللفظ ليستعمل في إيقاع النسبة وإيجادها بذلك اللفظ، مع القصد إلى الإيجاد والإيقاع⁵. أي يجب مطابقة الإنشاء النسبة.

ثانياً: يفصل الأصوليون بين الخبر والإنشاء بحسب الغرض كما ورد عن "البصري" (ت

436 هـ): "ونحن قد بيَّنا أنَّ الأمر قسم من أقسام الكلام غير الخبر لا يدخله الصدق

والكذب، وقد بيَّن أهل اللُّغة ذلك وإذا رجعنا إلى أنفسنا عقدنا فرقاً ما بين طلب

الشيء والإعلام عنه والإخبار، وأنه قد يكون لنا غرضٌ في طلب الشيء من الغير،

¹. الآمدي، المصدر نفسه ص: 202.

². خديجة محفوظ محمد، تأصيل الفرضية الإنجازية في الفكر اللُّغوي العربي القديم، ص: 122.

³. خديجة محفوظ محمد، (مرجع سابق)، ص: 122.

⁴. الشوكاني، إرشاد الفحول، ج 1، ص: 123.

⁵. ميلاد خالد، الإنشاء في العربية، ص: 349.

ويكون لنا غرضٌ في أن نعلم الغير به فلم يمتنع أن يضع أهل اللّغة لفظين بحسب هذين الغرضين وتكون كلّ واحدة من اللّفظتين وَصْلةً إلى ذلك الغرض، ولا يكون إخباراً عنه، ألا ترى أنّ الخبر هو قولنا: زيد في الدار ليس هو إخبار عن إرادتنا الإخبار عن كونه في الدار، بل هو وصلة إلى بلوغ غرضنا من إعلام غيرنا كون زيد في الدار، فكذلك قولنا: "افعل" هو وصلة إلى غرضنا من طلب الفعل من غيرنا وليس هو إخباراً عن غرضنا"¹.
فهذا فصل في غرض الأمر.

ثالثاً: ذهب بعض الأصوليين إلى أنّ الإرادة هي الخصيصة المميّزة للطلب من الخبر، يقول البصري في ذكر ما يتخذ من مقاييس لتمييز الأمر والنهي من الخبر: "فأما قاضي القضاة رحمه الله فإنه قسّم الكلام المفيد إلى الأمر والنهي وما معناهما وإلى الخبر، فقال: المخاطب لغيره إمّا أن يفيد حال نفسه فيدخل فيه الأمر والنهي لأنّ الأمر ينبني عن "إرادة الأمر والنهي، ولأنّ الأمر يُنبئ عن إرادة الأمر والنهي ينبئ عن كراهته، وإمّا أن ينبئ عن حال غيره فيكون الخبر والقصد والغرض معنيان مختلفان بمفهوم الإرادة، لأنّ المراد هو القصد"². فالبصري لم يُميّز بين هذه المفاهيم تمييزاً خاصاً، إذ فسّر الإرادة بأنّ المتكلّم لا بد أن يكون غرضه إيقاع المأمور به، وفي ذلك الرُّجوع إلى أنّه لا بدّ من غرض وإرادة.

إذا ما حاولنا النّظر إلى الطرح الأصولي فإنّ نظرتهم تختلف، ذلك بوضعهم الخبر في مقابل الأمر والنهي، الاستخبار والوعد، كما أنّهم لا يقسّمون ألفاظ الإنشاء

1. الزهري نعيمة، الأمر والنهي في اللّغة العربية، (دط)، (د.م) منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، ص:9.

2. البصري، محمد بن علي بن الطيب، المعتمد في أصول الفقه، تحقيق خليل الميس، دط، ج1، 1983م، بيروت دار الكتب

العلمية، ص:16.

وأعماله إلى إنشاء طلي وغير طلي وإنما يقسمونه في الغالب إلى ألفاظ مختصة بالإنشاء ويكون منها الطلي وغير الطلي، وألفاظ مشتركة بين الخبر والإنشاء. وهم بذلك يقتربون من النظرة الحديثة لدى التداولين بحيث كان تصنيفهم للأعمال اللغوية قائم على صنفين: أعمال لغوية مباشرة وأعمال لغوية غير مباشرة، إذ اختصت الأعمال المباشرة بأدوات أو تراكيب دالة على معناها بالوضع و مصنفة إلى مجموعات.

ثم إنَّ الأصوليين في دراستهم استندوا للإنشاء وشروطه إلى خصوصيات القرآن، وما يحتوي عليه من أدلة شرعية على الأحكام وأنواع التكليف من نواهٍ وأوامرٍ، فقد وضعوا مقاييس خاصة بالتكليف الشرعي وصنفوها بحسب الأركان التي يتكوّن منها والتي تتمثل فيما يلي¹:

1- الحكم: وهو الخطاب فنظروا في مختلف صيغه و ألفاظه.

2- الحاكم: وهو من له الأمر والخلق.

3- المحكوم عليه: وهو المخاطب المكلف بالأفعال.

4- والمحكوم فيه: وهو الفعل المأمور به أو المنهي عنه.

ثم عمدوا إلى تعميم هذه الأركان على الإنشاءات التي ينجزها المتكلم عموماً في مختلف المقامات والأحوال وفقاً لشروط ترتبط كما ذكرنا بأصول الفقه وأحكام العقيدة. وهي تعكس اهتمام الأصوليين بالإنشاء وما يتصل به من شروط ومبادئ تحدّد طبيعته والأطراف المساهمة فيه.

¹. خديجة محفوظ محمد، تأصيل الفرضية الإنجازية في الفكر اللغوي العربي، ص: 125.

1-1- شرط القدرة و الأهلية

وضعوا للمتكلّم المنشئ شرط القدرة على طلب الفعل أو إيقاعه وإنجازه سواء أكان أمراً أو ناهياً أو منشئاً لأعمال البيع والشراء والايجار والزواج والطلاق، وجعلوا قدرة المخاطب نوعين.

- قدرة على فهم الخطاب، يقول الغزالي (ت 505): "المكلّف وشرطه أن يكون عاقلاً يفهم الخطاب لأنّ التكليف مقتضاه الطاعة والامتثال، ولا يمكن ذلك إلاّ بقصد الامتثال وشرط القصد العلم بالمقصود والفهم للتكليف. فكلّ خطاب متضمّن للأمر بالفهم، فمن لا يفهم فكيف يقال له: افهم؟"¹.

- قدرة على إيقاع ما هو مطلوب منه ومما يقتضيه هذا الشرط أمور تتصلّ بالمحكوم فيه، وهو الفعل المأمور له فقد اشترطوا فيه ألا يكون ممّا يُراد به التعجيز أو التهديد فالأمر الذي يُراد له ذلك "ليس في الحقيقة بأمر"².

1-2- شرط الإرادة والقصد:

يقول الشاطبي: "فالأمر والنهي يستلزمان طلباً وإرادة من الأمر، فالأمر يتضمّن طلب المأمور به وإرادة إيقاعه"³. ويتطلّب بعد تطبيق هذه الشروط على ظاهرتي البحث تحديد الضوابط التداوليّة اللغويّة وغير اللغويّة أو الاستعماليّة، والتي يُنجزها المتكلّم الأفعال الكلاميّة، ومن هنا قسّم الأصوليون الكلام إلى منطوق ومفهوم (قسم الأوائل الكلام إلى مباشر وغير مباشر).

1. الغزالي، المستصفى في علم الأصول، ص: 67

2. الشاطبي، الموافقات، ج3، ص: 378.

3. المصدر نفسه ص: 369.

فالمنطوق ما فهم من دلالة اللفظ قطعاً في محل النطق، أمّا المفهوم فهو ما فهم من اللفظ في غير محلّ النطق¹. ويُعدّ "المنطوق أقوى في دلالاته من المفهوم لافتقار المفهوم في دلالاته إلى المنطوق، وعدم افتقار المنطوق في دلالاته إلى المفهوم"². وها هنا يتبيّن أنّ المنطوق أصل للمفهوم، ومعلوم أنّ الأمر والنهي يندرجان في إطار المنطوق. لكن ما يمكن النظر إليه هو أنّ تصورهم للفصل بين الخبر والطلب قائم على أساسين:

1- أنّ الخبر والطلب غرضان لإنجاز الكلام:

يواصل الأصوليون في هذا الصدد المتعلّق بواقع الخبر تصورهم فحسبهم قد يكون لنا غرض في طلب الشيء من الغير، وإعلامه به فلم يمتنع أهل اللّغة في أن يضع لفظين بحسب هذين الغرضين. وهذا ما وقف عليه أوستين في المرحلة الثالثة من تكوين الفرضيّة الإنجازيّة حيث قسّم الكلام بحسب فعل المتكلّم ومقصده أثناء عمليّة التلفظ، فقد يكون إخباراً أو نهيّاً أو أمراً أو وعداً أو سؤالاً أو إنذاراً أو وعيداً.

2- تحديد وضبط الجوانب الاستعمالية :

قام الأصوليون بوضع شروطٍ محكمة لدراسة الأسلوب الكلامي وتمثّل فيما يلي :

(أ) الحكم: وهو الخطاب؛ فنظروا في مختلف صيغه وألفاظه.

(ب) الحاكم: وهو الأمر (أي من له الأمر والخلق).

(ج) المحكوم عليه: وهو المخاطب المكلف بالأفعال.

(د) المحكوم فيه: وهو الفعل المأمور به أو المنهي عنه.

1. الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ج3، ص:46.

2. المصدر نفسه ج2، ص:420.

اشترطوا لنجاح الفعل الإنجازي ما يمكن أن يطلق عليه بشروط المتكلم والتي هي¹:

- قدرة المتكلم على الفهم.

- قدرة المتكلم على إنجاز وإيقاع ما هو مطلوب. كما أنّ الشرط التمهيدي عند

سيرل Searle لإنجاز الفعل يتحقق عندما يكون المتكلم أو المتلقي قادراً على

إنجاز الفعل.

استخدم الأصوليون مصطلحات دقيقة (كالقصد والإرادة، الغرض) وإن تمّ

الاتفاق على معانيها إلا أنّ الفصل بينها يشيد برغبتهم في وجود معيار لدرجة العرض

أو القوة الانجازية كما أشار إليها سيرل. كما يتفق مع ما وصل إليه أوستين حين قابل

بين الجمل لمعيار (صدق، كذب) في الجمل الخبرية، و(نجاح، فشل) في الجمل الإنشائية،

وانتهائه إلى إمكانية تطبيق المعيارين على جميع الجمل.

ما يُمكن الخروج به تقسيم الكلام عند البلاغيين إلى حقيقي ومقامي، أمّا

الأصوليون فقسّموه إلى منطوق ومفهوم. وهكذا فقد اهتم بظاهرتي الخبر والإنشاء،

النحاة والبلاغيون والأصوليون علماءً ينتمون إلى حقول معرفية علمية متباينة، ولكلّ

حقل من هذه الحقول ميزاته الخاصة وطابعه المتميّز في المعالجة وهدف يصبو إليه. كما

تجاوزوا الجوانب اللغوية إلى الجوانب غير اللغوية، واستحضروا الجوانب التداولية لدراسة

الكلام وأساليبه.

لا مناص من التركيز على الاعتبارات اللغوية التداولية التي اتخذها الأصوليون

مدخلاً لتوجيه دلالة من الدلالات في نصوص القرآن والسنة لاستنباط حكم من

الأحكام.

¹. خديجة محفوظ، تأصيل الفرضية الإنجازية في الفكر اللغوي العربي القديم، ص: 128.

2- القضايا اللغوية في البحث الأصولي:

1- القضايا الدلالية: المتعلقة بألفاظ القرآن والسنة النبوية الشريفة كالبحث فيما يدلّ عليه الخطاب من إيماء وإشارة وتنبيه وفحوى ومفهوم، ويضاف إليه الظواهر والعلاقات الدلالية في إطار قانون التقابل الثنائي: (العام / الخاص) (المقيّد/المطلق)، (المحكم/المتشابه)، (المجمل/المنفصل).

2- القضايا النحوية: كما يُصورها الأصوليون وخالفوا بها آراء النحاة أو وافقوها واهتدوا إلى الكثير من الحلول الناضجة، واعتبر بعضهم نحو الأصوليين هذا نحو دلالة.

3- المنحى التداولي في البحث الأصولي:

نعني به كيفية استثمارهم للمفاهيم والمقولات التداولية كنظرية الأفعال الكلامية وطريقة التعبير لإيقاع أحكام أو إنجاز أفعال دينية ومعاملاتية بالكلمات، فردية كانت أو جماعية، وكيفية تعاطيهم للأساليب اللغوية والأغراض الإبلاغية التواصلية المنبثقة عنها، والإجراءات التأويلية في فهم المقاصد والنيّات ومراعاة السياق والمقام وتحكيمها في الدلالات، بل إنّ البحث الأصولي قد يفضّل في بعض جوانبه ما قدّمه علم المعاني¹. إذا تأملنا فلسفة التعامل اللغوي عند علماء الأصول فإنّه يمكن استنباط رؤية متقدّمة لما أنتجته الفلسفة اللغوية أمثال الفيلسوف الأمريكي موريس Moris، والإنجليزي أوستين J.Austin، والفرنسي ديكرود O. Ducrot في انصباب الاهتمام على فرعين متّصلين بأفعال الكلام: ماهيته وكيفيته². يبدو أنّ الأصوليين من هذه الناحية

1. مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، ص: 167.

2. حبيب مونسي، مقارنة مقارنة بين علم المقاصد العربي وأفعال الكلام البراغماتي على الموقع،

التداولية قد استأثروا بالبحث فيما فرط فيه الكثير من النحاة، وذلك من جراء فهمهم لطرق تأليف الكلام وأوجه استعمالاته، وإدراك مقاصده وأغراضه وما يطرأ عليه من تغيير ليؤدّي معانٍ متعدّدة، ومن ذلك بحثهم في ظاهرة الأفعال الكلامية ضمن نظرية الخبر والإنشاء.

4-الدلالة عند الأصوليين:

أشار أغلب الأصوليين أنّ الدلالة في نظرهم تصوّريّة "فالذي يدلّ عليه لفظ القيام هو الصورة الذهنية المنطقية بأذهاننا لهذا الحديث، والذي تدلّ عليه الجملة: "زيد قائم" هو الصورة الحاصلة بأذهاننا للنسبة بين زيد والقيام، وهو أمر قابل للتصوّر والإدراك والتصديق، أي قصد الإخبار والحكاية عنه. ولكن هذه الدلالة التصديقية لا تُفهم من لفظ الجملة باعتبارها هيئة موضوعة المعنى قابلة للتصوّر بل تُفهم من قرائن حالية ودلائل سياقية"¹. فالحديث عن الدلالة يستدعي تصور صورة ذهنية مسبقة تفهم من خلال السياق الذي وردت فيه واعتمادها على فهم القرائن الحالية.

5-صيغة الأمر عند الأصوليين :

اعتنى الأصوليين بصيغة الأمر كما عند البلاغيين والنحاة، بيد أنّهم لم يتوسعوا فيما يفهم منه الأمر أو يجري مجراه² من مثل:

1 . محمد حسن عبد العزيز، (مرجع سابق)، ص:335.

2 . المرجع نفسه ، ص:335.

1- الجمل الخبرية المستعملة في الإنشاء: كقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾¹.
 -التعبير بمادة الفعل الحذر كمادة الأمر نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾²، أو مادة
 الفرض في قوله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾³، ومادة الكتاب في قوله:
 ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾⁴. وحمل الفعل المطلوب على المطلوب منه كقوله
 تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾⁵.

2- الإخبار بأنه عليه: نحو قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ﴾⁶.
 3- جعله جزاء لشرط في قوله: ﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾⁷، وصفة بأنه
 خير أو برُّ في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾⁸.
 4- قرنه بوعده: كقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ
 أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾⁹.

6- مستويات الأفعال الكلامية المنبثقة عن الخبر:

أشار الأصوليون إلى مجموعة من الظواهر المنبثقة عن الخبر كالشهادة والرواية،
 الدعوى، الإقرار، الوعد، الوعيد...، وهي الظواهر الخبرية التي لخصها "شهاب الدين

1 . سورة البقرة، الآية 233.

2 . سورة البقرة، الآية 67.

3 . سورة التحريم، الآية 02.

4 . سورة البقرة، الآية 216.

5 . سورة البقرة، الآية 225.

6 . سورة آل عمران، الآية 97.

7 . سورة البقرة، الآية 196.

8 . سورة البقرة، الآية 220.

9 . سورة البقرة، الآية 245.

القرافي " (ت 684 هـ) في قوله: "الشهادة خبر والرّواية خبر والدعوى خبر والإقرار خبر والمقدمة خبر والنتيجة خبر...، فما الفرق بين هذه الأخبار ؟" ¹، ثمّ طبقوا عليها قوانين قوانين الخبر مع مراعاة سياقاته وأغراضه المختلفة، فهذه أصناف لغوية مشابهة أسلوبيا للخبر ولكنها مختلفة عنه في الغرض والمقصد، وتندرج بمعايير "سيرل" ضمن التقريريات الذي بيّن مفهومه بأنّه "إدراج مسؤولية المتكلم عن صحة ما يتلفّظ به" ². أي أنّ المتكلم المتكلم مسؤول عن الأقوال التي يتلفّظ بها .

أدّت به ملاحظته الدقيقة إلى التمييز بين هذه الأصناف تمييزاً يقوم على أساس تداولي في معظم الأحيان قلّما نجده عند غيره من العلماء، وبيان ذلك فيما يلي:

1- الشهادة والرّواية:

اعتبر "القرافي" كلا من الشهادة والرّواية خبراً ذلك باعتماده ثلاثة أشكال من الأفعال الكلامية ³.

أ- رواية محضة كالأحاديث النبوية الشريفة.

ب- شهادة محضة كإخبار الشهود عن الحقوق على المعيّنين عند الحاكم.

ج- مركب من الشهادة والرّواية وله صور عديدة (منها الإخبار عن رؤية هلال شهر رمضان...)

¹. مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، ص: 168.169.

². المرجع نفسه ص: 174.

³. شهاب الدين القرافي، الفروق، ج1، ص: 74.

بناءً على ما سبق ذكره؛ يتّضح لنا أنّ الفصل بين هذه الأنواع المختلفة يستند عند علماء أصول الفقه الإسلامي على ما يُسمّيه القرافي بـ "الأثار المترتبة عن الخبر والمتعلقة بالمخبر عنه"¹، وهو أساس تداولي والفرق بينهما كان من جهتين:

- نوع المخبر عنه²، فإن كان المخبر عنه أمراً عاماً لا يختص بمعين فهو رواية، أمّا إذا كان المخبر عنه معيّناً خاصاً فهو شهادة.

- فاعلية السياق الاجتماعي العام³ الذي يكمن في أن ينظر من خلاله إلى ما هو رسمي وغير رسمي، فما كان رسمياً كالامثال أمام القاضي مثلاً فهو شهادة، أمّا ما كان غير رسمي فهو رواية ويشترط في الشهادة على حدّ تعبير القرافي، الذكورة والحرية وعدد معيّن من الشهود بخلاف الرواية.

إنّ المرجعية في هذا النمط التداولي الأصولي خلفية سابقة عند "سيرل" Searle حين يتحدّث عن نمط الإنجاز للغرض المتضمّن في القول Le Mode Illocutoire But Du D'accomplissement فـ"سيرل" يتصوّر شخصين يرويان خبراً فالأوّل يُقدّم خبره وهو في موقع الشاهد في محكمة، فلا يوصف فعله بأنه إخبار بل إنّ ما يفعله القيام بشهادة، بينما الشخص الثاني فيقدّمه على أنّه خبر عادي⁴. على ضوء هذه المعطيات المعرفية الأصولية يمكن رصد ملامح الاختلاف بين تصوّر "القرافي" وتصوّر "سيرل" على النحو التالي:

¹. المصدر نفسه ص: 76.

². المصدر نفسه ص: 74.

³. المصدر نفسه ص: 74.

⁴. مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، ص: 173.

يُميّز القرافي بين الشهادة والرواية على نحو يتّسم بالدقة و الوضوح، فيوسّع من نطاق الفعل الكلامي (الخبر) ودلالته، وذلك بإضافة سمات نوعية إلى حقله الدلالي الذي أطلق عليه اسم الآثار المتعلقة بالخبر وبنوع الخبر، ممّا جعل علماء الأصول يجدون في الكلام عن مسألة العام والخاص في مقابل ذلك يحتكم الفيلسوف "سيرل" إلى نظرة تكتفي من خلالها بدراسة أداء فعل الشهادة وسبل نقل الخبر، ثمّ ضيق من مفهوم الخبر العام ليسمّيه بالخبر العادي، في حين نجد القرافي يصفه بأنّه رواية.

*الصيغة اللغوية لفعل الشهادة:

قد يتحوّل فعل الشهادة إلى إنشاء صريح فيصير مقابلاً لظواهر كلامية ثلاثة هي الخبر، الرواية، الإخبار عن الإنشاء، ومدلول هذه الظواهر قد يتغيّر حقله المفهومي تبعاً لتغيّر مقتضيات النسق الخطابي، كأن يتخذ فعل الشهادة صفة الإنشاء، لذلك فمرجعية اللفظ والسّياق اللغوي قد يُخرجا الدلالة الوضعية إلى دلالة راجحة تُفهم من سياق النص، يقول القرافي: "فإذا قال الشاهد: أشهد عندك أيها القاضي بكذا... كان إنشاء، و لو قال: شهدت... لم يكن إنشاء"¹. فهذه الفكرة تُقودنا إلى الاستنتاج بأنّ الظواهر الكلامية المتفرّعة عن فعل الشّهادة في أصول الفقه الإسلامي أثرت المعطيات اللغوية، أين فتح علماء أصول الفقه في باب الشهادة والرواية والوعد والوعيد مجالات هامة تعتمد على وضع معايير لغوية وغير لغوية تُؤثر في إيقاع الفعل الإنجازي.

يُحاول "القرافي" من خلال آرائه لفعل الشهادة أن يُبرز صيغة الفعل الكلامي الشّهادي، وهي أشهد بصيغة المضارع. وتندرج ضمن الأفعال الكلامية التي لها تأثيرها الاجتماعي والشرعي فلا تصحّ بالماضي ولو نطق بها لكانت خيراً، ولم يتحدث "القرافي"

¹.القرافي، الفروق، ج 4، ص:130.

عن الشهادة بصيغة فاعل أو فعيل، شاهد أو شهيد، وهذا المسكوت عنه وتصنف ضمن الإيقاعيات وفق تقييم "سيرل" للأفعال الكلامية.

2- الدعوة والإقرار:

يذهب أغلب علماء الأصول إلى وضع مقاييس تمكّنهم من تحديد أنماط الأساليب من خلال الرصد والتمييز بينهما، فاعتبروا الدعوى والإقرار خبراً إلا أنّهم فرّقوا بينهما فالدعوى "خبر عن حق يتعلق بالمخبر على غيره، أمّا الإقرار فهو خبر يتعلّق بالمخبر ويضّرّ به وحده"¹. وبمعايير "سيرل" تعود التفرقة إلى مبدأ نمط الإنجاز Style D'accomplissement، فيلاحظ شدة الشّبه بين الإقرار والشهادة إذ الإقرار أيضاً شهادة والفرق بينهما أنّ: الإقرار شهادة على النفس والشهادة شهادة على الغير.

3- الوعد والوعيد:

اعتبر "القاضي عبد الجبار" (ت 415 هـ) أنّ الوعد والوعيد كليهما من الأخبار إذ يقول وهو يُعّين الوعد بأنّه: "كلّ خبر يتضمّن إيصال نفع إلى الغير أو دفع ضرر عنه في المستقبل، وأمّا الوعيد فهو كلّ خبر يتضمّن إيصال ضرر إلى الغير أو تفويت نفع عنه في المستقبل"². هذا يسوقنا للفكرة التي مفادها أنّ فعل المستقبل للمتكلّم هو النقطة الجامعة بين الوعد والوعيد، إلا أنّهما يختلفان في كون أنّ فعل الوعد فيه نفع للمخاطب بينما فعل الوعيد فيه ضرر له.

المتأمل في كتاب "الفروق" يجد إشارات كثيرة تنمّ عن مدى وعي "القرافي" بمسألة المفارقات بين الوعد والشهادة مستظهِراً أوجه التعدّد والاختلاف بينهما قائلاً:

¹. المصدر نفسه ص: 189.

². القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص: 134.135.

"لو قال الشاهد للقاضي: أنا أخبرك أيُّها القاضي بأنَّ لزيد عند عمرو دينارا عن يقين مّي وعلم في ذلك، لم تكن هذه شهادة بل هذا وعد من الشاهد للقاضي أنّه سيخبره بذلك عن يقين فلا يجوز اعتماد القاضي على هذا الوعد"¹، والفرق بينهما بمعايير "سيرل" هو درجة الشدّة للعرض المتضمّن في القول.

4-الكذب والخلف:

يبدو اهتمام "القاضي عبد الجبار" بظاهرتي الكذب والخلف واضحاً فقد أولى الظاهرة أهمية كبيرة يقول: "الكذب هو خبر لو كان له مخبر لكان مخبره لا على ما هو به"² أما الخلف فهو "أن يخبر أنّه يفعل فعلا في المستقبل ثم لا يفعله"³. أي أنّه مرتبط بالممارسة الخطابية والفعلية، كأن يقول مثلا سأقوم ببناء مسجد ثم يتراجع عن فعله فيكون بذلك حقّق شرط الخلف.

بما أنّ غاية الحدث الكلامي الأوّل هو إحداث التباين بين الخلف والكذب "فالكذب فعل كلامي محض سواء أكان خبرا أو إنشاء، بينما الخلف فعل سلوك عام قد يكون بالكلام أو بغير الكلام. فمن وعد بأن لا يحضر ثم حضر يكون فعله غير كلامي وأمّا من وعد بأن لا يتكلّم ثمّ تكلم ففعله فعل كلامي، فالثاني مندرج ضمن الأفعال الكلامية أمّا الأوّل فليس مندرجاً بينهما"⁴. فالمتكلّم لا يُمكن أن يتكلّم مع غيره إلاّ إذا كان له هدفاً وغاية يسعى إليها، فالكذب مجرّد خبر عادي لا يُمكن إدراجه ضمن خصائص اللّغة بينما الخلف فهو فعل مرتبط بالوعد.

¹. القرافي، الفروق، ج4، ص:189.

². القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، مكتبة وهبة، القاهرة 1988، ص:104.

³. المرجع نفسه ص:104.

⁴. مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، ص:182.

أولى علماء أصول الفقه عناية هامة لمثل هذه الأفعال الكلامية المنبثقة عن الخبر ليس من الناحية التركيبية اللغوية فحسب، وإنما من الناحية الدلالية التأويلية بعد تأكدهم أنّ المعنى يمكن استخلاصه من خلال تموقع الخطاب في الاستعمال اللغوي، يقول محمد يونس: "إذا علم أو ظنّ أنّ المتكلم لا يكذب علم أنّ المقصود حملة على المجاز"¹. على هذا الأساس فإنّه يجدر بنا القول أنّ مثل هذه الظواهر الكلامية كالكذب أو الصدق أو الخلف؛ أدّى إلى وضع كلّ من الكذب والخلف في قسمين مختلفين حتى وإن كان الكذب يُصنّف ضمن إطار النمط التواصلية، أين يتضح أنّ الكذب مجرد خبر عادي لا يطابق مخبره ولا يمكن إدراجه ضمن الأنساق اللغوية أو اعتباره خاصية من خصائص اللغة، أمّا الخلف فهو فعل مرتبط بالوعد وحيّز كلامي تختلف سياقاته وتتفاضل دلالاته.

5-النفى:

يُعدّ النفى في المنظومة اللغوية الأصولية إحدى أهمّ الظواهر الكلامية التي تُوظّف لفهم غايات الخطاب وروح الدلالات فيه، ويُعرّفه "فخر الدين الرازي" (ت 606 هـ) بأنّه "القول المقتضي بصريحه نسبة معلوم إلى معلوم بالنفى أو بالإثبات"²، ولذلك لا يتردّد "الزركشي" في اعتباره: "شطر الكلام كلّّه"³. هذا يعني أنّ للنفى ميزته الوظيفية في البحث الأصولي ما يجعله يختلف عن باقي الأغراض التي يتوقّف عليها الكلام ويتشكّل منها الخطاب.

¹. محمد يونس، علم التخاطب الإسلامي، ص: 102، 103.

². فخر الدين الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تح، بكرى شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت. لبنان، ط1، 1985، ص: 149.

³. بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 2، ص: 377.

يقول في موضع آخر: "المنفي ما ولي حرف النفي، فإذا قلت: ما ضربت زيدا كنت نافيا للفعل الذي هو ضربك إيّاه، وإذا قلت: ما أنا ضربته كنت نافيا لفاعليتك للضرب، فإن قلت الصورتان دلّتا على الضرب فما الفرق بينهما؟ قلت من جهتين أحدهما أنّ الأولى نفت ضربا خاصا وهو ضربك إيّاه ولم تدل على وقوع ضرب غيرك ولا عدمه، إذ نفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم ولا ثبوته والثانية نفت كونك ضربته ودلت على أنّ غيرك ضربه بالمفهوم ثانيهما... أنّ الأولى دلّت على نفي ضربك له بغير واسطة والثانية دلّت على نفي بواسطة"¹. يؤكّد "الزركشي" على مدى بروز النفي في البحث الأصولي كوسيلة تأخذ سميتها من الأنساق اللغوية التي يتشكّل منها الخطاب.

يكاد يتفق جُلّ علماء الأصول في تأكيدهم على أنّ للنفي دلالة تداولية إنجازية تنفي فعلاً ما أو خبراً ما، يقول "عبد القاهر الجرجاني" مؤكّداً الفكرة: "إذا قلت: ما فعلت، كنت نفيت عنك فعلاً لم يثبت أنّه مفعول، وإذا قلت ما أنا فعلت كنت نفيت عنك فعلاً ثبت أنّه مفعول، تفسير ذلك أنّك إذا قلت: ما قلت هذا كنت نفيت أنّ تكون قد قلت ذاك، وكنت نوظرت في شيء ثبت أنّه مقول. وكذلك إذا قلت: ما ضربت زيدا كنت نفيت عنك ضربه، و لم يجب أن يكون قد ضرب بل يجوز أن يكون قد ضربه غيرك، وأن لا يكون قد ضرب أصلاً"². فللنفي أدوات يتحقّق بموجبها الفعل الإنجازي وتوظيفها في سياقاتها التركيبية ومقاماتها التواصلية المختلفة يجعلها تنفرد بمعانٍ ذات قوى إنجازية متعدّدة تُشكّل النفي وتكوّنه. وفي هذا المقام نلّفني "الزركشي" يتحدّث

¹. المصدر نفسه ص: 393.

². عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص: 95.

عن أدوات النفي قائلا: "قال الخوي: "وأصلها "لا" "ما" لأنّ النفي إمّا في الماضي وإمّا في المستقبل، والاستقبال أكثر من الماضي أبداً و "لا" أخف من "ما" فوضعوا الأخف للأكثر. ثم إنّ النفي في الماضي إمّا أن يكون نفيًا واحداً مستمراً أو إمّا أن يكون نفيًا فيه أحكام متعدّدة، وكذلك النفي في المستقبل، فصار النفي على أربعة أقسام واختاروا أربع كلمات: "ما" "لم" "لن" "لا". وأما "إن" و"لما" فليسا بأصلين. فـ "ما" و "لا" في الماضي والمستقبل متقابلين، و "لم" و "لن" في الماضي والمستقبل متقابلين، الأمر في المستقبل و"الميم" من "ما" التي هي لنفي الأمر في الماضي، والجمع بينهما إشارة إلى أنّ في "لم" المستقبل والماضي، وقدّم "اللام" على "الميم" إشارة إلى أنّ "لا" هو أصل النفي ... أما "لما" فتركيب بعد تركيب، كأنّه قال: "لم" و "ما" لتوكيد معنى النفي في الماضي وتفيد الاستقبال أيضاً، ولهذا تُفيد "لم" الاستمرار كما قال الزمخشري: إذا قلت: "ندم زيد ولم ينفعه الندم" أي حال الندم لم ينفعه، وإذا قلت: "ندم زيد و لما ينفعه الندم" أي حال الندم و استمرار عدم نفعه"¹.

فمن وجهة نظر الزركشي أنّ أدوات النفي المتعددة قد تعطي للنفي أفقا رحباً يتجاوز به أحادية المعنى وتعدّده، ويبقى مفتوحاً على العناصر الخارجية المتعلقة بالموقف النفسي والسيّاق النصّي؛ الأمر الذي يُسهّم في تعليقه على مستوى أوسع و أرفع. هذا فضلاً على أنّ هذه الأدوات التي بها تتحدّد الدلالة أصولياً قد تُسعفنا -أيضاً- في تفكيك بنية النصّ وتربطنا بمسوغات منطقية. يتحدّث الإمام "الجويني" عن أربعة آليات للفهم والتفكيك هي: "بناء الغائب على الشاهد وإنتاج المقدمات، النتائج والسير

¹. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص:39، عن خلوفي قدور، مستويات الأفعال الكلامية، ص:150.

والتقسيم والرابع الاستدلال بالمتفق عليه على المختلف فيه¹. ركّز "الجويني" في حديثه عن السبر والتقسيم، ذلك لتعلّقهما بإجراءات فعل النفي والإثبات على الخطاب قصد إثبات حقيقة الدلالة وإبراز المراد من الخطاب الشرعي المشكل، وفي مصنفات الأصوليين على اختلاف مناهجهم ومذاهبهم الفكرية نجد تقسيمات متباينة في التفريق لإثبات الحكم وصحة طريقة استنباطه². ولم يشذ "الزركشي" عن هذه القاعدة بل ذهب إلى تقسيم النفي إلى أربعة أقسام وهي:

الأول: بنفي المسند نحو: ما قام زيد بل ما قصد.

الثاني: أن ينفي المسند إليه فينتفي المسند، نحو: ما قام زيد إذا كان زيد غير موجود لأنّه يلزم من عدم زيد نفي القيام.

الثالث: أن ينفي المتعلّق دون المسند والمسند إليه، نحو ما ضربت زيدا بل عمرا.

الرابع: "أن ينفي قيد المسند إليه أو المتعلّق به نحو: ما جاءني رجل كاتب بل شاعر، وما رأيت رجلا كاتباً بل شاعراً، فلما كان النفي قد ينصب على المسند والمسند إليه أو المتعلّق، وقد ينصب على القيد احتمال في قولنا ما رأيت رجلاً كاتباً إن يكون المنفي هو القيد. فيفيد الكلام الرؤية عبر الكاتب، وهو احتمال مرجوح ولا يكون المنفي المسند، أي الفعل بمعنى أنّه يقع منه رؤية عليه لا على رجل ولا على غيره. وهو في المرجوحية كالذي قبله"³. فلا مندوحة إن قلنا أنّ هذا النص يعطي لقراءتنا بعداً معرفياً يجعلها

¹. الإمام الجويني، البرهان في علوم الفقه، ج1، ص:25، عن خلوفي قدور، مستويات الأفعال الكلامية ص:150.

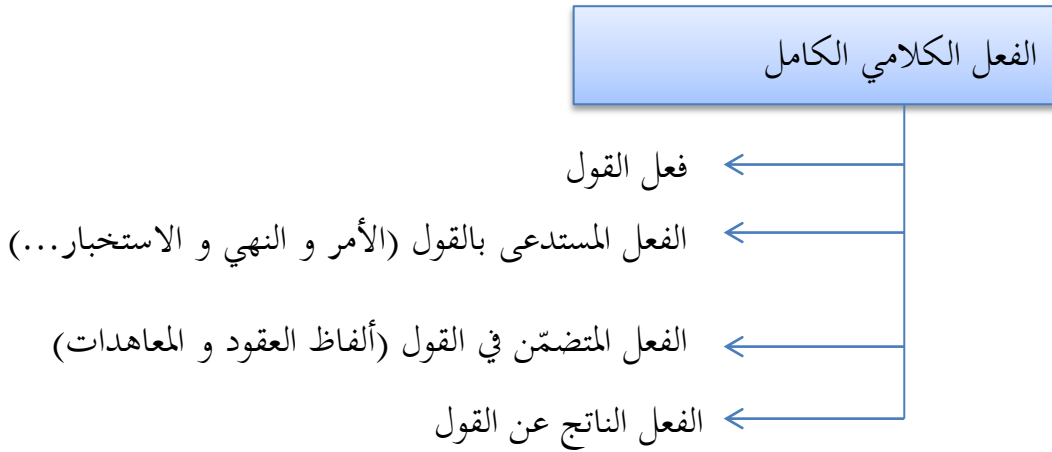
². الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، مجلد 2، ج4، ص:81.

³. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص:449.

أقرب إلى المنحى التداولي الذي يجعل بدوره الخطاب يقوم على تأويل لغوي للتركيب بواسطة إخضاع إحدى عناصر هذا التركيب إلى تحديد الدلالة وترجيح المعاني المنشودة.

7- الأفعال الكلامية المنبثقة عن الإنشاء:

استنبط الأصوليون والفقهاء أفعالاً كلامية جديدة بانتهاج النهج التداولي، وتحديدًا بالبحث في المقاصد والأغراض التي يؤول إليها كل من الأمر والنهي وغيرها من الأساليب الإنشائية، وقاموا بتعديل بعض التحديدات التي وضعها علماء المعاني فجعلوا "حقيقة الأمر الدعاء إلى الفعل، وحقيقة النهي الدعاء إلى الكف والأمر وهو استدعاء الفعل بالقول ممن هو دونه وعلى أنّ النهي هو استدعاء الترك بالقول ممن هو دونه على سبيل الوجوب"¹. ما يُلفت النظر أنّ عبارة استدعاء القول بالفعل واستدعاء الترك بالقول مشابهة لتفسير أوستين: الفعل بالقول وعليه تكون شعب الفعل الكلامي كالآتي²:



¹. مسعودي صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 185.

². المرجع السابق، ص: 187.

لأسلوب الإنشاء ميزة عند الأصوليين باعتباره ألصق بالأوامر والنواهي الشرعيّة، لذلك أدّت تطبيقات أسلوب الأمر والنهي خصوصاً إلى تشقيق فروع كلامية منبثقة تندرج ضمن الأفعال الكلاميّة مثل الوجوب والإباحة، الحرمة، الكراهة، التنزيه... إلخ يجمعهما صنفان: الإذن والمنع.

1- الإباحة:

قد تأتي صيغة الأمر للإباحة ومثّلوا لها بالقول: جالس الحسن أو بن سيرين. وهي تعدّ من الأغراض التي تستعمل فيها بعض صيغ الطلب مثل: الأمر وعليه فالأمر بالقيام: إذن بالقيام وإباحة القيام، إذن بالقيام و الفرق بينهما أنّ الأمر إذن ومعه طلب، والإباحة إذن لا طلب معه ومبدأ التفاوت بين الأوامر والنواهي الشرعية حسب الأولوية نجدها عند كبار الأصوليين¹، أمثال "الشاطبي" يقول: "أنّ أوامر الشريعة لا تجري في التأكيد مجرى واحد، فإنّ الأوامر المتعلّقة بالأمر الضرورية ليست كالأوامر المتعلّقة بالأمر الحاجية ولا التحسينية"². وعليه فهو يرفض إطلاق القول في الشريعة بأنّ الأمر للوجوب أو الندب أو للإباحة دون قرينة، كما هو رأي الكثيرين (كالرازي والمعتزلة وجلّ الظاهرية)؛ أي يرفض بأنّ الأمر للوجوب مطلقاً، كما تدعيه المدارس المتشدّدة كالمدرسة الظاهرية التي ترى أنّ الأوامر تُؤخذ على ظاهرها بطلب الفعل في المأمورات، وبالكفّ عن الفعل في المنهيات ما لم يصرفه نص إلى غير ذلك. كما صرّح به "ابن حزم" (ت 456 هـ) وتشدّد في الدفاع عنه، غير أنّ "الشاطبي" وآخرين ك"الأشعري

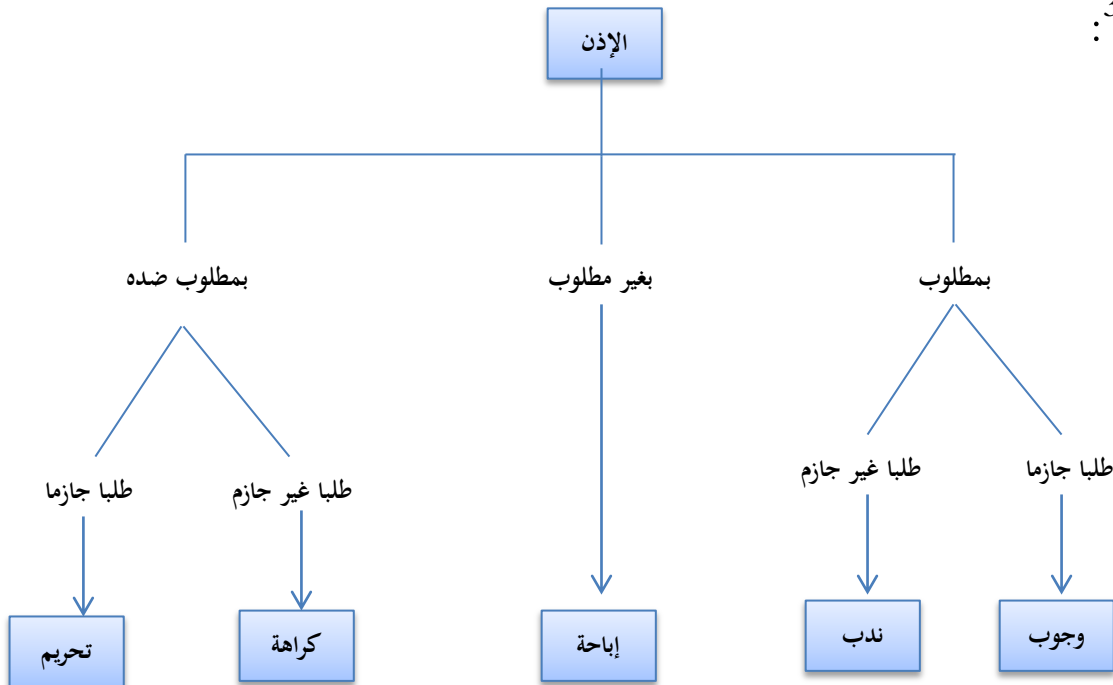
¹. المرجع نفسه ص: 189.

². الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ج 2، ص: 187.

"والباقلائي" ذهبوا إلى ضرورة اعتبار القرنية في صرفه إلى الوجوب أو الندب¹. وحجة الشاطبي أنه "ليس في كلام العرب ما يرشد إلى اعتبار جهة من الجهات دون صاحبها"². وهذه إشارة إلى بلوغ ذروة الأمر عند الشاطبي الذي يعتمد على القرينة.

2- الإذن:

تحدّث الأصوليون عن فعل كلامي آخر هو الإذن، ودعاهم ذلك إلى الحديث عن الكراهة، مع أنّها ليست من أفراد الإذن كما يرى المغربي، غير أنّ المكروه مأذون فيه وهو يقع موقع الضدّ من المندوب، فأضيف إلى الأصناف الواقعة تحت الإذن ثمّ جرّهم ذلك إلى الحديث عن المحرم لأنّ النهي عن شيء أمر بضدّه، فهو يقع موقع النقيض من الأمر والمباح حسب تصنيف الأصوليين، ويكون مصطلح الإذن أعلى منها وشاملا لها. ومثّل "هاشم الطبطبائي" لشكل العلاقة بين هذه الأصناف في الرسم الآتي³:



¹. مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، 89-190.

². الشاطبي، الموافقات، ج 2، ص: 188.

³. طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية، ص: 80.

ف فعل الإذن متباين لكلّ من الأمر والنهي ممّا يجعله مستقلاً عنهما، ويتعلّق بفعل الإباحة فعل آخر لم يذكره "شهاب الدين القرافي" وذكره بعض العلماء وهو فعل التخيير، وعلى الرغم من تشابههما الشديد برؤية المعاصرين من جهة الصيغة اللغوية ومن جهة القوة الإنجازية فإنّ بينهما فرقاً واضحاً يتمثّل في جواز الجمع بين المبحثين في الإجابة وامتناع الجمع بينهما في التغيير؛ أي يختلفان في الآثار المترتبة على كلّ منهما وهو ما سمّاه "أوستن" و"سيرل" الفعل الناتج عن القول أو الفعل التأثيري Perlocutionary Act.

3- أَلْفَاظُ الصَّيغِ أَوْ الْبَيْعِ:

ناقش الأصوليون والفقهاء الصيغ التي تتمّ بها عقود البيع إذ أنّ الفعل البيعي لا يصحّ إلاّ بألفاظ خاصة تواضع عليها أهل اللسان العربي، لتؤدّي هذا الفعل الكلامي وهي الألفاظ التي وصفها "ابن رشد" بأنّ صيغتها ماضية مثل أن يقول البائع قد بعثك هذا الشيء"¹. ذلك أنّ المرجعية الفعلية لصيغة البيع ماضية .

مفاده أنّ صيغة البيع مخالفة لصيغة الشهادة فتكون بالماضي " و عكسه في البيع لو قال: أبيعك لم يكن إنشاء للبيع، بل إخبار لا ينعقد به بيع بل وعد بالبيع في المستقبل، ولو قال بعثك كان إنشاء للبيع فالإنشاء في الشهادة بالمضارع وفي العقود مثل البيع بالماضي وفي الطلاق بالماضي، واسم الفاعل نحو: أنت طالق وأنت حر ولا يقع الإنشاء في البيع باسم الفاعل ولو قال: أنا بائعك بكذا لم يكن إنشاء للبيع"². فالتعبير الذي يستعملونه يختلف باختلاف الصيغ فعندما يقولون إنّ صيغتها

¹. ابن رشد القرطبي، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار القلم، بيروت، ط1، 1988، ج2، ص:170.

². القرافي، الفروق، ج4، ص:189.

ماضية لا يفيد أنّها وقعت في الماضي بل العكس هو المقصود، أي يشترط أن تقع في الحال مع استعمال صيغة الماضي الذي يفيد الحال .

يُضَي "بن قِيم الجوزية" إلى بيان أمر نراه من المجدي التوسّل به ألا وهو عدم اعتبار القصد في بعض العقود، ويسمّيه بالحيل لأنّ تلفظ المتكلم بخطاب وفق صورته اللغوية الصحيحة ليس كافياً لإزاحة التّقاب عن حقيقة و هدف الخطاب، فقد يفضي التلفظ إلى محرّم نحو قول "المرابي": "بعتك هذه السلعة بمائة، و ليس لواحد منها غرض فيها من الوجود، و ليس مبطناً لهذه اللفظة وإنما التكلّم بها متوسّلاً إلى الرّب، فكيف يسمّي أحدهما مخادعاً دون الآخر مع إنّ قوله "بعت واشتريت" غير قاصد انتقال الملك إلى الذي وضعت له هذه الصيغة بمباشرة هذه الكلمات، التي جعلت لها حقائق ومقاصد مظهراً لإرادة حقائقها ومقاصدها ومبطناً لخلافه¹. فقيمة معرفة مقاصد المتكلم تظهر أساساً عند كفاية فهم الخطاب وفق معناه الحرفي، لأنّ الإيمان بفكرة اعتبار المقاصد نوعاً من أنواع القراءة الحرفية أمر فيه كثير من التسطّيح الذي لا يتماشى مع الحقيقة النقدية واللّسانية.

جَلِيّ من كلامهم أنّ التعبير الذي يستعملونه عندما يقولون إنّ صيغتها ماضية لا يفيد أنّها وقعت في الماضي بل العكس هو المقصود من كلامهم وهو الصحيح، أي يشترط أن تقع الحال مع استعمال صيغة الماضي الذي يفيد الحال وعن صيغة ألفاظ العقود كـ "بعت واشتريت وزوجت وطلقت" إنشائية إذا لم تتمّ وقوع فعلها في الماضي، فإنّ العلم بعدم وقوع فعلها في الماضي دلالة على كونها للإنشاء²، ولا تتمّ

¹. ابن قِيم الجوزية، إعلام الموقعين، ج3، ص: 173 عن خلوفي قدور، مستويات الأفعال الكلامية ص: 168.

². مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، ص: 211.

عملية البيع حتى يقول المشتري: قد اشتريت منك وذلك ما يسمّى عندهم: الإيجاب والقبول وأنّ الخطأ في الصيغة إذا لم يخل بالمعنى والغرض، ينزل منزلة الخطأ في الإعراب بالتذكير والتأنيث، والشاهد في ذلك أنّه يعتد بالمعنى والغرض أي القصد على حساب الصيغة إذا طرأ عليها ما يخلّ بأدائها الإنجازي¹. فالعبرة عند الأصوليين بالمقاصد والمعاني لا بالألفاظ والمباني.

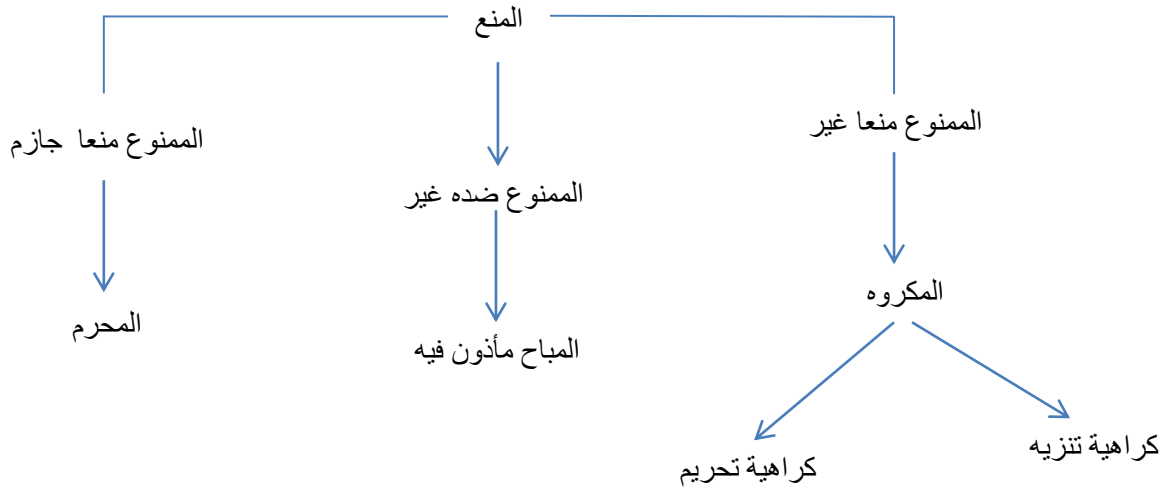
4-المنع:

انبثق عن تطبيقات الأصوليين للنهي أصناف كلامية فرعية جديدة يمكن إدراجها ضمن الأفعال الكلامية، واختلفوا في دلالة صيغته هل تقتضي التحريم أم الكراهة؟ والحرام والمكروه يمكن إدراجها ضمن المنع الذي أعمّ من النهي طالما أنّه يعتبر عند بعضهم غير دال على التحريم بالضرورة أي غير جازم في التحريم، ويقع المنهي عنه الذي يحتويه مصطلح الممنوع في علاقة تضاد مع المأمور به، وفي علاقة تنافر مع المباح. وأضاف الشاطبي درجة أخرى من درجات المنع سمّاها التنزيه وهو متفرع عن الكراهة وهي نوعان: كراهة تنزيه وكراهة تحريم². ويمكن تصوير العلاقة بين هذه الدرجات من الأفعال الكلامية الفرعية في البيان الآتي³:

¹. المرجع نفسه ص:211.212.

². الشاطبي، الموافقات، ج2، ص:291.

³. مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، ص:198.



الفرق بين المكروه والمحرم يكمن في درجة الشدة للغرض المتضمن في القول بحسب معايير "سيرل"، فالغرض المتضمن في القول من الكراهة أقل شدة من غرض التحريم، وكذلك الغرض المتضمن في فعل كراهة التنزيه أقل شدة من كراهة التحريم، ونجد في كلٍّ منهما أيضا فعلا كلاميا شاملا لهما معا هو المنع.

5-إنجازية فعل التعجب عند الأصوليين:

اهتم الأصوليون والمفسرون بمسألة التعجب من أفعال الله تعالى، وعرفوه بأنه انفعال يحدث في النفس عمّا خفي سببه، يقول الأزهري*: "التعجب هو استعظام زيادة

*. أبو الوليد بن زين الدين خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن أحمد المرحاوي الأزهري (838هـ، 1434م- 905هـ، 1499م) يعرف بالوقاد، هو نحوي مصري من جرجا، عاش في القرن التاسع الهجري، درس في الأزهر الشريف بالقاهرة، وكان متخصصا في علوم المنطق و البلاغة و النحو، من مؤلفاته: الألغاز النحوية، التصريح بمضمون التوضيح، تمرين الطلاب في صناعة الإعراب، عبد الكريم الأسعد: الوسيط في تاريخ النحو العربي، دار الشروق للنشر و التوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ص: 227، 228.

في وصف الفاعل خفي سببها وخرج بها المتعجب منه عن نظائره أو قلّ نظيره¹. ذلك أنّ المرجعية الفعلية للتعجب هي الاستعظام .

ناقش " الزركشي " أصل هذه المسألة، وهو كيف ينسب إلى الله خفاء السبب أو جهل الحقيقة، فتحيرّوا من نسبة ذلك إليه واستحسنوا صيغ الزمخشري إذ عبّر عنه بالتعجب؛ بمعنى أنّ التعجب مصروف إلى المخاطب² و"استحسنوا رأي سيويه إذ اعتبر مجيء التعجب من الله كمجيء الدعاء والترجي منه"³. وأخذ المفسّرون والأصوليون بمصطلح التعجب إذ كانت ألفاظ التعجب صادرة عن الله تعالى وعلى هذا جرت عاداتهم. فقد فسّر "بن عاشور" قوله تعالى: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾⁴ بقوله: تعجب من شدة تصبرهم على عذاب النار⁵. فحصول الكلام أنّ الأصوليين أضافوا إلى التعجب فعلا كلاميا ثانيا هو التعجب ومعناه حمل المخاطب على التعجب.

6- الاستفهام:

جعل الأصوليون بحث الاستفهام متنقلا بين الخبر والإنشاء بحسب السياق وقصد المتكلم وغرضه من المخاطب، فالاستفهام عند علماء المعاني: "استعلام عن نسبة هي أصلا خبر، أمّا الاستفهام الخبري فهو نفي وإثبات والوارد للنفي يُسمّى: استفهام إنكار، والوارد للإثبات يُسمّى استفهام تقرير لأنّه يطلب بالأوّل إنكاراً على المخاطب

¹. خالد الأزهرى، شرح التوضيح على التصريح. دار الفكر، بيروت، د ت، ج 2، ص: 36، 37.

². الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 2، ص: 318.

³. سيويه، الكتاب، ت. ح، عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت ج 1، ط 1، ص: 319.

⁴. سورة البقرة، الآية 175.

⁵. محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1884، ج 16، ص: 227.

وبالثاني إقراراً به¹، ثم ذهبوا يُقَسِّمُون الاستفهام الخبري إلى أقسام كثيرة تنتهي عند ضربين هما:

1- استفهام الإنكار:

معناه حسب "الزركشي": "أنّ ما بعد الأداة منفي ويجيء لأغراض كتعريف المخاطب أن ذلك ممتنع عليه"²، وهو نوعان في تصوّر "الزركشي": إبطالي وحقيقي. ففي الأوّل الإنكار الإبطالي ويكون ما بعد أداة الاستفهام غير واقع ومثاله قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ؟﴾³، ويبيد هذا التقسيم وعيهم الكامل بأغراض الاستفهام، ففي الآية الكريمة نلتمس استفهام لمن قد سلبه الله استماع حججه التي احتج بها في الكتاب فأصمّه عنها، أو تهدي إلى طريق الهدى من أعمى الله قلبه عن إبصاره واستحوذ عليه الشيطان. أمّا الثاني الإنكار الحقيقي فيكون ما بعد الأداة واقعا وفاعله معلوم. ومثاله قوله تعالى: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾⁴. ففي الآية استفهام إنكاري لعبادة الأصنام؛ بمعنى أتعبدون من دون الله من الأصنام ما أنتم تنحتونها وتجعلونها بأيديكم.

2- استفهام التقرير:

مضمونه "حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عندك"⁵، مثاله قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا، فَوَآى وَوَجَدَكَ ضَالًّا، فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلًا

¹. مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، ص: 202.

². الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص: 328.

³. سورة الزخرف، الآية 43.

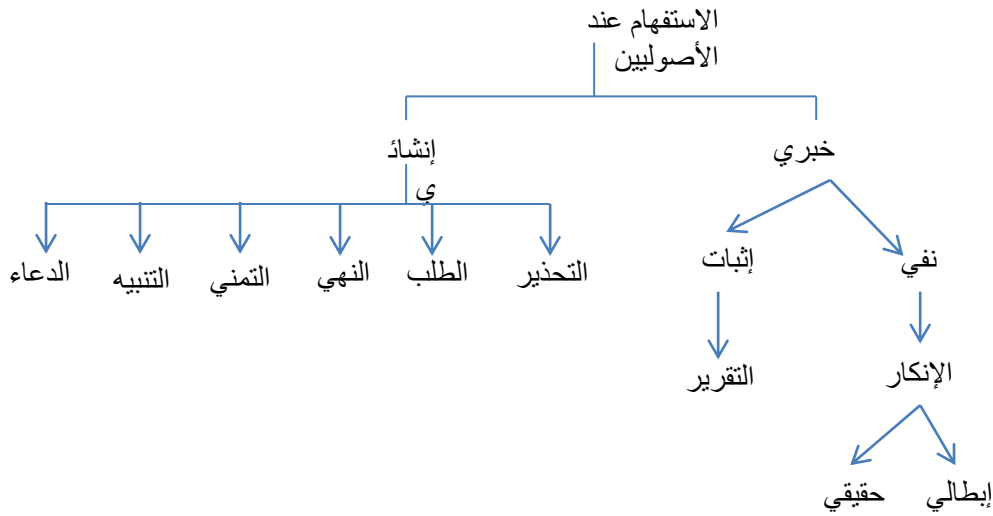
⁴. سورة الصافات، الآية 95.

⁵. الزركشي، ج1، (مصدر سابق)، ص: 331.

فَأَغْنِي¹، وقوله تعالى: ﴿أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾². فهذا استفهام

تقرير، بمعنى ما الذي أوجب لك الإقدام على هذا الأمر؟.

أما ضرب الاستفهامي الثاني فسمّوه الاستفهام الإنشائي وسمّوه إلى أصنافٍ كثيرةٍ حسب مقاصد المتكلمين، ومرادهم من المخاطبين من أهمّها: العرض والتحضيض وهما من أنواع الطلب. مثاله قوله تعالى: ﴿هَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾³، فالاستفهام الوارد في الآية مستعمل في استبطاء الشكر ومكثّي به عند الأمر بالشكر. ومنها التحذير مثاله قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾⁴، وأيضا التنبيه والترغيب، التمني والدعاء. ويمكن توضيح أقسام الاستفهام وتنوع أغراضه الإنجازية عند الأصوليين كالآتي⁵:



1. سورة الضحى، الآية 07.

2. سورة الأنبياء، الآية 62.

3. سورة الأنبياء، الآية 80.

4. سورة المرسلات، ص: 17.

5. مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، ص: 205.

7- ألفاظ العقود والمعاهدات:

ألفاظ العقود والمعاهدات من بين الأعمال التي بحثت باستفاضة في كتب الفقهاء والأصوليين؛ والتي لا يُمكن إنجازها إلا من خلال اللغة، الألفاظ التي تنشئ الطلاق أو توقعه، أي التي يتم بها إنجاز الفعل الكلامي الذي ينجر عنه فعل الطلاق. يقول "ابن رشد": "الطلاق يقع إذا كان بنية ولفظ صريح"¹. وعليه فالاعتبارات التداولية تتجلى في مبدئين: القصد (النية) ومبدأ الصراحة والكنائية .

فصيغة العقد في نظر الأصوليين من أركان العقد الرئيسة عرفوها بأثنا: "هي ما صدر من المتعاقدين دالا على توجه إرادتهما الباطنة لإنشاء العقد وإبرامه، وتعرف تلك الإرادة الباطنة بواسطة اللفظ أو القول أو ما يقوم مقامه من الفعل أو الإشارة أو الكناية وهذه الصيغة هي الإيجاب أو القول"²، ومن هنا فالزواج - مثلا- كإجراء اجتماعي وشرعي لا يتحقق إلا بواسطة عقدٍ قوليٍ خاضع لصيغ دقيقة ومحددة يتلفظ بها الزوج و الزوجة وولي أمر المرأة، إذ ينبغي أن يقوم كل واحد منهما بدوره المنوط به الذي يخضع لقيم عرفية ودينية هي القاسم المشترك بين أفراد المجتمع، ولذلك لا بد أن يتم الإنجاز اللغوي ليصبح الكلام بدوره هو الفعل، فيستوي في ذلك قول ولي أمر المرأة: زوجتك في جملة ذات فعل ماضٍ أو: أنا أزوج في جملة تتكوّن من مبتدأ وخبر أو: أنا زوجتك، وبهذا يُصبح اتفاق الطرفين ورضاهم أحد أركان الزواج³.

¹. ابن رشد، بداية المجتهد، ج 2، ص:74.

². وهبة الرحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق، ط3، 1983، ص:94.

³. خلوفي قدور، مستويات الأفعال الكلامية في الخطاب القرآني، ص:165.

من النتائج التي توصل إليها الأصوليون؛ اعتمادهم على أن يقع اللفظ ضمن دلالة في التخاطب الاجتماعي وخلقهم لشروط شرعية إزاء الأفعال الكلامية وهي: "أن لا يسبق لفظ القبول لفظ الإيجاب، وإن حدث ذلك فإنَّ العقد باطل لا ينعقد به الزواج"¹، فيجب أن يكون الكلام مفهوماً وواضحاً الدلالة على القصد حتى يتحقق منه إيقاع الفعل المراد، ولا ينعقد الزواج إذا كانت هناك قرينة مانعة من ذلك. وهكذا فقد اعتبر الأصوليون شرط النية أو القصد ركناً من أركان التمييز بين أنواع الطلاق، وما هو صحيح منها وما هو غير صحيح في تداوليتهم.

أما باصطلاحات التداوليين المعاصرين فتكاد هذه الضوابط الدقيقة التي وضعها الأصوليون تُشبه إلى حدٍّ بعيد ما صنعه أوستين "Austin" عندما تحدّث عن الشروط التي تتحقّق بها الأفعال الأدائية الصريحة، والتي أطلق عليها بشروط الملاءمة. ثمّ يأتي سيرل "Searl" ويُعيد النظر في تصوّر أوستين مُدرجاً الأفعال التي تشمل ألفاظ العقود والمعاهدات ضمن ما يُسمّيه بالإعلانيات وهي أفعال تُغيّر ما في الواقع بمجرد النطق بها. ولنجاح إنجاز أفعال الإعلانيات يشترط وجود عرف غير لغوي، فهي تحتاج إلى مؤسسة خارج اللغة كالشريعة الإسلامية، الدستور، المسجد². فهذا يعني أنّ "سيرل" يشترط في إنجاز أفعال الإعلانيات وجود عرف غير لغوي .

ختاماً لما ورد تفصيله في هذا البحث من المستويات اللغوية والأفعال الكلامية المؤصّلة في الفكر الأصولي، وبعد نظرة تأملية فاحصة نجد مدى استيعاب الأصوليين لمفهوم الفعل الكلامي ومدى تأثيره في الواقع. فلم يهتموا في كيفية اشتقاقها ولا في

¹. وهبة الرحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ص: 96.95.

². Cf, Searl, p : 58 , 166 , ص: عن خلوفي قدور، مستويات الأفعال الكلامية في الخطاب القرآني، ص: 58 , 166 .

طريقة تركيبها، إنمّا بحثوا عمّا نجده في الواقع من تأثيرات تعود على الفرد والمجتمع. فهي أفعال ارتكزت أساساً على المعطيات اللغوية في آليات التأويل والتفسير نحو تحديد المقاصد وترجيح الدلالات، إلا أننا لا ننفي أنّ حداثة النظرية في شكلها الغربي يكمن في الإطار الذي تبنته لعرض الأفكار التي لقت النظرية عموماً حتى بدت - للناظر المبتدئ - ولأول وهلة أنّها من بدع الغرب ومبتكرات العصر.

المبحث الثاني:

القوة الإنجازية عند الأصوليين

✓ مفهوم القوة الإنجازية

✓ آليات القوة

✓ دوافع تعديل القوة الإنجازية

1- مفهوم القوة الإنجازية:

إنَّ الحديث عن دلالات القوَّة الإنجازية لا يخرج عن نطاق تداولية أفعال الكلام، فقوَّة المنطوق الإنجازية تعدّ جزءاً من بنيته الدلاليَّة، وعليه "فقصد المتكلم الذي تُعبّر عنه هذه الأفعال هو الذي يُحدّد الطريقة التي يتحدّث بها ويتغيّر تعبيره عنه قوة وضعفاً بتغيّر الموقف الكلامي، فالطلب مثلا يتفاوت شدّة وليناً فقد يكون أمراً وقد يكون التماساً، وقد يكون دعاءً، أمّا من حيث نوعه فقد يكون طلباً برفق فيكون عرضاً وقد يكون بحثاً وإزعاجاً فيكون تخصيصاً"¹. فقوة المنطوق الإنجازية تعدّ جزءاً من بنيته الدلالية، والتي تحدّد قصد المتكلم .

فدرجة القوَّة في الفعل الإنجازي تكمن في اختيار المادة اللغوية التي تُعبّر عن هذه القوَّة، "فالثناء مثلاً" أقوى من المدح لأنّ الثناء مدح مكرّر والسبّ أقوى من الشتم، لأنّ السب هو الإطّاب في الشتم والإطالة فيه"²، والجور أقوى من الظلم لأنّ الظلم نقصان الحق والجور العدول عن الحق³. وممّا لا ريب فيه أنّ الدرس الأصولي اعتنى أيّما اعتناء بالقوة الإنجازية للفعل الكلامي، فالفعل الكلامي يمتلك أغراضاً إنجازية متفاوتة بتفاوت ملابسات استعماله، وإنّ القوة الإنجازية خصيصة المنطوقات للجمل، فالمنطوق الواحد يمكن أن يمتلك قوى إنجازية مختلفة في ملابسات استعمال مختلفة. فالقوَّة الإنجازية إذن هي: الشدّة أو الضعف اللذان يُعبّر بهما عن الغرض الإنجازي في موقف اجتماعي

¹ محمود نخلة، آفاق جديدة، ص: 109.

² أبو الهلال العسكري، الفروق اللغوية، نج، حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، ط1، 1981، ص: 43.

³ المصدر نفسه ص: 226.

معين، أياً كان هذا المؤشر أو العلامة الدالة على تلك القوة¹. وهكذا كانت دراسة الأصوليين قائمة أساساً على المعطيات الاستعمالية للقوة الإنجازية، فقوة المنطوق الإنجازية جزء مكمل لمعناه أي أنّ المعنى أوسع من القوة لأنه يضمّ القوة والمحتوى المعنوي في آن واحد، وأنّ القوة والغرض جزءان مُكمّلان للمعنى فالغرض وظيفية والقوة درجة.

تتجلى القيمة الإنجازية للجمل في نظر "ديكرو" عندما "يؤدّي استعمال لغوي إلى حصول فعل إنجازي معيّن، وهذا الفعل هو النتيجة البسيطة لدلالة هذه المعايير اللغوية دلالة طبيعية، ويضرب أمثلة لتوضيح الفكرة بالجمل الإنشائية التي تعدّ جملاً إنجازية سواء أكان مصرّحاً بفعلها الإنجازي (سأل طلب...) أو لم يُصرّح به"²، فالصيغة اللغوية لها قيمة إنجازية إذا كان استعمالها يؤدّي إلى إنجاز فعل السؤال أو لأنها تملك قوة تداولية خاصة بها.

2-علامات القوة:

جعل أوستين حدود فاصلة بين ما ينجز من فعل وتحققه وبين آثاره ونتائجه فكان للقوة علامات ست هي³:

1- الصيغة: في مثل قولك: (أغلق الباب) فهي تضاهي أمرك، (و) أغلق الباب إذا أردت)، تضاهي: آذن لك.

2- نغمة الصوت: تختلف نغمة التحذير عن السؤال أو الاعتراض.

¹ علي محمود وحجي الصراف، في البراغماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط 1، 1431.2010، ص:267.

² محمد العبد، تعديل القوة الإنجازية، دراسة في التحليل التداولي للخطاب، ص:152.

³ محمد العبد، تعديل القوة الإنجازية، مجلة فضول، العدد 65/2004، ص:38.

3- أشباه الجمل: التي يقصد بها تكييف قوّة المنطوق مثل: تكييف قوّة (سوف أفعل) بإضافة (من المحتمل)، أو تكييف قوة النهي بالظرف مثل: (لا تنس أبداً).

4- أدوات الربط: مثل: من (أجل ذلك) التي تستخدم في قوة أستنتج وعلى (رغم ذلك) التي تستخدم في قوّة أسلم بأنّ.

5- مصاحبات المنطوق: أن تجعل منطوقك مصحوباً بحركة جسمية كإشارة الأصبع أو غمزة العين.

6- ملابسات المنطوق: التي تُساعد على تحديد الغرض، فالأمر يمكن أن يكون إذنا أو عرضاً أو التماساً أو توسّلاً أو توصية أو تحذيراً...و يشترط أوستين للجملة الإنجازية ثلاثة شروط هي¹.

- أن تتضمن فعلاً من زمرة الأفعال الإنجازية (قال-سأل-توعّد)

- أن يكون زمن الفعل لزمن الحاضر (أي زمن المتكلّم)

- أن يكون فاعل الفعل هو المتكلّم.

وإذا اختلّ شرط من هذه الشروط انتفت القوّة الإنجازية عن الجملة؛

نحو: أقول إنّ زيدا سيسافر.

يقول محمد: إنّ زيدا سيسافر.

فالجملة الأولى تحمل قوة إنجازية لتوافرها على الشروط السابقة، بينما الجملة الثانية تفتقد هذه القوة، لأنّ الفعل الإنجازي فيها (يقول) غير مسند للمتكلّم.

¹. أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص:108.

3-نسبية القوّة:

معناه أن يكون أمراً أقوى من أمر باعتبار سلطة المتكلم، فإذا قارنا مثلاً الأمر بالصيغة ذات الفعل المساعد "يجب" أو "ينبغي" سيبدو الأمر أقوى كثيراً عندما يكون المتكلم في كامل سلطته كالقائد في الجيش، ومن ناحية أخرى سيبدو الأمر أضعف كثيراً عندما يستعمل في مثل: أدخل في إجابة عن طرق الباب، أي أنه يعطى إذناً بالدخول.

4-تعديل القوّة:

يُعدّ مبحث التعديل أو التكييف من أثرى حقول البحث وأكثرها فائدة في تداولية أفعال الكلام، فالمتكلم يُعدّل منطوقه أو يُكيّفه لمقصده وتنصرف الغاية هنا إلى بحث تأثيرات الاستراتيجيات التي تُوظّف في تعديل القوّة، وبيان الدوافع والأسباب وراء استخدامها ووصف الوسائل اللغوية المختلفة التي يُكيّف بها المتكلمون قوّة المنطوق.

5-آليات التعديل:

لا مندوحة في أن يكون غرض المتكلم هو الذي يُحدّد الطريقة التي يتكلم بها، فالشخص الهجومى يقول "سالزمان" Salzman يستطيع أن يتكلم في نعومة واحترام عندما يُوقفه شرطي عن عجلة، و إنّ من الحقائق الجوهرية في الاستعمال اللغوي ارتباط الصيغة بالمقصد وأنّ الكيفية التي يُقال بها الشيء تُعدّ جزءاً ممّا يُقال، فحينما يُعدّل المتكلم قوّة منطوقه فإنّه يدلّ بذلك على وعيه بالمقصد وتقديره مقتضيات السياق، فهما مرتبطان بالكفاءة والأداء. يشير "فريزر" في بحث له منفرد أطلق عليه "تلطيف الخطاب" بيّن فيه أنّ: "التلطيف استراتيجية يعتمدها المتكلم لتخفيف قوة الفعل أو إضعافها، وفي عام 1984 قدّمت "جاننيت هولمز J-Holmes" دراسة تعديل القوّة بزيادة قوّة المنطوق أو تعزيزها، ويُمكن للغرض الإنجازي أن يُقدّم في درجات مختلفة لنقارن بين المنطوقات

التالية: (أنت جريء- أنت هكذا أجرئ- ولديك شيء من الجرأة)¹. فالنقطة الأساسية هنا تقديم غرض المدح في درجات مختلفة فاستعملت لفظة "هكذا للتقوية" و "شيء" للتخفيف، ومن الاستراتيجيات كذلك إضافة عنصر معجمي إلى المنطوق مثل: (نوعاً ما، حقاً، أو إضافة الإشارة الصريحة أظنّ، أنا متأكد...).

6-دوافع تعديل القوّة الإنجازية:

ترى "جانيت هولمز" بموجب ما تقدم أنّ هناك دافعين رئيسيين يدفعان المتكلم إلى تعديل القوّة الإنجازية هما:²

- 1- التعديل من أجل نقل المعنى المرتبط بسلوك المتكلم اتجاه القضية.
- 2- التعديل من أجل التعبير على معنى تأثيري.
- 3- إضعاف الفعل الكلامي سلبي التأثير: فالتلطيف هو استراتيجية مهمّة في تطوير العلاقة بين المتكلم والمخاطب، وذلك بإضعاف قوّة منطوق غير مرحّب بها.
- 4- تقوية الفعل الكلامي إيجابي التأثير: هو تعبير عن الصداقة بين المتكلم والمخاطب.
- 5- إضعاف الفعل الكلامي إيجابي التأثير: استراتيجية لزيادة التباين الاجتماعي بين المتخاطبين.
- 6- تقوية الفعل الكلامي سلبي التأثير: استراتيجية لإضعاف الموّدة.

¹. محمد العبد، تعديل القوّة الإنجازية، ص: 142.

². محمد مدور، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، ص: 61.

7- وسائل تعديل القوة الإنجازية: هناك نوعان من الوسائل¹:

- وسائل خارجة عن نطاق اللغة: تتمثل في حركات الجسم وتعبيرات الوجه والعينين، وأطلق عليها أوستين مصاحبات المنطوق. يقول: قد تصحب المنطوق بحركات جسمية: غمزات العين وإشارات الأصابع، هزات الأكتاف وتقطيب الوجه...إلخ.
- الوسائل اللغوية: تكون تركيبية وغير تركيبية.

8- وسائل التقوية: هي أربعة: صوتية ومعجمية وخطابية وتركيبية وقد أشار بن جني إلى بعض هذه الوسائل التي تُقوّي الفعل أو تُضعفه كالنبر والتنغيم وحركات الجسم وتعبير الوجه ونظرة العين².

1- وسائل التشكيل الصوتي:

يُقصد بها نوع النغمة والبتز وجهارة الصوت والنغمات التقابلية وجهارة الصوت التقابلية والمعول عليه هو السياق الموقف الذي يُعين كُنية المعنى الإنجازي.

2- الوسائل التركيبية:

منها الأبنية الاستفهامية، مثل: أليس الأمر جيّداً، ألا ينفرد بميزات خاصّة، ألم تكن خطبة الجمعة رائعة. فالمحتويات الإنجازية معلومة عند كلّ من المتكلّم والمتلقي من قبل.

3- الوسائل المعجمية:

¹. علي الصراف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، مكتبة الآداب القاهرة، ط1، 2009، ص:273.

². ابن جني، الخصائص، تح، عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية، ج2، ص:370.

تعني ما قد يستخدمه المتكلم من عناصر معجمية تُضيف قوة المنطوق الإنجازية وتتنوع صور التقوية وفقاً لما توجه إليه.

- المقويات الخاصة بالمتكلم: مثل: إنني واثق أو بصدق، أو إنني متأكد...
- المقويات الموجهة إلى المتلقي: هي العناصر التي تشير إلى معرفة المتلقي وكل ما يضع خلفية مشتركة بينه وبين المتكلم.
- المقويات الموجهة إلى المحتوى: هي العناصر التي تؤكد صلاحية القضية أو تثبت صحتها نحو الواقع، لا ريب، من المؤكد، لا جرم..¹. فهذه المقويات تُعزز قوة المنطوق.

4- الوسائل الخطابية:

يُقصد بها ما وراء العملية التداولية وما يتفرع عن ذلك من وسائل لغوية فرعية أو الوسائل الخارجة عن النص، ومن أهم الوسائل التي تتضافر في النص والخطاب تحقيقاً لوظيفة التقوية هي: تعيين الفعل الإنجازي، التكرار، العلامات أو الأدوات الرابطة، ووسائل ما وراء الخطاب.

- تعيين الفعل الإنجازي²: يتمثل في استخدام الأساليب المباشرة نحو: أُحذرك، أسألك، بحيث يساهم تعيين الفعل في تقوية المنطوق بوضوح الفعل وسرعة استيعابه.
- التكرار: هو وسيلة بلاغية لتقوية المنطوق.
- العلامات الرابطة: نحو إلى جانب ذلك، فضلاً عن ذلك، أكثر من ذلك، مع هذا، علاوة على ذلك، على رغم كذا، أمّا الروابط السببية: مثل إذن، هكذا، وعليه...

¹. علي الصراف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص: 274.

². المرجع نفسه ص: 267.

- وسائل مع وراء الخطاب: هي مفردات و عبارات تُبرز وعي المتكلم الذاتي بمجرد الخطاب وحالته، وإن لم تكن من بنية النص مثل: أشدّد، أكرّر، أعود، فأكرر وقلت أكثر من مرة... إلخ، وهناك وسائل أخرى تتجّه إلى تقوية إسهام المشارك في التفاعل نحو: كما تقول، وكما قال فلان لتوه، كما ذكر فلان، وهي من قبيل المصادفة ونوع لتقوية المنطوق.

يُمكن للمتكلّم أن يُحقّق الأفعال الكلامية التي يتغيهاها بسلوك الطريق المباشر، فيتطابق المؤشر اللساني مع القصد مثل قد يسلك طريقا غير مباشر لتحقيق تلك الأفعال نفسها، وهذا ما نجده في العربية فهي تعرف وسائل يضعف بها المتكلم قوة المنطوق الإنجازية، نقف عند أربعة منها¹.

1- الأسئلة التذييلية:

هي الأكثر استعمالا في تداولية أفعال الكلام، من حيث هي مضعفات لأفعال الكلام غير المرحب بها، من ذلك قول: أنت كنت معه؟ ألم تكن معه؟ أو أنا كنت على حق... إلخ. فالمتكلم يُبدي توقّفه عن الجزم بصحة القضية، وهذا النوع إضعاف لقوته الإنجازية وإن كان لتقوية درجاتها، فإنّ للاستضعاف درجاته نحو: اجلس ألا تريد؟ ثم إنزال الأمر إلى العرض.

2- التلطف بأنماط خاصة من الاستفهام:

إنّ التعبير بالأسلوب الاستفهامي المتضمّن للعرض أو الاقتراح، يعني أنّ المتكلم لا يحاول أن يفرض رغبته على المستمع، إنّما هو توجيه إلى أمر مستحسن، وهذا النوع تلطيف للقوة الإنجازية مثل: لماذا لا تتصلّ به؟ إنّه يستطيع مساعدتك، اقتراح.

¹. محمد العبد، تعديل القوة الإنجازية، ص: 142.

3- نفي الصفة:

لإثبات ضدّها فهو وسيلة أخرى لتلطيف منطوقات سلبية التأثير مثل: ليس
أمرًا حسنًا، بدلاً من اللفظ الدال على القبح.

4- العدول:

يُساهم في تلطيف قوّة المنطوق كالعدول عن حال التكلّم إلى حال الغيبة
ليدراً عن نفسه مسؤولية الحكم بصدق القضية مثل: يميل المرء إلى القول بأنّ ... بدلاً
من (أميل) وكذلك العدول عن بناء الفعل للمعلوم إلى بنائه على ما لم يسمّى فاعله،
مثل: عن سيدة على الهاتف تسأل عنك ويظنّ (ومن المظنون به) بأنّها السيّدة... بدلاً
من وأظنّ¹. تظهر ملامح هذه الآليات اللغوية التي تتحكّم في تحديد مواقع الفهم
وإدراك فحوى الدلالة من خلال خطاب الإمام علي كرم الله وجهه والذي وجهه لملك
ابن الحارث: يقول "هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشهر
في عهده إليه حين ولّاه مصر: جباية خراجها وجهاد عدوّها، واستصلاح أهلها وعمارة
بلادها، وأمره بتقوى الله وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه، من فرائضه
وسننه... فإنّ النفس أمّارة بالسوء إلاّ من رحم الله، ثم اعلم يا مالك أيّ قد وجهتك
إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور"². فقد أظهر "الإمام علي رضي
الله عنه حقيقة مهمّة مفادها استعمال الفعل الماضي من الفعل الأمر لإرشاد وتوجيه
مالك بن الحارث، وهو يستند إلى هذه التركيبة اللغوية، فقد أنجز فعل الأمر لحظة
التلفظ ولم يخبر عن فعل أنجزه في الماضي و"يدخل هذا النسق من الأفعال التي يتوجّه

¹. محمد العبد، تعديل القوة الإنجازية، ص: 142، وينظر، محمد مدور، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، ص: 64.

². الشريف الرضي، نهج البلاغة، شرح الإمام الشيخ محمد عبده، ج 1، ص: 511.

بها المتكلم إلى المتلقي ضمن الأفعال التوجيهية¹، وشرط النجاح فيها هو قدرة المتلقي على أداء الفعل المطلوب.

ثبت عند "سيرل" Searl أن الاختلاف في الفعل المنجز إنما يكون تبعاً لمكانة الأمر، أمّا لو تقدم جندي بنفس الطلب فلن يكون ذلك فعل أمر بل طلباً أو اقتراحاً، فالغرض المتضمن في القول واحد لكنّ تحققه تمّ بدرجات متفاوتة من الشدّة². هذا إدراك واضح لما تقدّم به "سيرل"، لأنّ سلطة المتكلم أو موقع الكلام هو الذي يجرّد طبيعة الخطاب ويكسبه قوّة إنجازية معيّنة بل هذه السلطة هي التي تفرض على المخاطب قدراً من الاحترام وعدم إطلاق العنان لنزواته في تعامله مع الأوامر.

دفع هذا الوعي اللغوي لدى الأصوليين بربط الأوامر بإرادة المتكلم أو ما يسميه الباحثون المعاصرون في الدرس التداولي بالقصد. فجمهور المعتزلة يرون أنه بدون توفر إرادة المتكلم لا يمكننا معرفة أكانت الصيغة تُفيد الأمر أم التهديد، إذ إنّ الإرادة هي الوسيلة الوحيدة الدالة³ بن "خلدون" مثلاً يُبيّن من خلاله علاقة الكلام بالمقاصد يقول: "اعلم أنّ اللّغة في التعارف هي عبارة المتكلم عن المقصود، وتلك العبارة هي فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بدّ أن تصير ملكة مقرّرة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو في كلّ أمة بحسب اصطلاحهم، وكانت الملكة الحاصلة للعرب من أحسن الملكات وأوضحها إبانة عن المقاصد، لدلالة غير الكلمات فيها على كثيرٍ من المعاني"⁴. فكلام "بن خلدون" نصّ صريح على أنّ الأفعال الكلامية تبقى تابعة

¹.Searl, Sens et expression, p:53.

².Searl, Sens et expression , p:44.157

³.الشريف الرضي، (مرجع سابق)، ص:159.

⁴.ابن خلدون، مقدمة بن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2004، ص:566.565.

للمقاصد واللغة في كثير من اتجاهاتها لها قدرة التعبير عن مقاصد متنوّعة؛ قدرة تتجاوز بها الدلالات اللغوية، لتأخذ من دلالات السياق التي تملئها اللغة. فعبارة المتكلم التي تعتبر المرجعية الشرعية التي تشهد على عملية التشكيل اللغوي للخطاب هي التي تحدّد طبيعة هذه المقاصد .

بموجب هذه النظرة المعيارية إلى دلالة القوة الإنجازية في الفكر الأصولي، لا مناص من الإقرار بأنّ التركيب اللغوي وحده غير كافٍ لترجيح الدلالة، بل يجب الأخذ بمعطيات خارجيّة وسياقية عامّة إذ التلفظ بدون إرادة ما تدلّ عليه يبقى مجرد نسيج لغوي مركب حتّى ولو حمل شحنة دلاليّة إلاّ أنّه لا ينجز فعلاً في غياب المتكلم .

الفصل الثالث

إمكانات التقاطع بين الأصوليين
والغربيين (مقاربة تداوليّة)

المبحث الأول:

استراتيجية التداوليّة عند علماء الأصول

المبحث الثاني:

إمكانات التقاطع من حيث المصطلحات والمفاهيم

- مقارنة بين الأصوليين والغربيين -

المبحث الأول:

استراتيجية التداولية عند علماء الأصول

- الأفعال الكلامية عند الشاطبي
- الشاطبي في فقه المقاصد نموذجاً
- الأفعال الكلامية عند بن تيمية .

1-الأفعال الكلامية عند الشاطبي*:

تحتاج دراسة أي علم من العلوم معرفة جملة من التصورات التي يتأسس عليها على مستوى التنظير والتطبيق، ومن المعلوم بدهاء أنّ التصورات تُمارس بطريقة تعليمية تقريبية تليق بمقامه ففي نظر الشاطبي "التصورات المستعملة في الشرع إنما هي تقريبات بالألفاظ المترادفة وما قام مقامها من البيانات القريبة"¹. يركّز هذا التعريف على تأهب الشاطبي في أن يدافع عن انسجام النصوص القرآنية وانتظامها، وتقديم قاعدة للتأويل عبر استخلاص الأحكام الجديدة لمقتضيات الأحوال؛ وكلّ هذا الاجتهاد الذي قدّم في الموافقات والاعتصام يسعى إلى فهم النص القرآني فهماً صحيحاً باعتباره نصاً متماسك الأجزاء خالياً من التزييف وبالتالي يحفظ وحدة الأمة. يقول الشاطبي في هذا الصدد "الموافقات معناها التوفيق والوفاق، والتّوفيق بين مذهب أبي القاسم وأبي حنيفة النّعمان، ولذلك فإنّ الشاطبي لا يجد أيّ مشكلة في أن يقول: إنّ كثيراً من الأمثلة نزهاً على مذهب أبي حنيفة"²، ويقول في موقف آخر: "فهم مقاصد الشريعة على كمالها شرط لم يذكره أغلب علماء الأصول، مع أنّه الذي يتفق مع ما قاله الشافعي من وجود

*. هو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي المعروف بالشاطبي، الإمام العلامة المحقق القدوة الحافظ الجليل المجتهد، لم يجد له من أتباعه من أشار إلى تاريخ ميلاده، فلقد استنتج أنّ ولادته كانت قبل 720هـ، عاصر ملوك غرناطة، وقد أجمع الذين عرفوا الشاطبي أنّه كان أحد علماء غرناطة الذين تجاوزت شهرتهم بلاد الأندلس إلى أنحاء كبيرة من العلم الإسلامي، ومن أشهر تلاميذه الذين كتبوا عنه: ابن مرزوق الحفيد أكثر هؤلاء الطلاب شغفاً بأستاذه الشاطبي، فقد ترجم له ترجمة واسعة كانت مصدراً لمن ترجم له فيما بعد، من أشهر مؤلفاته: كتابه الشهير "الموافقات" و"الاعتصام" و"الإفادات والإشادات" وافته المنية 790هـ. 1388م. أبي إسحاق الشاطبي: دراسة وتحقيق: محمد أبو الأحناف، ص: 11-18.

¹. أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تعليق عبد الله دراز، ط2، 1975، ص: 376.

². المصدر نفسه، ج1، ص: 135.

ملاحظة المجتهد القواعد الكليّة أولاً و تقديمها على الجزئيات...¹. يعتمد الشاطبي في موقفه هذا على خاصيتين: نقلية وعقلية، فما يستند إليه الاستنتاج العقلي المبني على مبادئ، و مؤسس على شروط مقبولة يكون قطعياً، وما يُنال بالنقل، فمبني على أساس الاستقراء الكلي الناظم لأشياء الأدلة المفردة، وهذا دلالة قطعية أيضاً. وعلى أساس هاتين الخاصيتين، فإنّ الشاطبي كثيراً ما يردّد المقولة المشهورة "لا اختلاف في أصول الشريعة ولا فروعها"². ممّا سبق ذكره يسعى الشاطبي إلى تحقيق نتيجتين تظهران متناقضتين، فهو يتوخّى ويسعى إليه، وإلى استنباط الأحكام الجديدة لمقتضيات الأحوال الجديدة؛ ولكن إذا أخذ بعين الاعتبار تفرقة بين الخاصّة والعامة يزول ظهور التناقض.

1-1- الأمر عند الشاطبي:

قسّم الشاطبي الأمر إلى صريح وغير صريح.

1- الأمر الصريح وهو قسمان:

الأوّل: مجرّد لا يعتبر فيه علّة مقصدية ويجري مع مجرد الصيغة مجرى القيد من غير تعليل، مثاله قوله تعالى: ﴿وَذُرُوا الْبَيْعَ﴾³، وقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾⁴. في الآية حثّ على ترك البيع والذهاب إلى الصلاة.

الثاني: ينظر إلى قصده الشرعي بحسب الاستقراء، وما يقترن من القرائن الحاليّة أو

¹ الشاطبي، الموافقات، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، المجلد1، دار بن عفان، ط1، 1417 هـ، 1997 م.ص:56.

² الشاطبي، الاعتصام، ج1، ص: 256.

³ سورة الجمعة، الآية 09.

⁴ سورة البقرة، الآية 43.

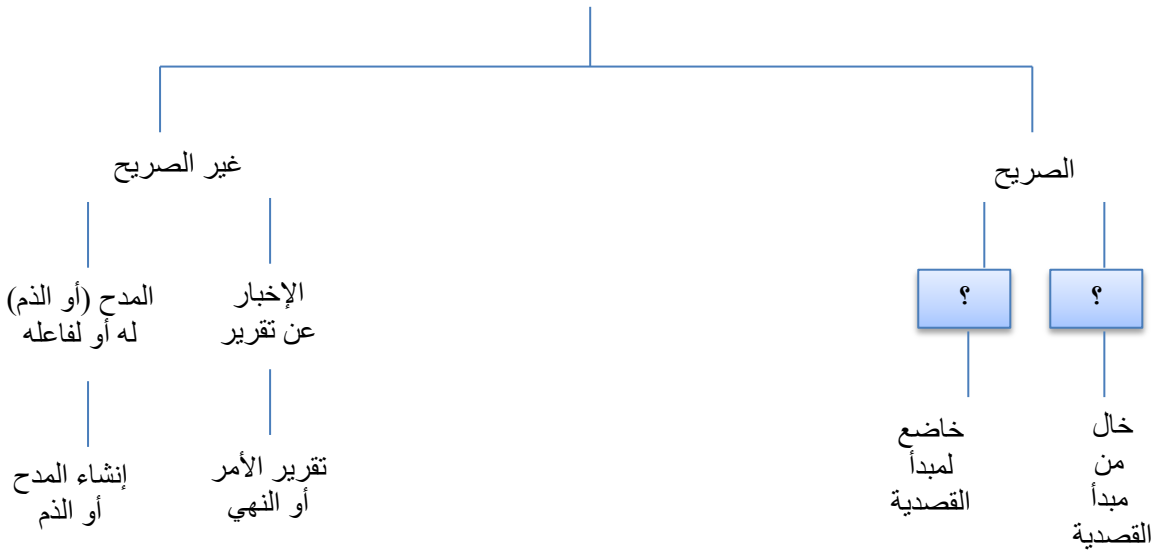
المقاليّة الدالة على أعيان المصالح في المأمورات والمفاسد في المنهيات¹، ومثاله قوله تعالى: ﴿فَاسْعُوا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾²، ففي كلامه ما يدلّ على الحثّ على إقامة الجمعة أو عدم التفريط فيها لا الأمر بالسعي إليها فقط، وقوله: ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ فهو جار مجرى التوكيد والنهي عن ملابسة الشغل.

2- الأمر غير الصريح: فهو على ضروب أيضاً³:

- ما جاء مجيء الإخبار عن تقرير الحكم مثل قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾⁴ ففي الآية إخبار بأمر الصيام وقوله: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾⁵.
- ما جاء مدحاً له أو لفاعله أو ذمّاً له أو لفاعله في النهي.
- ما يتوقّف عليه المطلوب: كون المباح مأموراً به.

ويمكن التمثيل لهذه الأنواع في الرسم الآتي:

الأمر



¹ الشاطبي، الموافقات، ج2، ص: 133.

² سورة الجمعة، الآية 09.

³ مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، ص: 194.

⁴ سورة البقرة، الآية 183.

⁵ سورة البقرة، الآية 233.

ينطوي هذا التصور على بعض الاعتبارات التداولية وتتمثل في:

- أن تطبيق مبدأ القصدية في الأوامر الشرعية كان معياراً صالحاً ودقيقاً لتصنيفها عند الشاطبي.

- أن أية قوة إنجازية ما تحملها هذه الأصناف الكلامية مثل: تقرير الأمر، تقرير النهي، إنشاء المدح، إنشاء الذم... بمعايير أوستين جعلها الشاطبي أساساً للأمريات.

يؤيد الشاطبي مبدأ عدم الاحتكام إلى الصيغة وحدها في تنميط الأفعال الكلامية، فالصيغة اللغوية في الأوامر فيما بينها مختلفة على عكس ما هو سائد عند أوستين وبعض المعاصرين، فالأمر يكون بالتقرير والمدح، أما النهي فيكون بالتقرير والذم¹. وعليه قد لا بُحانِب الصواب إذا ما قلنا إنَّ هذه التعريفات المبتوثة في التراث العربي الأصولي والمتعلقة بالأوامر والنواهي، نجد لها تماثلاً لما جاء به الفيلسوفان التداوليان "أوستين وسيرل" حين تحدّثا عن الفرق بين النوعين الأوّل والثاني من الأمر الصحيح فهو يكمن في مبدأ الغرض المتضمّن في القول، أمّا في الأمر غير الصريح فالظاهرة شبيهة بما سمّاه "سيرل" الأفعال الكلامية غير المباشرة.

2- الشاطبي في فقه المقاصد نموذجاً:

تسعى هذه الدراسة إلى تناول الألفاظ من محتويات متعدّدة تحقيقاً لهدف واحد، وهو طريقة استخلاص الأحكام الشرعية واستنباطها من القرآن الكريم والسنة النبوية وما يؤول إليهما، فمباحث الألفاظ معناها تشخيص ظهور الألفاظ في مدلولاتها، وهو مبحث لا يستغنى عنه لأنّ التفاهم مع الناس ونقل الأفكار إليهم لا يكون إلاّ

¹. مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، ص: 196.

بتوسّط الألفاظ*. وهو عمدة علم الأصول لأنّ مهمّة المجتهدين اقتباس الأحكام من أدلّتها وعمل المجتهد يتطلّب فهم النصّ وفقهه، إذ ليس بوسعهم استنباط الحكم من النصّ إلاّ إذا أدرك المعنى وفهم النصّ فهماً دقيقاً وعرف غاية اللفظ ومدلوله، وتبيّن كيفية دلالاته على الحكم ودرجة هذه الدلالة ونوعها¹. هنا تتجلى مهمّة المجتهد ففهم النصّ واستيعابه يتوقّف على معرفة أساليب البيان* في اللّغة العربية وطرق الدّلالة على المعاني وما تدلّ عليه ألفاظ مفردة ومركّبة. وهذا القطب هو ركيزة علم الأصول.

*. قد يكون التعريف بما في النفس أو الضمير بالأفعال المختلفة الدالة على المعاني المختلفة، فإنّه من الممكن جعل الحركات المخصوصة دوال على المعاني المخصوصة، لكن الألفاظ أولى، من وجوه:
أولها: أنّ الألفاظ عبارة عن أصوات مخصوصة مقطّعة تقطيعاً خاصاً، فإدخال الصوت المخصوص: في الوجود أسهل من غيره.

ثانيها: أنّ الصوت مخصوص: بخاصية لا توجد في غيره، وذلك لأنّه لا يتصور ثباته بقاؤه؛ بل كلّما يدخل في الوجود ينقضي، فيلزم أن يكون موجوداً عند الحاجة إليه، معدوماً عند الاستغناء عنه، وهذه الخاصية، لا توجد في غيره، فإنّه قد يبقى وفي بقائه مفسدة، وذلك ربما يطلع عليه من لا يراى اطلاعه عليه. =الكاشف عن المحصول في علم الأصول للأصفهاني: ج1، تحقيق الشيخ عادل عبد الموجود والشيخ علي معوض، ط1419هـ. 1998م، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 453 عن عبد الحق خليفني: ص: 88 .

¹. عبد الحق خليفني، ظاهرة الأفعال الكلامية عند الشاطبي، ص: 89.

*. يعتبر علم البيان من العلوم التي تفرّدت بها اللّغة العربية، وهذا ما أشار إليه محمد عابد الجابري في كتابه "بنية العقل العربي" على أنّه لا يمكن لنا أن نجد مرادفاً لمصطلح "البيان في اللّغات الأجنبية الأخرى ذلك أنّ البيان مختص: بالعربية دون غيرها، وقد ورد ذكره أكثر من (250مرة) في القرآن الكريم "إضافة إلى ذلك لا يمكن قصر الأبحاث البيانية على أنّها أبحاث بلاغية فقط، فمصطلح البيان اسم جامع لكافة الأساليب التي تساهم ليس فقط في تكوين ظاهرة البلاغة، بل أيضاً في كلّ ما به يتحقق التبليغ، و على هذا الأساس يمكننا القول أنّ مفهوم البيان لا يقتصر على علماء البلاغة وحدهم، و إدراجه ضمن التقسيمات الثلاثية للمباحث البلاغية (علم المعاني و البيان و البديع) قد جاء متأخراً مع السكاكي (ت 626هـ) محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز الوحدة العربية، بيروت، ط9، 2009، ص: 13.

يقول "الإمام الغزالي"^{*}: "لأنّه ميداني سعى المجتهدون في اقتباس الأحكام من أصولها وجذبها من أغصانها، إذ تُقَسُّن الأحكام ليست ترتبط باختيار المجتهدين ورفعها ووضعها، والأصول الأربعة من الكتاب والسنة والإجماع والعقل لا مدخل لاختيار العباد في تأسيسها وتأصيلها، وإنما مجال اضطراب المجتهد واستعمال الفكر في استنباط الأحكام واقتباسها من مداركها"¹. فالمدارك هي الأدلة السمعية ومرجعها إلى الرسول صلى الله عليه وسلّم منه يسمع الكتاب أيضاً، وبه يُعرف الإجماع أو الصّادر منه من مدارك الأحكام ثلاثة: إمّا لفظ وإمّا فعل وإمّا سكوت وتقرير، واللفظ إمّا أن يدلّ على الحكم بصيغته أو منظومته أو بفحواه أو مفهومه. أو بمعناه فهو الاقتباس وهو الذي يُسمّى قياساً فهي إذن: ثلاثة فنون: المنظوم والمفهوم والمعقول"². فهذه شروط دقيقة التزم بها علماء أصول الفقه الإسلامي لمعرفة أساليب البيان في اللغة العربيّة، والمجتهد الفقيه الذي يُميّز الأحكام الشرعيّة عند غيرها.

أبان علماء الأصول أنّ ثمة أعمالاً لا يُمكن إنجازها إلّا من خلال اللغة. وهذا ما يجعل من الكلام فعلاً، فوضعوا قواعد وضوابط مستمدة من طبيعة اللغة العربيّة واستعمالاتها في المعاني حسبما اهتدى إليه أئمة اللغة. ونظراً لتتبع الأساليب العربيّة

*. أبو حامد الغزالي الطوسي النيسابوري الصوفي الشافعي الأشعري، أحد أعلام عصره أحد أشهر علماء المسلمين في القرن الخامس الهجري، وولد سنة (450هـ) كان فقيهاً وأصولياً وفيلسوفاً وكان صوفي الطريقة، شافعي الفقه، كان على مذهب الأشاعرة في العقيدة، وقد عرف كأحد مؤسسي المدرسة الأشعرية في الكلام وأحد أصولها الثلاثة بعد أبي الحسن الأشعري، لُقّب الغزالي بألقاب كثيرة في حياته أشهرها: حجة الإسلام " من أشهر مؤلفاته: كيمياء السعادة، وتحافت الفلاسفة، إحياء علوم الدين، وافته المنية يوم 14 جمادى الآخرة 505هـ. السيوطي: تحفة المهتدين بأخبار المجددين، كما هي منقولة في كتاب "عون المعبود شرح سنن أبي داود" ج 11، دار الكتب العلمية، ص: 265.

¹. الغزالي، المستصفي من علم الأصول، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 44.

². المصدر نفسه ص: 316.

واستقراءها فهي ليست قواعد شرعية أو دينية خاصة، إنما هي عربيّة شكلاً وموضوعاً، نصاً وروحاً. أين تستعمل في فهم أيّ نص قانوني لأنّ كلا من الوحي الإلهي والقانون الوضعي المصوغ بلغة معينة يجب أن يفهم بحسب قواعد تلك اللّغة، وهذا ما يُنصّ عليه العقل و تفرضه طبيعة التكليف لتحقيق المطلوب، وهو الذي دفع بالأصوليين إلى تقسيم هذا الموضوع إلى قسمين¹:

القسم الأول: دلالة النصّ على المعنى: ويشمل الخاص والعام والمشارك والحقيقة والمجاز، وتتوقف فيه معرفة الحكم الشرعي على إفادة المعنى.

القسم الثاني: دلالة النصّ على الحكم الشرعي مباشرة: ويشمل ذلك لفظ الأمر من حيث أنّه يفيد الوجوب، ولفظ النهي من حيث أنّه يفيد الحرمة أو يوجبها.

*قواعد استخلاص الأحكام الشرعية من النصوص:

لامناس إذن من الاعتراف بأنّ هناك قاعدتين لاستخلاص الأحكام الشرعية من

النصوص:

1- قاعدة معنوية: قوامها الاستشهاد من غير النصوص كالقياس والاستحسان والمصالح والذرائع...

2- قاعدة لفظية: هدفها التعرف على معاني النصوص، وما تدلّ عليه في عمومها وخصوصها، وطريق الدلالة أهو بطريق المفهوم الذي يُؤخذ منه فحوى الكلام أم هو بالمنطوق اللفظي للنص، والقيود التي اشتملت عليها العبارة، ثمّ ما يفهم من الألفاظ أهو

¹. نذير بوسبيح، الألفاظ والدلالات الوضعية، بحث في مناهج الاستنباط، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008،

بالعبارة أم هو بالإشارة إلى غير ذلك مما تصدت له طرق الاستنباط اللفظي¹. وعليه فالدلالة اللفظية متداخلة في الدلالة الوضعية، وحقيقة الوضع جعل اللفظ بإزاء المعنى، فلا يدخل شيء من صفات الخالق تحت الإخبار نحو قوله تعالى: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾². فالعرب لا تقصد ذلك.

علق "بن خروف" على العموم بقوله: "ولو حلف رجل بالطلاق والعتق ليضربن كل من في الدار وهو معهم فيها، فضربهم ولم يضرب نفسه، ففعل خيرا ولم يلزمه شيء"³. فالحاصل أن العموم يُقاس بالاستعمال ووجوه الاستعمال كثيرة ولكن ضابطها مقتضى الحال الذي هو ملاك البيان. فإن قوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾⁴، فالملاحظ أن الدلالة التي تُقدّمها هذه الآية الكريمة هي تدمير السموات والأرض والجبال وليس المياه مما هو في معناه، إنما المقصود تدمير كل شيء مرت عليه مما شأنها أن تُؤثر فيه على الجملة.

*العلائق بين القضايا ووحدّة النص:

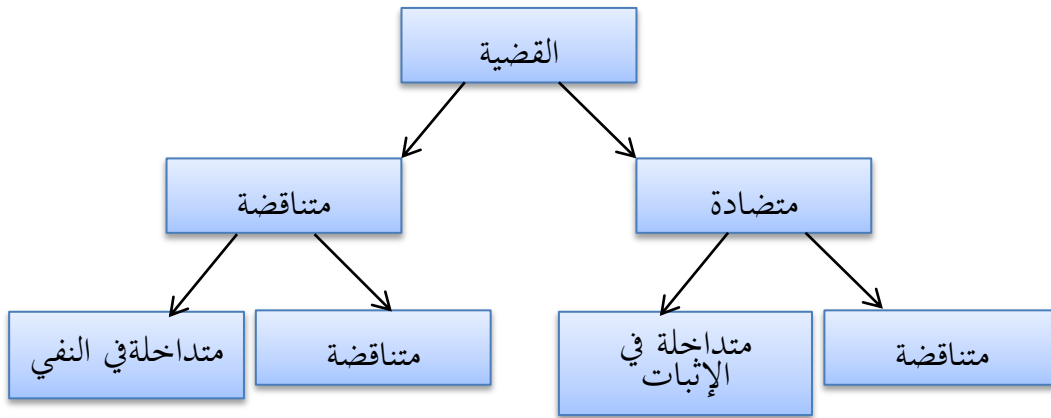
تُعدّ العلائق الاقتضائية من أهمّ العلائق التي حكمت المربع المنطقي قديما، ويطلق عليه حاليا بالمربع أو المسدس السيمائي، ويمكن تمثيله على شكل شجرة مُتفرعة كالآتي:

¹. نذير بوسبيع، الألفاظ والدلالات الوضعية، ص: 11.

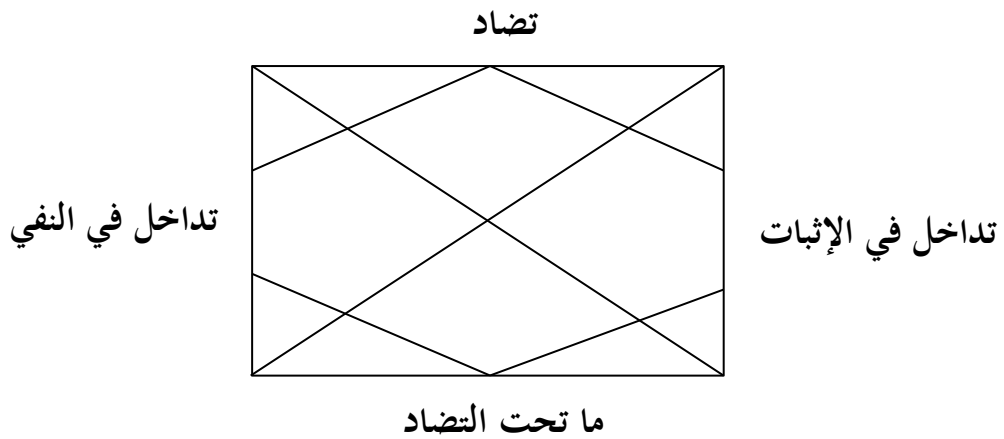
². سورة الأحقاف، الآية 25.

³. الشاطبي، الموافقات، ص: 590.

⁴. سورة الأحقاف، الآية 25.



كما يُمكن أن يُرسم أيضاً على شكل المربع أو المسدّس كالآتي:



من خلال هذا الرسم التوضيحي نشرع الآن في عملية التطبيق مبينين نظرة الشاطبي إلى العلاقات بين قضايا الشريعة ونصوصها والأفعال الكلامية، وبين ما ورد في التشجير والشكل الهندسي.

إنّ القضيتين المتضادتين لا تجتمعان في كنف واحد، ويمكن أن ترتفعا معا لينتج عنهما طرف محايد، والقضيتان المتناقضتان لا تجتمعان مع بعض ولا ترتفعا، أمّا القضية التي تقع تحت التضاد فيمكن أن تتواجد بين الاثنتين فقد تميل إلى جهة التداخل في الإثبات وقد تميل إلى جهة الإثبات في النفي، تلك هي العلاقات المنطقية بين القضايا.

فلا مندوحة من أنّ الشاطبي وظّف هذه العلائق بكلّ دقّة لإثبات وحدة الشريعة، وحلّ مسائل فقهية واستثماره للأفعال الكلامية. فمقتضى ظاهر كلام الشاطبي أنّه حينما يجتمع دليلان متضادان فإنّ العمل يترك بهما معا مجتمعين، وهذا ما يُسمّى بالتوقف أو الحيّاد، والعكس إذا كان هناك دليلان متناقضان فإنّه يعمل بأحدهما.

لا مناص من الإقرار بأنّ اجتماع النقيضين في التكليف محال ومرفوع، والخطاب بالنقيضين باطل، والأخذ بأحد الدليلين لا ينتج عن الهوى أو عن التحكّم. وإنما بالترجيح بين الخطابين. وما تحت التضاد يجب أن يكون مزيجا من الطرفين أو مشوبا بشائبة من الطرفين، على أنّه قد يميل إلى أحد أقصى الطرفين، فالمباح* مثلا يُعدّ واسطة بين الفعل أو الترك. فإذا مال نحو الفعل صار واجبا، وإذا مال نحو الترك فقد صار حراما، وهذه الوسطة هي مجال الاجتهاد، يقول الشاطبي: "مجال الاجتهاد المعبر هو ما تردّد بين طرفين ووضع كلّ واحد منهما قصد الشارع في الإتيان لأحدهما، والنفي في الآخر، فلم تتصرّف النية إلى طرق النفي و لا إلى طرق الإتيان"¹. فهذا الفضاء الموجود

*. المباح في اللغة يأتي بمعنيين الأول الظهور والبيان ومنه باح بسرّه أي كشف عنه و أظهره وقد جاء في الحديث الشريف: ((إلّا أنّ يكون كُفراً بواحا)) أي جاهرا يبوح به المرء و يظهره منه أيضا ألا أن يكون معصية بواحا هذا هو المعنى الأول أما المعنى الثاني فيأتي بمعنى الإذن و الإطلاق أبحث لك الشيء أذنت به و أطلقتته فأصبح غير ممنوع و من ذلك الحديث الشريف ((فاشتريتها من مالي فأبحتها لابن السبيل)) وقد رويت أحاديث متعددة في هذا المعنى، والمعنى اللغوي يرشد إلى المعنى الوارد به الشرع فإذا كان الشيء مأذونا به و مطلقا فإنه قد خلا من الوجوب والمحذور ولم يجب في شأنه ولم يكره الشارع الميل إليه فكان مطلقا أقبل عليه المرء أو تخلّى عنه كان ذلك سواء، و قد اختار الإمام الآمدي رحمه الله تعالى التعريف وقال هو ما دلّ الدليل السمعي على خطاب الشارع بالتخيير فيه بين الفعل والترك من غير بدل، وقد نقل الناقلون عدة تعاريف جميعها متقاربة المعنى و الدلالة و يطلق على المباح الحلال كما يطلق عليه الجائز. عبد الحق خليفني: ظاهرة الأفعال الكلامية ص:

بين الطرفين الواقعين فيما تحت التضاد، و كذلك القضاء المحايد الموجود بين المتضادين يحتوي على "مراتب لا حصر لها" وتلك المراتب يحدّ النظر إليها بمعزل على الطرفين. "فهذه المراتب وإن تفاوتت فلا يلزم تفاوتها نقيض ولا ضد"¹. يجب أن تكون متماسكة فيما بينها.

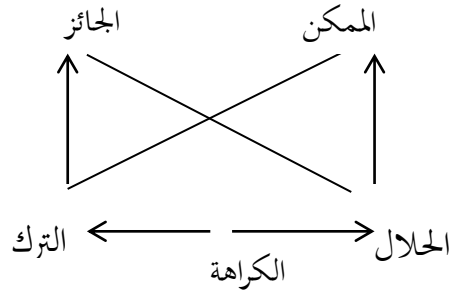
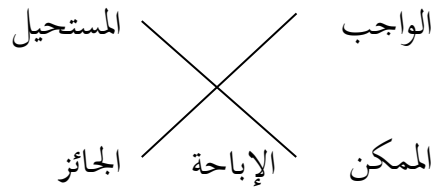
*الاستنتاج للاجتهاد:

اهتمّ الشاطبي بظاهرتي الاستقراء والقياس، رغم علمه ما كان يوجّه إلى هاتين الآليتين من انتقاد من أهل البرهان والقياس الشمولي وقد ترتّب على ذلك توظيفه لآلية الاستنتاج فهو يرى أنه لا بد من وضع بعض المسائل كما فعل بعض الأصوليين السابقين عليه. وتتمثّل هذه الأوضاع في أفعال كلامية وهي:

- 1- الجائز والواجب والمستحيل.
 - 2- الواجب والحرام والترك والحلال.
 - 3- الضروري والحاجي والتحسيني.
- ويمكن توضيح رؤية الشاطبي في الرسم الآتي²:

¹ المصدر السابق ص: 90 عن عبد الحق خليفي، ص: 94، 95.

² عبد الحق خليفي، الأفعال الكلامية عند الشاطبي، ص: 95.



مما سبق يتبين أنّ عناية "الشاطبي" بألية الاستنتاج واضحة المعالم في المخطط الذي وضعه من خلال شرحه يقول: "نستطيع أن نملأ الحدّ الفارغ في (1) و (3) بناء الحدود الثلاثة:

- 1- المحوران (1) و (2) منطقيان.
- 2- الرسم الثالث تضميني وتكاملي من غير انعكاس.
- 3- العلاقة بين حدي "الواجب والترك" وبين حدي "الحرام" علاقة تناقضية، ومعنى هذا أن طرفاً واحداً سيبقى.
- 4- العلاقة بين حدّي "الحلال" و"الترك" (المنع) * علاقة بينية، إذن فهي علاقة مزيجية للواقع المزيج.

*. المنع أو الترك في اللغة هو عدم الوصول إلى الشيء و القيام به، و هو التحجير و الحظر من ممارسة عمل من الأعمال، جاء في القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾ وفي الحديث الشريف ﴿اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيٍّ لِمَا مَنَعْتَ﴾ وهذا المعنى اللغوي هو المنجلي في اصطلاح رجال الأصول، وقد عرفوه عدة تعاريف منها ما يترتب عن وجود إبطال الحكم لا يترتب عليه شيء، وبالمثال يتضح التعريف فالصلاة والصيام غير مطلوبة

وعليه هذه العلاقة "البين بينية" يُمكن أن تميل نحو الحلال فالواجب أو أن تميل نحو الترك فالحرام* تبعا للأنظمة الأخلاقية.

*امتزاج الدلائل العقلية مع الدلائل العقلية:

اعتمد الشاطبي في بناء كتاب الموافقات على دعامتين أساسيتين هما:
"الدّعمة التّفلية والدّعمة العقلية: فما اعتمد عليه من النقل هو ما كان قطعيا مثل الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة، وتؤثر من الأخبار وما يستنبط منها من أحكام يكون معتمدا على استقراء مقتضياتها¹ "بإطلاق لا من آحادها على الخصوص"²؛ أي استقراء كليا غير مقتصر على الأفراد الجزئية، وأمّا الدّعمة العقلية فهي الأولويات والاعتقادات الجازمة والمشهورات والمقبولات والاستنتاج.

إنّ هذا الاعتماد على المبادئ العقلية جعل الشاطبي يُقرّر أنّ أصول الفقه قطعية، بتقديمه أمثلة على امتزاج الدليلين مثل "هذا خمر" مقدّمة نظرية، و "كلّ خمر

بوجود الحيض لأن المانع قد وجد وهو الحيض، فأصبحت الصلاة والصيام غير مطلوبة بالنسبة على المرأة الحائض، ينظر أطروحة عبد الحق خليفي: ظاهرة الأفعال الكلامية عند الشاطبي، ص: 96.

* الحرام والمنوع والمحظور، والمنهي عنه، والذنب والإثم والقبح كلّها ألفاظ مشعرة بالذم لمرتكبها، وبالمدح لمجتنبها، وقد عرّف رجل الأصول المحرم بأنه ما طلب الشارع اجتنابه بطريقة حتمية فاعله مذموم و معاقب، وتاركه ممدوح ومجازى، وصيغه كثيرة طبقا لما ورد في الكتاب و السنة، و من ذلك قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَحُمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِعَيْزِ اللَّهِ بِهِ﴾ وقوله تعالى: ﴿أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ وقوله: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ وفي الحديث الشريف ﴿وَأَمْوَالِكُمْ وَأَعْرَاضُكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ وقد يأتي التحريم بصيغة أخرى وذلك كقوله تعالى: "ولا يجزّل لمن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن" عبد الحق خليفي : ظاهرة الأفعال الكلامية عند الشاطبي، ص: 97.

¹. عبد الحق خليفي، ظاهرة الأفعال الكلامية عند الشاطبي، ص: 97.

². الشاطبي، الاعتصام، دراسة المعرفة، بيروت، لبنان، ج1، ص: 27.

حرام" مقدّمة نقلية وبطبيعة الحال فإنّ المقدّمة النظريّة تكون على "طريق البرهان العقلي"¹، والمقدّمة العقلية تكون على طريق الموافقة في العقل.

*استعمال اللّغة ووضعها:

لم تقل جهود الشاطبي عن غيره في اعتبار العلم بالعربية من أهمّ الوسائل الخادمة لعلم الشريعة، إلاّ أنّه أضفى عليها مسحة دلالية توحيّ بها خدمة العملية الاجتهادية بما يحقّق مقاصد الشرع السّامية. "فالاستعمال هو إطلاق المتكلم اللفظ في مقام تخاطبيّ مُعيّن للتعبير عن قصده، والوضع هو ما يقوم به واضع العناصر اللّغوية (المعجمية والقواعدية) عندما ينسب إليها معنى من المعاني لغرض الدلالة الثابتة عليها"². بإحالتنا النظر في لفظي الوضع والاستعمال* نجدهما استعمالاً في أصول الفقه كأداة منهجية للتعريف بين العناصر اللّغوية الأصلية والعناصر الكلامية السيّاقية التي اقتضاها أو استحدثها المقام التّخاطبي³؛ وذلك كأن يدلّ أسلوب الاستفهام على التمني أو النفي فيخرج عن أصل وضعه اللّغوي.

¹. عبد الحق خليف، ظاهرة الأفعال الكلامية عند الشاطبي، ص: 97.

². المرجع نفسه، ص: 98.

*.وضع اللّغة هو دلالة الألفاظ والجمل على المعاني في حالتها الصورية المطلقة بغض النظر عن السيّاق التّخاطبيّ الذي تستخدم فيه هذه المفردات والمركبات اللّغوية، في حين أنّ دلالة الاستعمال هو دلالة اللفظ و الجملة على المعنى ضمن سياق معين. هذا السيّاق الذي له دور كبير في تحديد المعنى، و تحديد مدى تجاوزه للوضع الأصلي، هذا تفريق الأصوليين بين الوضع والاستعمال وهو نظير لتقسيم دي سوسير بين اللّغة والكلام، فاللّغة تنسب لعالم الوضع، والكلام ينسب لعالم الاستعمال.

³. ينظر: محمد محمد يونس، المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي ليبيا، طرابلس، 2002،

من هنا نُدرك أنّ الخلاف المشهور عند الأصوليين فيما إذا كان المجاز من مشمولات الوضع أو هو من مقتضيات الاستعمال يبرهن على الأهمية التي أولاها الأصوليون لهذا التقسيم، ومثل ذلك اختلافهم في التراكيب أهى للاستعمال أم ناشئة عن الوضع.

لعلّ المتتبع لمضمار إنتاج هذا المفهوم في تراث الأمة الأصولية، فإنّه لا محالة سيجد أنّ التفريق بين الاستعمال والوضع يتّصل اتصالاً وثيقاً بالثنائيتين السابقتين، فكلّ هذه التفريقات الثلاثة تفترض أنّ المعاني تتحوّل في مقامات التخاطب إلى مقاصد، وتستلزم بأنّ العبرة في نجاح التخاطب تكون بإدراك المخاطب المراد من كلام المخاطب وليس بالوقوف على معناه الوضعي.

حقيق بنا أن نُنبه إلى ملاحظة هامة وهي أنّه على الرغم من استناد الاستعمال على الوضع؛ إلاّ أنّه يُفارقه ويجوزه، ومن هنا جاءت تسمية المجاز لأنّه يجوز الوضع لتلبية حاجة المتكلم ليلبي غرضه، وقد اهتمّ العلماء قديماً بدراسة أسباب هذه المفرقة في حديثهم عن أسباب المفارقة وحديثهم عن أسباب المجاز، من المبالغة والاتساع والتوكيد... ولكن وفي حال عدول المتكلم عن الدلالة الحرفية للغة فإنّ عليه أن ينصب قرينة على عدوله، وأن تكون هناك مناسبة بين الدالتين الوضعية والمعنى المراد¹ حتى لا يعدّ مغالطاً. وباستيفاء الفكر في الأصول العربية يتبيّن أنّ الأصل الاستعمالي، إذا عارض القياس كان الحكم للاستعمالي²، و مباحث الألفاظ معناها تشخيص ظهور

¹ محمد محمد يونس، علم التخاطب الإسلامي، ص: 63.

² الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق: محمد الإسكندراني، عدنان درويش، دار الكتاب العربي، 2006، ص: 589.

الألفاظ في مدلولاتها وهو مبحث جدير بالإبقاء، لأنّ التفاهم مع الناس ونقل الأفكار إليهم لا يكون إلاّ بتوسّط الألفاظ.

إذا نحن أجلنا النظر في جهود أهل الفضل على هذه اللّغة نجدها قد غطّت أهم الجوانب المتعلّقة بها، ابتداءً بجمعها وضبط شواردها، وشرح غوامضها إلى وضع الرسائل والمعاجم فيها، ثمّ النظر في "ألفاظها حال إفرادها وتركيبها، وتحديد الأسس العامة لأوجه دلالتها. فالسّماء والصّفات إنّما هي حروف مقطعة قائمة لرؤوسها لا تدلّ على غير أنفسها ما دامت متفرقة. فإذا جمعت دلّت باجتماعها على غير أنفسها، لأنّ الله عز وجلّ لا يجمع منها شيئاً فيؤلفها أبداً إلاّ للمعنى"¹. يُعبّر الشاطبي عن هذه الحقيقة؛ بوضعه قواعد وضوابط مستمدّة من طبيعة اللّغة العربيّة واستعمالاتها في المعاني حسبما قرره أئمة اللّغة، ووفقاً لتتبّع الأساليب العربيّة واستقراءها، فهي ليست قواعد شرعية أو دينية خاصة؛ إنّما هي عربيّة شكلاً وموضوعاً، نصاً وروحاً، إذ عمل بها أئمة اللّغة، ومهدوا طريقها أمام أئمة الفقه والأصول وضبطوا مفرداتها وحدود مصطلحاتها، لذا فإنّها تستعمل في فهم أيّ نصّ قانوني لأنّ كلا من الوحي الإلهي والقانون الوضعي المصوغ بلغة معينة يجب أن يُفهم بقواعد تلك اللّغة، ولا يلزم المكلفين بمقتضى الوحي والقانون إلاّ إذا توافرت القدرة على فهم النصّ. وهذا ما يُرشد إليه العقل وتقتضيه طبيعة التكلف لتحقيق المطلوب²، والنتيجة التي انتهت إليها هي أنّ درجة علم المجتهد باللّغة العربيّة مقياس لفهم المسائل الشرعيّة.

¹ عبد الحميد العلمي، منهج الدرس الدلالي عند الإمام الشاطبي، 1422 هـ، 2001م، ص: 97.

² عبد الحق خليفي، ظاهرة الأفعال الكلامية عند الشاطبي، ص: 99.

3 - استثمار المفاهيم والمقولات التداولية عند الأصوليين*:

عرفت الأبحاث اللغوية تطوُّراً ملحوظاً على أيدي الأصوليين، لأنّ موقعهم في البناء العام للثقافة الإسلامية اتّسم بخصوصية متميّزة، إذ على عاتقهم التعريف بالقانون العام لاستثمار الأحكام. ممّا يُثبت وعي الأصوليين حول نظرية الأفعال الكلامية اهتمامهم بسياقات التّخاطب المختلفة قصد استنباط الأحكام الشرعيّة من النّصوص القرآنية والسنيّة، "وعليه فقد استنبط الفقهاء والأصوليون أفعالا: كلامية جديدة بانتهاج النهج التداولي، وتحديدًا من جراء البحث في المقاصد والأغراض التي يؤول على أساسها كلّ من الأمر والنهي وغيرها من الأساليب الإنشائية، وذلك باعتماد القرائن اللفظية أو المعنوية أو الحالية التي تهدي إلى تلك المقاصد وتدلّ عليها"¹، مستنديين في ذلك على مقدمات عامة عن أصل اللّغات، وعن الحقيقة والمجاز والأسماء اللّغوية والعرفية والشرعية.

لكنّ هذه التعلقات العلميّة للأصوليين لم تأت من العدم، بل قامت على مبادئ علمية كانت تسعى إلى محاولة كشف وتحليل دلالة الألفاظ وعلاقتها بالمعاني، ووجدوا لهذه العلاقة عدّة اعتبارات، وقسموها إلى أربعة أقسام:

- اللفظ باعتبار المعنى الذي وُضعت فيه: وعالجوا في هذا القسم: الخاص والعام المشترك.

- اللفظ باعتبار المعنى الذي أُستعمل فيه، وعالجوا فيه الحقيقة و المجاز.

- اللفظ باعتبار ظهور المعنى وإخفائه وقسموه إلى خفيّ وظاهر.

*.الأصوليون، هم العلماء الذين يعتمدون في استنباط الأحكام الشرعية على قواعد كلية عقلية ونقلية، ويخضعون الأخبار

إلى موازين علم الدراية .

¹.مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 184. 185.

- اللفظ باعتبار طرق الوقوف على مراد المتكلم.

1- صلة اللفظ بالمعنى عند الأصوليين:

جرت عادة الأصوليين أن يعرضوا في صدر مقدماتهم اللغوية لصلة اللفظ بالمعنى* فاللفظ ينقسم باعتبار وضعه إلى أربعة أقسام: (خاص وعام، مشترك ومؤول). وعليه فاللفظ إن كان موضوعا لواحد منفرد يسمّى خاصا، وإن كان موضوعا لمتعدّد بوضع واحد يسمّى عاما، وإن كان موضوعا لمتعدّد من غير ترجيح بعضه على بعضه يسمّى مشتركا، وإن كان هناك ترجيح لبعض منه على بعض آخر يسمّى مؤولا.

فالعلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة عُرفية اصطلاحية اعتبارية، وليست طبيعية، إلا فيما يُسمّيه علماء اللغات بالكلمات ذات الجرس المعبر كالقرع والقعقة، والصلصلة والخزير والفحيح، ولو كانت العلاقة طبيعية بين الاسم والمسمى أو منطقيّة لتوحّدت اللغات، أو لكان من الممكن لأيّ إنسان أن يفهم أيّة لغة¹. يبدو أنّ موقف الأصوليين واضح في المناسبة بين اللفظ و مدلوله، فهي عندهم صلة عُرفية ليست لمناسبة طبيعية بين اللفظ والمعنى.

*. بحث الأصوليون في حقيقة المعنى الذي وضع اللفظ له، وتساءلوا: هل هو للصورة الذهنية أو الخارجية أو للمعنى من حيث هو؟ فذهب الرّازي إلى أنّ "الألفاظ دلالات على ما في الأذهان لا على ما في الأعيان ولهذا السبب يقال: الألفاظ تدلّ على المعاني لأنّ المعاني هي التي عناها العاني وهي أمور ذهنية" و وجه الاستدلال أننا إذا رأينا جسما من البعد وضمناه صخرة قلنا إنّ صخرة فماذا قربنا منه وشاهدنا حركته وظنناه طيرا فإذا ازداد القرب علمنا أنّه إنسان فقلنا إنّ إنسان، فاختلاف الأسماء عند اختلاف التصورات الذهنية يدلّ على أنّ مدلول الألفاظ هو الصور الذهنية لا الأعيان الخارجية. التفسير الكبير 1، ص: 23.

¹. طاهر سليمان حموره، دراسة المعنى عند الأصوليين، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ص: 174.

مما سبق يتبين أنّ بحث الأصوليين في صلة اللفظ بالمعنى يتحدّد بثلاثة ضوابط¹:

- 1- إقرارهم العام بإمكان المواضعة في الحدث اللساني.
 - 2- نفيهم التّام للقول بذاتيّة المناسبة لأنّها تُؤدّي إلى هدم قاعدة المواضعة.
 - 3- عدم تخرجهم من القول بهذه المناسبة في حدود حكمة وتصرف الواضع لها.
- وبهذا اتّسم بحثهم في هذه الصّلة بجودة التدقيقات، ومراعاة الحيثيات.

2- دلالة اللفظ من حيث الشمول:

أ/ حكم الخاص ودلالته:

يُعرف الخاص "بأنّه كلّ ما ليس بعام، ويشمل ما وُضع للدلالة على فرد واحد، أي أنّه أعمُّ من أن يكون واحداً بالتشخيص كالإعلام مثل: محمد وزيد وعمرو وفاطمة. أو واحداً اعتبارياً مثل الواحد بالنوع كالإنسان. أو بالجنس كالحيوان"². فوضعه قد يكون بإزاء الذوات مثل الأمثلة السالفة الذكر أو بإزاء المعاني كالنور والظلام والعلم والجهل...

اختلف الأصوليون في دلالة الخاص على مدلوله، هل هي بطرق القطع بحيث لا يحتمل اللفظ الخاص احتمال الغير أي احتمال ناشئ عن دليل أم لا؟ فدلالة الخاص قطعية عند جميع الأصوليين على المعنى الذي وضع له اللفظ في اللّغة، ومن ثمّ يثبت الحكم لمدلوله على سبيل القطع لا الظن ففي قوله تعالى: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ

¹. المرجع نفسه، ص: 174

². المرجع نفسه ص: 22.

مَسَاكِينٌ¹ دلالة على وجوب إطعام عشرة مساكين حيث لا يحتمل لفظ "العشرة" الخاص بزيادة ولا نقصانا.

ذهب بعض أهل الحنفية إلى القول بالرأي الأول، ومال جماعة منهم الشافعي، وبعض أهل الحنفية إلى أنّ اللفظ الخاص لا يُثبت به الحكم ثبوتا قطعيا، لاحتمال المجاز فيه، ومع هذا الاحتمال لا يكون الجزم بالقطع أمرا مقبولا. وحجّة الحنفية في ذلك هو أنّنا إذا قلنا: مُحَمَّدٌ عَالِمٌ. كان هذا الكلام مفيدا لثبوت العلم لمحمد بطريقة القطع مع احتمال عقلنا أنّ العالم شخص غيره له صلة به كأبيه وأخيه، وعليه فالعلم أثبت لمحمد في هذا الكلام لوجود علاقة القرابة في ذلك، لكنّ هذا الاحتمال لم يكن معتمدا على دليل أُعتبر، وكأنّه غير موجود أصلا. وهذا ما التمسناه من رأي الحنفية.

أمّا غيرهم فيفسّرون ذلك بأنّه مجرد الاحتمال منفذ لا مكان لاستعمال اللفظ في غير ذلك المعنى، ثمّ إنّ لا مندوحة من القول أنّ الخاص يشمل الأمر - لأنّه وضع لمعنى خاص - والنهي والمطلق والمفيد.

3- تقسيمات اللفظ بحسب دلالاته على المعنى:

قسّم الأصوليون اللفظ بالنسبة إلى المعنى أربعة تقسيمات²، ترتبط بما سمّوه (بيان التفسير).

التقسيم الأول: باعتبار وضع اللفظ للمعنى وهو أربعة أنواع: الخاص و العام و المشترك والمؤول.

¹. سورة المائدة، الآية: 89.

². عبد الحق خليفي، ظاهرة الأفعال الكلامية عند الشاطبي، ص: 102

التقسيم الثاني: باعتبار استعمال اللفظ في المعنى، وهو أيضا أربعة أنواع: الحقيقة والمجاز والصريح و الكناية.

التقسيم الثالث: باعتبار دلالة اللفظ على المعنى بحسب ظهور المعنى وخفائه ومراتب هذا الظهور، وهي ثمانية أنواع، أربعة هي مراتب الظهور وهي: الظاهر، النص، المفسر والمحكم، وأربعة أخرى مراتب الخفاء وهي: الخفي، المشكل، والمحمل والمتشابه.

التقسيم الرابع: باعتبار كيفية دلالة اللفظ على معناه، وطريق فهم المعنى المراد من اللفظ، وهو أربعة أنواع أيضا: الدال بالعبرة، الدال بالإشارة، والدال بالدلالة، والدال بالاقضاء*. وهو الذي سار عليه أصوليو الحنفية، ووجه التقسيم هو أنّ اللفظ إنّ وُضِعَ متعدّد بأوضاع متعدّدة فهو المشترك كلفظ العين الذي وُضِعَ للباصرة مرّة ولعين الماء مرّة وللذهب مرّة، وللجاسوس مرّة.

اللفظ باعتبار دلالاته على المعنى وضوحا وخفاء، إمّا أن يكون واضحا وهذا سيشمل: الظاهر والنص والمفسر والمحكم، وإذا كانت دلالة اللفظ على المعنى غير واضحة فيندرج تحت ذلك كلّ من الخفي والمشكل والمحمل والمتشابه¹. واللفظ باعتبار الوقوف على المعنى الذي أراده المتكلم منه، فإن كان مسوقا له فهو الدال بعبارة، وإلا

*. ينسب هذا التقسيم للبيدوي، ويّنه شارحه علاء الدين عبد العزيز البخاري:

القسم الأول: في تقسيم النظم نفسه بحسب توحد معناه وتعدّده.

القسم الثاني: في تقسيمه بعد الترتيب بحسب ظهوره للسامع وذلك إمّا يكون بعد التركيب.

القسم الثالث: في تقسيم النظم بحسب استعمال المتكلم لأنّ اللفظ بسبب الاستعمال يتضمّن بكونه حقيقة أو مجازا لا بالوضع.

القسم الرابع: وجوب وقوف السامع على مراد المتكلم ومعاني الكلام: كشف الأسرار عن أصول البيدوي، وضع حواشيه عبد الله عمر، ج1، ط1، 1418 هـ، 1997م، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 44.

¹. عبد الحق خليفي، ظاهرة الأفعال الكلامية عند الشاطبي، ص: 103.

فهو الدال بإشارته، فإن لم يدلّ عليه بالنظم، وإن دلّ عليه بالمفهوم فهو الدال بالدلالة والدال بالافتضاء* وكان ذلك بسبب الاختلاف، ممّا جعل الأصوليون يزيدون قسما خامسا تبعه الفقهاء، تماديا في التشریح اللفظي و النظمي الذي امتاز به الحنفية، وهو مؤلف من أربعة أقسام كالآتي¹:

1- معرفة مواضعها.

2- معرفة معانيها.

3- ترتيبها.

4- أحكامها.

4- القواعد اللغوية:

تتمثل في القواعد التي استمدّها العلماء ممّا قرّره أئمة اللغة العربيّة في دلالة الألفاظ والأساليب على المعاني، بعد استقراء ذلك فيما أثار عن العرب من منثور ومنظوم. ويخرجها العلماء في أصول الفقه لأنّ معظم نظرة الأصوليين استدركت في دلالات الصيغ، كالحقيقة والمجاز والعموم والخصوص، وأحكام الأمر والنهي، ودليل الخطاب ومفهومه، ولما كانت الأدلّة الشرعية من قول الرسول صلى الله عليه وسلّم، إذ هو المبعوث من الله والمبلّغ عنه.....، وإن انقسم ما يبلغه إلى معجزة كالقرآن وغير معجزة كالسنة ولا حكم إلا للخالق في الحقيقة². أحتيج في البحث في هذا العلم إلى

* التقرير والتخيير لابن أمير الحاج و شرح التحرير في أصول الفقه لابن الهمام، ضبطه، وصحّحه عبد الله محمود عمر. ج1،

ط1. 1999م، 1419هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 225.

¹. عبد الحق خليفني، ظاهرة الأفعال الكلامية عند الشاطبي، ص: 103.

². النسفي، كشف الأسرار في شرح المنار، ج1، ص: 25.

طرف صالح من العربية. واختلف الأصوليون في بعضها كاختلافهم في أنّ القرآن يشتمل على ألفاظ مجازية أو مشتركة أو مترادفة وهل يجرد القياس في اللغات أو لا؟ يقول الإمام "الجويني" في هذا الصدد: "وأما الألفاظ فلا بدّ من الاعتناء بها، فإنّ الشريعة عربية، ولن يستكمل المرء خلال الاستقلال بالنظر في الشرع ما لم يكن ريثانا من النحو واللغة"¹ وكأنّه رسم بهذين الأمرين فهم الألفاظ ومعانيها، معالم منهج يخول للأصوليين بمقتضى التمرّس أن يبدأوا كلامهم في هذا الموضوع بمسألة وضع اللغات للمعاني، وهل ذلك باصطلاح بين المتكلمين باللغة أم بتوقيف أم كان بعضه بإصلاح وبعضه بتوقيف؟

أفرد "الغزالي" وجماعة مجموعة من القواعد كانت منهجا صالحا أسعفتهم في التوصل إلى القول بالتوقّف، وعدم الجزم بشيء في الموضوع لتعذر العلم بحقيقة الواقع فيه يقول: "أمّا الواقع من هذه الأقسام فلا مطمع في معرفته يقينا إلّا ببرهان عقلي أو بتواتر خبر أو سمع قاطع، ولا مجال لبرهان العقل في هذا، ولم ينقل تواتر ولا فيه سمع قاطع فلا يبقى إلّا رجم الظنّ في ألا يرتبط به تعبد عملي ولا ترهق إلى اعتقاده حاجة، فالخوض فيه إذا فضول لا أصل له، ولكون الكلام غير جار على اللسان العربي، وفيه رجم بالظنّ فيما لا تدعو إليه حاجة اعتقاد، وغير مستنبط من القرآن، ولا يرتبط به تعبد عملي، فهو فضول تستغني عنه الأصول"².

¹. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: د: عبد العظيم الديب، ج1، ط4، 1418هـ، 1997م، دار الوفاء، المنصورة،

مصر، ص: 130.

². الغزالي، المستصفي من علم الأصول، ج1، ص: 320.

4-الأفعال الكلامية عند ابن تيمية*:

اهتمّ "بن تيمية" بظاهرة الأفعال الكلامية؛ فقسّم الكلام إلى خبر وإنشاء، فالخبر "نفي وإثبات، أمّا الإنشاء فقسّمه إلى: الأمر والنهي والإباحة"¹. فابن تيمية يُحاول أن يرصد الفرق بين الخبر والإنشاء، إذ يطرح التباين بين مفهوميهما يقول: "الكلمات الخبرية تُطابق المخبر عنه وتتبعه... والكلمات الإنشائية مثل: الأمر والنهي والإباحة تستتبع المتكلم فيه المأمور به والمنهي عنه والمباح وتكون سببا في وجوده أو عدمه"². يظهر جلياً من خلال تعريف "بن تيمية"؛ أنّ الخبر ما يمكن فيه مطابقة المخبر عنه؛ أي الكلام الذي يحتمل الصدق والكذب، في حين أنّ الإنشاء هو الذي يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت النطق به. كما أنّه يُولي اهتماماً كبيراً للإنشاء الطلبي فحسب لقوله: "والإنشاء منه الطلب"³. ومع هذا التصريح العابر لم يعثر على إشارة ينص فيها على الإنشاء غير الطلبي باسمه الصريح.

* ابن تيمية: تقي الدّين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام النميري الحراني ولد سنة (661هـ، 1263م) المشهور باسم ابن تيمية، فقيه ومحدّث ومفسّر وعالم مسلم، مجتهد من علماء أهل السنّة والجماعة، وهو أحد أبرز العلماء المسلمين خلال النصف الثاني من القرن السابع والثالث الأوّل من القرن الثامن الهجري، نشأ ابن تيمية حنبلي المذهب فأخذ الفقه الحنبلي وأصوله عن أبيه وجدّه، من أشهر أعماله: مجموع الفتاوى، منهاج السنّة النبوية والعقيدة الواسطية، كتاب الإيمان في مجلد، وكتاب الاستقامة في مجلدين توفي سنة (728هـ، 1328م) بدمشق.

¹. إبراهيم بن منصور التركي: البحث البلاغي عند بن تيمية دراسة وتقويم، جامعة القصيم، ط2، بريدة، 1439هـ، 2018م، ص: 113.

². المرجع نفسه ص: 113.

³. إبراهيم بن منصور التركي، (مرجع سابق)، ص: 114.

1- الخبر:

تعرّض بن " تيمية " للخبر من جهة الأغراض التي يخرج إليها إلقاء الخبر، فقد يأتي الخبر ليفيد الوعيد بالجزاء كما في إخبار الله بعلمه الشامل وإحصائه أعمال الناس كقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (52) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾¹. فذكر رؤيته الأعمال وعلمه بها وإحصائه لها يتضمن الوعيد والجزاء عليها. ويأتي الخبر للمدح والثناء وهو الغرض الذي يلتمسه " بن تيمية " في قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾². فقوله: " يُوفُونَ بِالنَّذْرِ " خبر وثناء .

تجلى فهم " بن تيمية " للغرض الذي يخرج إليه الخبر؛ في إدراكه أنّ ثمة سياقات لا يتعيّن فيها غرض بعينه؛ لأنّ ذلك الغرض يستخدم وفق مقتضيات خاصة يجب أن تراعى. على هذا الأساس يدير نقاشنا ساخنا حول رأي علق به الكسائي على الآية: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (41) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾³.

إذا ما أردنا تتبّع المعنى للآية؛ فنجد " الكسائي " يُقرّ بحقيقة خروج الخبر إلى غرض التهديد، في حين " بن تيمية " يستوهن ويستضعف قوله، مُدّرعا سنن العرب وطرائقها في التعبير عن هذا الغرض يقول " ذلك أنّ كلام العرب لا يدلّ على هذا القول، فإنّ الرجل إذا كان يقول لمن يتهدّده ويتوعّده: عليّ طريقك " من لا يقدر عليه في الحال، لكن ذاك يمرّ عليه بنفسه وهو متمكّن منه، كما كان أهل المدينة يتوعّدون

1. سورة القمر، الآية 52، 53.

2. سورة الإنسان، الآية 07.

3. سورة الحجر، الآية 41، 42.

أهل مكة.... ومثل هذا المعنى لا يُقال في حقّ الله تعالى، فإنّ الله قادرٌ على العباد حيث كان¹. ينكر بن تيمية رأي الكسائي في كون أنّ الحقّ يرجع إلى الله وهو الصراط المستقيم، وكأنّ بن تيمية يرّد للخبر غرض الإخبار المجرد الذي يفيد أنّ الهداية إلى الصراط المستقيم خاصّة بالله تعالى .

أولى "بن تيمية" عناية خاصّة في حديثه عن أدوات توكيد الخبر يقول: "أمّا المؤكّدات الأخرى التي نصّ عليها، فمن أشهرها "إنّ" نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ﴾². ففي الآية تأكيد من الله على تحقيق الخبر وهو العطاء الكثير والغنى الواسع. وقد يكون التوكيد بالقسم؛ إذ يُفيد القسم تأكيد المقسم عليه، سواء أكان القسم جليّاً ظاهراً أو كان خفيّاً قد حذف فيه المقسم به. ففي قوله تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾³. أين حذف المقسم به ودلّت عليه اللام الموطئة للقسم عليه، وهو ما لم يغب عن ذهن ابن تيمية .

يبدو الاختلاف جليّاً حول مؤكّدات الخبر؛ فنجد "الزركشي" رغم إفاضته في الحديث عن أدوات توكيد الجملة الفعلية والاسمية؛ إلّا أنّه "لم يتعرّض إلى مجيء الحرف الزائد للتوكيد، ما عدا حرف الباء، معللاً ذلك بما قال الكوفيون: فقولك: ما زيد بمنطلق

¹. إبراهيم بن منصور التركي، (مرجع سابق)، ص: 115..

². سورة الكوثر، الآية 01.

³. سورة الإسراء، الآية 88.

جواب: إنَّ زيداً منطلق، (ما) بإزاء (إنّ) والباء بإزاء اللام، والمعنى راجع إلى أنّها للتأكيد¹. وعليه فاللام لتأكيد الإيجاب، فإذا كانت بإزائها كانت لتأكيد النفي.

يُضيف "بن تيمية" في أنّ الجملة الواحدة يمكن أن يحتشد فيها جمع من المؤكّدات نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾² فالآية تحمل في طياتها أنواعاً من التأكيد: أحدها: تصدير الجملة بـ (أنّ).

الثاني: الإتيان بضمير الفصل الدال على قوّة الإسناد و الاختصاص.

الثالث: مجيء الخبر على (أفعل) التفضيل دون اسم المفعول.

الرابع: تعريفه باللام الدالة على حصول هذا الموصوف له بتمامه وأنّه أحقّ به من غيره³. احتوت الجملة أربعة مؤكّدات، في حين يتبيّن أنّ الطريق الرابع وهو التعريف باللام لا يفيد التأكيد.

*النفي:

بحث "بن تيمية" باستفاضة في أسلوب النفي؛ لكونه القسم الآخر من أقسام الخبر، إذ يذكر الأغراض التي يمكن أن يفيدها أسلوب النفي "فقد يأتي النفي للتنزيه"⁴، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلٍ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ (41) وَلَا بِقَوْلٍ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَدَّكَّرُونَ﴾⁵. ففي الآية نفي لأن يكون قول شاعر أو كاهن، فهذا تنزيه للقرآن نفسه. وقد يُفد النفي لإزالة شبهة تصوّرت إلى عقول من يتّجه إليهم الخطاب

¹. الزركشي، (مصدر سابق) ج 2، ص: 514.

². سورة الكوثر، الآية 03.

³. إبراهيم بن منصور التركي، (مرجع سابق)، ص: 117.

⁴. إبراهيم بن منصور التركي، (مرجع سابق)، ص: 119.

⁵. سورة الحاقة، الآية 41، 42.

اللغوي، فيأتي ليمحو رواسب تلك الشبهة العالقة نحو قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾¹. أي نفى الجناح لأجل الشبهة التي عرضت لهم (أي الصحابة) من الطواف بينهما (الصفاء والمرورة).

نال النفي عند "بن تيمية" حظاً من الدراسة؛ إذ قام بتوضيح الكيفية التي من خلالها يدلّ بها النفي على المدح، "فإذا كان النفي يسلب الشيء بعض الصفات المتوهمة له، فإنه قد يتضمّن مع سلب الصفة إسباغ الصفة الإيجابية المقابلة لها، وهو معنى يتخلّل صفات الله المنفية ويبدو في كلماتها"². ذلك أنّ الصفات السلبية ليس فيها بنفسها مدح ولا توجب كلاماً للموصوف، إلا أن تتضمّن أمراً وجودياً كوصفه سبحانه بأنه لا تأخذه سنة ولا نوم.

في موضع آخر نجده يلجأ إلى تخصيص النفي بدل التعميم؛ كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر"³. بمعنى أنّ المنفي هو الدخول المطلق الذي لا يكون معه عذاب، لا الدخول المقيد الذي يحصل لمن دخل النار ثمّ دخل الجنة. فهو بهذا يلجأ إلى تضيق الدائرة التي يتسلّط عليها النفي؛ لأنّ تعميمه يتصادم مع صريح دلالة نصوص أخرى تُبيّن عدم خلود المؤمن العاصي في النار.

¹. سورة البقرة، 158.

². ابن تيمية: منهاج السنة النبوية في نقص كلام الشيعة و القدرية، المجلد الأول، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ص: 183.

³. رواه مسلم (1)، الحدّث، رقم (147)، كتاب الإيمان لشيخ الإسلام بن تيمية: ص: 93.

تأسيًا على ما سبق ذكره ؛ فإنَّ تبصّر "بن تيمية " بالنفي أعطاه دلالة بحسب المساق الذي يلج إليه أسلوب النفي ، فقد يكون لنفي الوجود أو لنفي الفائدة، أو لنفي الكمال، كما قد ينصرف النفي إلى لون من ألوان المنفي دون أن يعم صورته العامة .

2- الإنشاء:

يُعتبر الإنشاء من الأساليب التي استفادت ملحوظات "بن تيمية "، خاصة الإنشاء الطلبي، فلم تخل من إشارة تطول أو تقصر إلى مباحثه، أمّا الإنشاء غير الطلبي فلم يتعمّق بحث مسائله عدا القسم الذي أفاض فيه القول بصورة ملموسة.

2-1- الإنشاء الطلبي: ينقسم الإنشاء الطلبي إلى خمسة مباحث: الاستفهام، والأمر، والنهي، والنداء، والتمني¹.

2-1-1- الاستفهام:

جعل "بن تيمية " الاستفهام متنقلاً من جهة بناء أدواته، ومن جهة دلالة على أغراض أُخر غير السؤال المحض، فأما بناء أدواته فيعرض له من حيث ذكر الأداة أو حذفها نحو قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾².

يُعلق " بن تيمية " على هذا الرأي فيقول: "قلت: وإضمار الاستفهام إذا دلّ عليه الكلام لا يقتضي جواز إضماره في الخبر المخصوص من غير دلالة، فإنّ هذا يناقض المقصود، ويستلزم أنّ كلّ من أراد أن ينفي م أخبره الله بقدر أن ينفيه بأن يقدر

¹. فضل عباس حسن، البلاغة فنونها وأفانها (المعاني)، ص: 148.

². سورة النساء، الآية: 79.

في خبره استفهاما ويجعله استفهام إنكار¹. ومدار حديثه ها هنا أنّ حذف الأداة ليس عملا اعتباطيا يتمّ دون ضوابط، بل لابدّ من دليل لفظي ظاهر يُنتج في أوصاف السياق معنى الاستفهام، ويكون إشارة تنبّه ذهن المتلقّي إلى وجود السؤال.

إذا ما أردنا تتبّع الاستفهام الإنكاري عند " بن تيمية " فنجده يُقسّمه إلى قسمين: ما يكون معناه الذمّ والنهي، وما يكون معناه النفي والسلب، ويتمّ تعيين أحد القسمين بالنظر إلى مضمون الجملة، فإنّ " استفهام الإنكار يكون بتضمّن الإنكار مضمون الجملة: إمّا إنكار نفي إن كان مضمونها خبر، وإمّا إنكار نهي إن كان مضمونها إنشاء"². من الشواهد على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ﴾³. ففي الآية استفهام إنكار، هل يفعل هذه الأمور أحد من الآلهة التي يعبدون من دون الله؟ فإنّه يتضمّن نفي المستفهم عنه والإنكار على من أثبتته. أمّا ما كان معناه النهي كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾⁴. ففي الآية استفهام إنكار يتضمّن النهي؛ فإنّ الله لا يستفهم لطلب الفهم والعلم، فإنّه بكلّ شيءٍ عليم.

ومن الأغراض التي يخرج إليها الاستفهام نجد:

- التقرير: نحو قوله: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾⁵. استفهام تقرير لوروده على الأداة .

¹. إبراهيم بن منصور التركي، (مرجع سابق)، ص: 122.

². إبراهيم بن منصور التركي، (مرجع سابق)، ص: 125.

³. سورة النمل، الآية 59.

⁴. سورة التحريم، الآية 01.

⁵. سورة إبراهيم، الآية 10.

- الأمر: نحو قوله: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾¹.

فعبارة "هل من مزيد" أفادت الطلب.

- الاستبطاء: نحو قوله: ﴿مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾². ففي الآية استفهام عن استبطاء

النصر.

- الذم والتوبيخ: كما في سؤال لوط لقومه:

﴿أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾³. فهذا

استفهام فيه من الذم والتوبيخ للقوم السفهاء الجهلة بعظيم حق الله عليهم وعصيانه.

2-1-2- الأمر:

اهتمّ "بن تيمية" بدراسة أسلوب الأمر؛ فقدّم له تعريفاً وتناول بعضاً من

أغراضه التي يفيدها، "فالأمر: استدعاء الفعل بالقول على سبيل الاستعلاء"⁴. فهذا

التعريف شديد القرب من تعريف البلاغيين الذين يعرفون الأمر بأنه "طلب الفعل على

سبيل الاستعلاء"⁵. ومن الأغراض التي يخرج إليها الأمر نلفي معنى الوجوب في قوله

تعالى: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةً

¹. سورة (ق)، الآية 30.

². سورة البقرة، الآية 214.

³. سورة النمل، الآية 55.

⁴. إبراهيم بن منصور التركي، (مرجع سابق)، ص: 130.

⁵. السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 318.

الكُفْر¹ مما يعني أنّ في الآية وجوب القتال للذين نكثوا العهد وطعنوا في الدين. كما قد يخرج الأمر لأغراض أخرى كالتوبيخ.

2-2- الإنشاء غير الطلبي:

تعرّض "بن تيمية" لمبحث القسم واستفاض فيه حتى إنّه عقد فصلا مستقلا بعنوان: "أقسام القرآن"²، ممّا جعله يضطرب في تحديد ماهية القسم، فمرّة يجعله من باب الخبر، ومرّة من باب الطلب، ومرّة يجمعهما في معنى واحد، يقول "ابن تيمية": (اليمن المتضمنة حضا أو منعاً لنفسه كقوله: "لأفعلن، ولا أفعل" فيها معنى الطلب والخبر. بخلاف الخبر المحض كقوله: والله لا يُقَدِمَنَّ الركب، فإنّ هذا إخبار محض بأمر سيكون كما يخبر عن الماضي بمثل ذلك. وبخلاف الطلب المحض كقوله لغيره: "افعل أو بالله افعل" ونحو ذلك، إذ لم يكن منه إلّا مجرد الطلب، وهو لا يري أيطيعه أو يعصيه)³. انطلاقا من هذا الطرح قد يكون القسم خبرا محضا وقد يكون طلبا محضا، وقد يجتمع فيه معنى الطلب والخبر. كما التمس أغراضا تخصّ صيغة القسم؛ قد تفيده الحضّ والأمر، وقد تفيده المنع و النهي.

¹. سورة التوبة، الآية 12.

². إبراهيم بن منصور التركي، (مرجع سابق)، ص: 136.

³. إبراهيم بن منصور التركي، (مرجع سابق)، ص: 136.

المبحث الثاني:

إمكانات التقاطع من حيث المصطلحات والمفاهيم.

- مقارنة بين الأصوليين والغربيين -

تمهيد:

استخدم التّداوليون مصطلح الفعل الإنجازي، الذي من خلاله قُسمت الجمل إلى إنجازية ظاهرة، وإنجازية ضمنية، أو أفعال لغوية مباشرة وأفعال لغوية غير مباشرة، إذ كان لمفهوم القوّة الإنجازية عند "سيرل" Searle دور مهم في دراسة الأساليب الإنجازية. ففي نظر "سيرل" Searle تتكوّن الجملة الإنجازية للأفعال المباشرة أو غير المباشرة من دليل على الإنجاز، يكون غالبا لفظة (تعبّر عن الفعل الإنجازي) + محتوى قضوي¹، أي قضية يعبر عنها الفعل، كما هو موضح في المخطط الآتي:

مكونات الجملة الإنجازية
دليل + محتوى قضوي

أمّا في نظر "غرايس" Grice فإنّ لظاهرة (الاستلزام الحواري) التخاطبي دورا في تفسير المعنى الظاهر والمعنى الخفي، حيث قسّمها إلى قسمين اثنين هما:

(أ) استلزام عرفي (حرفي): يتمثّل فيما اصطلح عليه أصحاب اللّغة الواحدة من دلالات ومعانٍ لألفاظ معيّنة، لا تتغيّر بتغيّر السياقات والتركيب مثل "لكن" في العربية التي تستلزم أن يكون ما بعدها مخالفا لما يتوقّعه السّامع.

(ب) استلزام حوارِي: مفهوم لساني تداولي متغيّر بتغيّر السياقات التي يرد فيها². أو هو المعاني الحوارية أو السياقية التي تتولّد حسب السياقات التي تنجز فيها الجملة.

¹. الصراف علي، في البراهماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص: 23.

². محمود أحمد نخلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 32.

ولوصف هذه الظاهرة اقترح "غرايس" نظريته الحوارية التي تنصّ على أنّ التّواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام هو مبدأ التعاون وبمسلمات حوارية يتعيّن على المشاركين احترامها في المحادثة هي¹.

1- **مسلمات القدر:** وتخصّ قدر الإخبار التي يجب أن تستلزم بها المبادرة الكلامية دون زيادة أو نقصان وتتفرّع إلى مقولتين.

أ) اجعل مشاركتك تفيد القدر المطلوب من الإخبار.

ب) لا تجعل مشاركتك تفيد أكثر ممّا هو مطلوب.

2- **مسلمة الكيف:** مفادها لا تقل ما تعتقد أنّه كذب، ولا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه أو تعوزك فيه الحجّة.

3- **مسلمة الملاءمة:** هي عبارة عن قاعدة واحدة " لتكن مشاركتك ملائمة".

4- **مسلمة الجهة:** التي تنصّ على الوضوح في الكلام، وتتفرّع إلى ثلاث قواعد فرعية:

- ابتعد عن اللبس، تحرّ الإيجاز، تحرّ الترتيب.

لا تحدث ظاهرة الاستلزام التخاطبي؛ إلّا إذا تمّ خرق إحدى القواعد الأربع السابقة الذكر.

تميّز كلّ مجال من مجالات القدماء بتقسيم خاص للكلام؛ على الرغم من وجود رابط متّفق عليه يحدّد عنه كلّ مجال إلّا لاختلاف المنهج¹، والغرض من دراسته اللّغة، وقد دُرست ظاهرتنا الأمر والاستفهام من خلال تقسيم الكلام إلى ما يلي:

¹. مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، ص: 46.

الكلام	
النحاة	
الاستفهام	الخبر
وغير الواجب	الواجب
الإنشاء	الخبر

الكلام	
عند البلاغيين	
الطلب، وينقسم إلى: الطلب الايقاعي / طلب إنشائي	الخبر
الإنشاء	الخبر
عند الأصوليين	
مقابل الأمر والنهي والاستخبار	الخبر
المفهوم	المنطوق

¹ خديجة محمد الشنطقي، تأصيل الفرضية الإنجازية في الفكر اللغوي العربي القديم من خلال أسلوبي الأمر والاستفهام، ص:

الفصل الثالث إمكانات التقاطع بين الأصوليين والغربيين (مقاربة تداولية)

كان لهذه التقسيمات دور أساسي في تحديد مفهوم الكلام عامّة، وما تمتاز به ظاهرتا البحث خاصة، بحيث أخذت من مفهوم غير الواجب، ومفهوم الإنشاء الطلبي عامّة، ونوع الطلب خاصّة. وهناك تقسيمات أخرى نشير إليها في الجداول الآتية:

الاستفهام	الأمر
غير الواجب عند سيبويه (ت180هـ)، هو ما لم يكن موجوداً، أو ما لم يقع، أو ما لم يثبت في الاعتقاد، فهو غير الواجب. ويشمل: النفي، والجزاء والأمر والنهي والاستفهام... ¹	
وأساسه الدلالي الإمكان، أي ما يُمكن أن يكون ولا يكون وهذا حال فعل الأمر من مأمور، إذ هو محكوم بأمر الحالتين: إمكان التحقق، أو عدم إمكان التحقق، وبالمثل الاستفهام المراد منه تحصيل المعلومة من المسؤول أو المستفهم.	

¹ ميلاد، خالد، "الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة"، ص: 28، وعبد السميع، منصور، "الحروف المشبهة بالفعل دراسة تداولية"، ص: 1، والسامرائي، صباح، "ظاهرة الوجوب النحوي في كتاب سيبويه"، ماجستير لغة عربية، بغداد، التربية، 2004 (الفصل الأول): أساليب التعبير عن الوجوب في الكتاب ومعاني القرآن للقراء)، ص: 1.

الفصل الثالث إمكانات التقاطع بين الأصوليين والغربيين (مقاربة تداولية)

الأمر	الاستفهام
الأمر نوع من أنواع الإنشاء الطلبي، يستدعي مطلوبا غير حاصل في اعتقاد المتكلم وقت الطلب.	الاستفهام نوع من أنواع الإنشاء الطلبي، يستدعي مطلوبا غير حاصل في اعتقاد المتكلم وقت الطلب.
الأمر: يعدّ حقيقيا إذا كان الأمر أعلى من المأمور، ويخرج عن هذا إلى معنى الطلب، ويشمل: (الدعاء، والتضرع، والتعجيز... وما يقتضيه الغرض التواصلي)، إذا كان الأمر أقل منزلة من المأمور، وقد يكون التماسا، إن كان بين متساويين في المنزلة.	والمعنى الأصلي للاستفهام (طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل)، أما إذا استفهم بها عن الشيء "مع العلم به"، كان الاستفهام مقاميا يفهم من سياق الكلام بواسطة قرائن الأحوال، وفي الاستفهام المقامي لا يريد المتكلم الفهم لنفسه، و إنما يريد به تفهيم المخاطب.

اعتمد القدماء أيضا على مجموعة من المعايير في تمييز الجمل الإنشائية من

الجمل الخبرية، في حين اعتمد سيرل (Searl) على معيار الصدق والكذب، ومعيار

النجاح/الفشل. ومن أهم المعايير التي اعتمد عليها القدماء:

معيار (قبول الصدق والكذب)، وهذا هو التمييز الأشهر بينهم، وكان محلّ إجماعهم، فالخبر هو ما يقبل الصدق أو الكذب، والإنشاء ما لا يقبل الصدق والكذب.

ومنها (مطابقة النسبة الخارجية)، فالخبر هو الكلام التام المفيد، أو الخطاب التواصلي الذي لنسبته الكلامية نسبة خارجية، والإنشاء ليس له تلك النسبة. يستنتج ممّا سبق ما يلي:

- اتّفق القدماء والتداوليون على خروج الأسلوب عن معناه، واختلفا في المصطلحات الواصفة للظاهرة، فكان اعتماد القدماء على دلالة اللفظ النحويّة وتعويلهم عليها في تحديد معاني الكلام، الفضل في معالجة الظاهرة.

- أما التداوليون فقد اعتمدوا على مفهوم العمل اللغوي، وعوّّلوا على غرض المتكلم في تحديد المعنى، وضبطوا الأساليب اللغوية تحت أصناف معيّنة، كما حدّدوا معايير لظاهرة الاستلزام التّحاطبي.

نظريّة الأفعال الكلامية بمفهومها العام، وكما أوضحها الأصوليون يُمكن أن تكون أداة من أدوات قراءة التراث العربي، ومفتاحاً من مفاتيح فهمه كما أنّه لا يمكننا أن نمرّ دون التكلّم عن التّداولية التي تندرج تحت لوائها، وهي نقطة الاتفاق بين الشاطبي وأوستين وسيرل.

محاولتنا من خلال هذا الإجراء التطبيقي النظر إلى توضيح صورة تأصيلية للأفعال الكلامية بين التراث اللغوي والطرح التداولي الحديث ممّا تستدعي الرجوع إلى صفحات البحث السابقة مع تدقيق يرنو معه النّظر وضع تصور جامع للقواعد الأساسية والأساليب المنهجية لوصف الظاهرتين - الأمر والاستفهام - عند كلا الطرحين ثمّ تكيّفاً

مع الظاهرة كانت محاولتنا الوقوف على محورين من أجل تَقْمُص القواعد اللغوية القائم عليها كلا الطرحين التراثي والتداولي . ثم مررنا إلى معالجة الطرحين من حيث المصطلحات والأساليب . إذ كيف قرأ التراث قراءة حدائية؟ وما هي تجليات النظرية الحديثة في الفكر اللغوي العربي؟. هذا ما سنحاول الإجابة عنه.

1-القواعد اللغوية بين التراث والحداثة:

قدّم اللغويون العرب صوراً متشابهة إلى حدّ بعيد لنظرية الأفعال الكلامية شأنها شأن أيّ ثقافة أو حضارة، واهتمّوا أيّما اهتمام بظاهرتي: الأمر والاستفهام. فعند استحضار مفهوم التداولية وعلاقتها بالكلام يستنتج أنّها دراسة للغة تُعنى بإيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي. وبهذا فهي تهتمّ بكلّ ما له علاقة بالمتكلم والمتلقّي والسياق. كما تهتمّ أيضاً " بإيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي"¹. "فهي دراسة اللغة في الاستعمال أو في التّواصل؛ لأنّها تشير إلى أنّ المعنى ليس شيئاً متّصلاً في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا المتلقّي وحده، فصناعة المعنى تتمثّل في تداول اللغة بين المتكلم والمتلقّي في سياق محدّد (مادّي، اجتماعي، ولغويّ) وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما"². وعليه " فالتداولية علم يدرس الظواهرية اللغوية في مجال الاستعمال، فهي ليست علماً لغوياً محضاً بالمعنى التقليدي، علماً يكتفي بوصف البنى اللغوية وتفسيرها ويتوقف عند حدود الظاهرة وأشكالها"³. ما يُمكن أن نستشفه هو أنّ الجملة الواحدة يُمكن أن تُعبّر عن معانٍ مختلفة من سياقٍ لآخر، وتداول اللغة عملياً هو

¹. مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، ص: 18 . 24.

². محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 14.

³. الصراف علي محمود حجي، في البراهماتية الأفعال الانجازية في العربية المعاصرة، ص: 05.

استعمالها في عدّة سياقات متنوّعة ومواقف واقعية، ممّا يُتيح للتداوليات التمييز بين أمرين في القول، الأعمال التي ينجزها المتكلّم والوحدات اللّغوية المنتجة، ويقصد بها الرموز أو الكلمات أو الجمل التي بها يتوصل المتكلّم إلى الإفصاح عن أغراضه.

إنّ أهمّ ما ينمّ عليه هذا القول تلكم التفرقة في العمل اللّغوي بين القواعد التي يخضع لها المتكلّم والقواعد التي تحكم إنجاز العمل اللّغوي. يقول "سيرل" (Searl) بخصوص العمل اللّغوي: "إنّنا إذ نتكلّم، إنّما نقصد إلى التعبير عن شيء ما بما نقول، إذا كان القصد يتحقّق بما ينتجه المتكلّم من متواليات صوتيّة، فإنّ ذلك يعني أنّ مجرد التلقّظ بجملة ما في معناها الحرفي، إنّما هو إنجاز لعمل لغوي، يقول: إنّ مجرد التلقّظ بجملة ما في معناها الحرفي، إنّما هو إنجاز لعمل لغوي مخصوص. ومن خصائص الفعل الكلامي التي أوردها العلماء الدارسون ما يلي:

- أن يكون الفعل لغوياً، قولياً، فعلاً إنسانياً، فعلاً قصدياً، فعلاً متوجّهاً إلى المخاطب وله معنى قابل للفهم، فعلاً له طبيعة سياقية، فعلاً خاضعاً للمواضعة والقصد¹. من كلّ ما مضى ندرك أنّ الأفعال تميّز عن بعضها البعض بالشدّة أو القوّة، فهناك أفعال إنجازيّة يمكن أن تشترك في تحقيق غرض إنجازي واحد وتختلف من حيث (القوّة، الأثر).

يتمّ التعامل مع هذه الأفعال؛ من منظور أنّ علماء العربيّة اهتمّوا بما يحيط بظاهرة الكلام كالسّامع والمقام وظروف المقال، وكلّ ما يقوم بين هذه العناصر غير اللّغوية من روابط كعملية القصد ونوايا المتكلّم والتأثير والتأثر، والفائدة من الكلام، والإفهام، ومفهوم القصد. يرى "محمود نحلة" أنّ النظرية العربيّة التداوليّة تقوم على أساسين هما عرفية الاستعمال، ومقصد المتكلّم، فدراسة علمائنا للغة منوطاً بما تداول

¹ المرجع نفسه ص: 25، 26.

عليه أبنائنا في ألفاظها وصيغها وتراكيبها، ودلالاتها، وما تقتضيه مقامات الكلام، وأعراف الناس وأحكام الشرع، ومن ثمّ كان العرف عندهم ثلاثة أعراف: عرفاً لغوياً، استعمالياً، وعرفاً اجتماعياً وعرفاً شرعياً، والعرف اللّغوي كوضع الاسم لمعنى عام. ثمّ يُخصّص عرف الاستعمال من أهل اللّغة ببعض مسمّياته، كاختصاص اسم الدابة بذوات الأربع مع أنّ الوضع لكلّ ما يدبّ¹. أمّا العرف الاجتماعي فيظهر في فهمهم لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "المسئلون شركاء في ثلاث الماء والكلاء والتار وثمنه حرام" ². والماء عامّ يشتمل ما أحرزه الناس وما لم يحرزه، لكنّه قصر على غير المحرز لما جرت بذلك عادة الناس.

أمّا العرف الشرعي؛ فيقصد به الألفاظ الإسلاميّة، كتصدّق الشرع في الحجّ والصوم والإيمان، إذ للشرع عُرف في الاستعمال كما للعرب. ويتضح مقصد المتكلم من خلال الشرط الآتي:

لا يتكلم المتكلم مع غيره، إلّا إذا كان لكلامه قصد، وهذا القصد محدّد عند المتكلم، وثابت لا يتغيّر، لذلك يتخذ من الوسائل أو الوسائط الكلاميّة والمقاميّة ما يعين السامع على إدراك ما يريد، ولكن مراتب السامعين تتفاوت في إدراك مقصود المتكلمين، تبعاً لتفاوت قدراتهم العقليّة واللّغويّة والثقافية³. فالقصد شرط أساسي في عملية التلقظ على غرار السامعين فتتفاوت درجة استيعابهم حسب درجة المتلقي.

¹. خديجة محفوظ محمد، دراسة وصفية تحليلية، ص: 190.

². المرجع نفسه ص: 190.

³. محمود نحلة، نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية، ص: 13، وخديجة محفوظ، دراسة وصفية تحليلية، ص: 190.

ميّز "أوستين" Austin بين الجمل الإنشائية والجمل الخبرية، فكانت نظريته مشابهة لنظرة العرب القدماء للجمل الخبرية؛ وهي التي تحتمل الصدق والكذب، ومختلفة بالنسبة للجمل الإنشائية وهو نجاح أو فشل، فإذا تمّ إنجاز الجملة الإنشائية فالجملة ناجحة والعكس .

بعد الدراسة والتحليل تبين لأوستين أنّ كلّ جملة خبرية هي جملة إنشائية؛ من حيث أنّ المتكلم بجملة خبرية هو منشئ فعل الإخبار. وبهذا فهي جملة إنشائية ينتجها المتكلم، أمّا الجمل الإنشائية فتضمن خبراً لا محال " افتح الباب " فأنا أنجز فعل الأمر، وبداخل الجملة قضية خبرية وهي فتح الباب، وهنا عدّ أوستين جميع الجمل التي ينجزها المتكلم أفعالاً إنجازية، فأطلق عليها مسمى واحداً هو نظرية الأفعال اللغوية. وقسم الجملة الواحدة إلى ثلاثة أفعال هي:

1) الفعل اللفظي: ينتظم هذا النوع من الأفعال في شكل قوالب صوتية لغوية وفي أداء نحوي سليم يتمخض عنه معنى أصلي واضح ومباشر (ينتج المتكلم بمجرد التلقظ بالجملة) .

2) الفعل الإنجازي: الفعل المراد إنجازه: شكر، أمر، إخبار، استفهام، نهي.

3) الفعل التأثيري: الأثر الذي يتركه المتكلم من طلب الفعل (غضب، سعادة، حزن).

ما يُمكن ملاحظته من خلال هذه الأفعال المذكورة تصنيفاً من قبل "سورل" اهتمامه بالفعل الإنجازي، وتقسيمه إلى مباشر وغير مباشر، يتعلّق بخروج الجمل عن ظاهر معناها إلى معنى آخر، وأتبع هذا العمل سيرل Searle وغرايس Grice وغيرهم.

ففي عمله إلهام ربط بالفعل أو القول بالفعل، إذ حاول "أوستين" أن يضيف إلى الجهاز المفاهيمي للغة خاصية جديدة هي خاصية ربط اللغة عبر أفعالها بالعالم أو الواقع. فلكلّ الجمل اللغوية عدا ما تعلّق منها بالجمل الاستفهامية والتعجبية والأمر، نجد لها مثيلاً في الواقع حيث يُمكن التأكّد من صدقها أو من تكذيبها.

إلى جانب كلّ ما ذكرناه سابقاً نلتمس تشابهاً مع ما ورد عند النُّحاة والبلاغيين والأصوليين من استقراء ظاهريّ: الأمر والاستفهام، فنجد اللغويون المتقدّمون قد ميّزوا بين الجمل الخبرية والجمل الإنشائية من خلال معيار الصدق والكذب. فالجملة الخبرية هي ما تضمّنت (قبلت) معيار الصدق أو الكذب، وقد توقّف استقراء الظاهرتين عند الإشكالية الآتية:

لم حافظ البلاغيون العرب على ثنائية الخبر والإنشاء، وقد كانوا واعين كلّ الوعي بإنشائية كلّ المعاني خبرية كانت أم إنشائية، من حيث إنّ المتكلم هو المنشئ لها جميعاً؟ هذا ما يتوافق مع مفهوم نظرية الأفعال اللغوية؛ على اعتبار الفعل الكلامي الذي يُراد به الإنجاز الذي يُؤدّيه المتكلم بمجرد تلقّظه بملفوظات معيّنة. ومن أمثلته الأمر الوعد، السؤال، النهي. لكن هذه التطلعات العلميّة لم تأت من العدم، بل قامت على أسس علميّة واستندت إلى مبادئ موضوعيّة متقاربة، وأنّ الطريقة التي يتمّ وضع لبنات العملية التداوليّة تكاد تكون مشتركة بينها وبين الدلالة (دلالة الأفعال الكلاميّة).

الفصل الرابع

الجانب الإجمالي للمقارنة التداوليّة للخطاب
التربوي

تمهيد:

تُعدّ موجة تطبيق النظريات اللسانية على الخطابات من بين اهتمامات الدارسين اللغويين في الآونة الأخيرة، ونُحَصّ بالذكر النظرية البنيوية والسيمايائية والتداولية وهي نظريات نشأت متفاوتة من حيث الزمن، وتهتمّ بالدرجة الأولى باللّغة كظاهرة فردية وجماعية وسلوكية.

أمّا بالنسبة إلى تطبيق هذه النظريات اللسانية فنجدها في غالب الأحيان عبارة عن دراسات للنصوص الأدبية، في حين تكاد الدراسات اللسانية الخاصة بالخطاب تنعدم وهذا ما حاولنا القيام به؛ أي الاهتمام بالخطابات التعليمية التي تمكّن المتعلمين من استعمال اللّغة وفقاً لما تمليه قصديّة المتكلم، مراعاة للمقام المستعملة فيه.

إزالة للإشكال ارتأينا أن تكون دراستنا للخطاب في إطار المنهج التداولي ضمن ميدان من ميادين تعليمية اللّغة، هو تناول الخطاب التعليمي من زاوية جديدة وبمنهج حديث النشأة، والابتعاد عن التحليلات الكلاسيكية التي تنظر إلى الخطاب بمعزل عن المتكلم والمتلقي والسياق، كما يهدف إلى إرساء معالم منهج حديث النشأة، وتدعيمه بالتطبيق من خلال فحص القوّة الإنجازية لأفعال الكلام في الخطاب التعليمي مستفيدين من الدرس التداولي عامّة، ونظرية الأفعال الكلامية لأوستين وسيرل على وجه الخصوص دون إغفال الدرس اللساني في التراث الأصولي .

إنّ هذه الدراسة تسعى إلى إبراز القيمة الإنشائية لأساليب الخطاب التعليمي، ومن ثمّ توضّح أنواع الملفوظات التي يمكن عدّها أفعالا كلامية، وعليه فهي تُنشد الإجابة عن التساؤلين الآتيين:

1- كيف تَمظهرت الأفعال الكلامية في الخطاب التعليمي؟

2- ما هي القوّة الإنجازية المحقّقة من خلال هذه الأفعال؟

1-مصطلح الخطاب بين اللّغة والاصطلاح:

الخطاب من الألفاظ التي شاعت في حقل الدراسات اللّغوية ولقيت إقبالاّ واسعاً من قبل الدارسين والباحثين، فالخطاب ليس بالمصطلح الجديد ولكنّه كيان متجدّد يُولد في كلّ زمن ولادة جديدة تنسجم وخصوصية المرحلة، وهو كمفهوم لساني يمتد إلى النصوص المتعاليات من شعر جاهلي وقرآن كريم.

رغم قدم جذور هذه الكلمة في الثقافة العربيّة من حيث أصولها المقترنة بالنطق، فإنّ استخداماتها المعاصرة بوصفها مصطلحاً له أهميته المتزايدة تدخل بمعانيها إلى دائرة الكلمات الاصطلاحية التي هي أقرب إلى الترجمة، والتي تُشير حقولها الدلالية إلى معانٍ وافدة، ليست من قبيل الانبثاق في الثقافة العربيّة، فما نقصد بكلمة المصطلح (الخطاب) هو نوع من الترجمة أو التعريب لمصطلح Discourse في الانجليزية، ونظيره Discours في الفرنسية أو Diskurs في الألمانية...¹. أين تعدّدت المصطلحات ممّا يصعب ضبطها ضبطاً دقيقاً.

أمّا على مستوى الاشتقاق اللّغوي" فأغلب المرادفات الأجنبيّة الشائعة لمصطلح (الخطاب) مأخوذة من أصل لاتيني، هو الاسم Discursus المشتق بدوره من الفعل Discurser الذي يعني (الجري هنا وهناك) أو (الجري ذهاباً وإياباً)، وهو فعل يتضمّن معنى التدافع الذي يقترن بالتلفظ العفوي، وإرسال الكلام والمحادثة الحرّة، وغير ذلك من الدلالات التي أفضت في اللّغات الأوروبيّة الحديثة إلى معاني العرض

¹. جابر عصفور، أفاق العصر، دار الهدى للثقافة والنشر، سوريا، دمشق، ط1، 1997، ص:17.

والسرد...¹. بهذا نستطيع القول بأنه عبارة عن نتاج فردي كامل يصدر عن وعي وإرادة، ويتّصف بالاختيار الجيّد، وحرية الفرد الناطق تتجلى في استخدامه أنساقاً للتعبير عن فكره الشخصي يستعين في إبراز ذلك بآليات نفسية وفيزيائية.

بدأ هذا المصطلح يرتسم في مناخه الدلالي بعد ظهور كتاب " فرديناند دي سوسير " " محاضرات في اللسانيات العامة " لما فيه من مبادئ أساسية ساهمت في وضوح مفهوم الخطاب، ومن بين التعاريف التي قُدمت للإحاطة بالمصطلح، والتي تبدو في عموميتها تعاريف جزئية تُضيء جوانب مفردة من هذا المفهوم، إلا أنّ تقديمها معاً لا يَنم عن الاختلاف الموجود بينها بقدر ما ينم عن تكامل متدرج يصبو إلى الإفصاح عن ماهية الخطاب ككلّ لساني أدبي .

اختلفت هذه التعاريف باختلاف المنطلقات الأدبية واللسانية المقاربة للمفهوم، ومن بينها نذكر:

-الخطاب مرادف للكلام أي الإنجاز الفعلي للغة بمعنى "اللغة في طور العمل أو اللسان الذي تنجزه ذات معينة كما أنّه يتكوّن من متتالية تشكّل مرسلتها لها بداية ونهاية"².

-الخطاب يتكوّن من وحدات لغوية قوامها سلسلة من الجمل³، أي رسالة أو مقول⁴. ممّا سبق ذكره يُمكننا القول أنّ الخطاب هو كلام مباشر أو غير مباشر شفوي أو مكتوب، يُلقى على المستمعين قصد التبليغ والتأثير ويختلف نوع الخطاب باختلاف

¹. جابر عصفور، أفق العصر، (مرجع سابق)، ص: 47.48.

². سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط3، 1997، ص: 21.

³. دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، (مرجع سابق)، ص: 35.

⁴. إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي، دار الأفق، الجزائر، 1999، ط1، ص: 10.

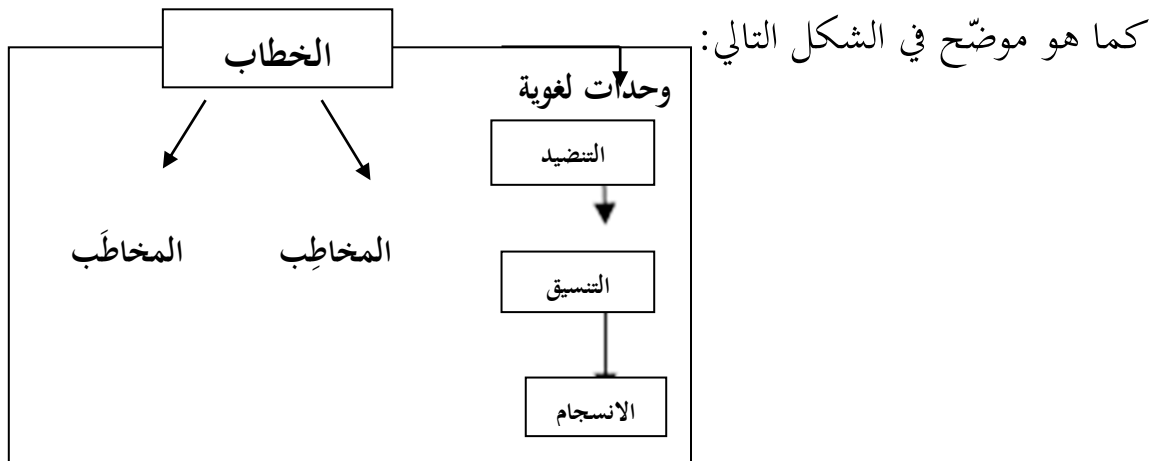
مضمونه، والمواقف التي يلقي فيها ومن هنا تعدّد الخطاب، فمنه الخطاب السياسي والاجتماعي والديني، والعلمي... إلخ.

اقترن مصطلح " الخطاب في الدراسات العربيّة بدلالات جديدة تُشير إلى آفاق واعدة من النظر العقلي والرؤى المنهجية، كما تُشير إلى أدوات معرفية تُعين على فهم الواقع في ممارساته الخطابية المختلفة... وأنّ أية نظرية عن الخطاب بعامة تتضمن نظرية عن المجتمع بالضرورة"¹. عموماً يُمكن القول أنّه إذا كان الخطاب هو ما تُؤدّيه اللّغة عن أفكار الكاتب ومعتقداته، فإنّه لا بدّ من القول إنّ الخطاب يقوم بين طرفين أحدهما مخاطب وثانيهما مخاطب، والخطاب عموماً عبارة عن وحدات لغوية تتسم بـ:

- التنضيد: ما يتضمّن العلاقة بين أجزاء الخطاب، مثل أدوات العطف وغيرها من الروابط.

- التنسيق: ممّا يحتوي تفسير للعلائق بين الكلمات المعجمية.

- الانسجام: وهو ما يكون من علاقة بين عالم النص، وعالم الواقع"².



¹. جابر عصفور، أفق العصر، مرجع سابق، ص: 50 .

². رزان محمود إبراهيم، خطاب النهضة والتقدّم في الرواية العربية المعاصرة، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، ص:18.17.

يُعتبر الخطاب التعليمي التربوي خطاباً حياً، يُنشئه الأستاذ أمام متعلميه، فهو يسعى دائماً للاتصال الفعّال قصد فهم محتوى الدرس، والتواصل مع المتعلمين يستدعي كثيراً من التركيز ليُحقّق الأهداف المسطرة مسبقاً، والمتجانسة مع متطلبات المتعلمين، إذ يجب مراعاة ما بين المداخلات والمخرجات منها: الهدف وعلاقات السلّطة، أو التأثير التي تُمارس عموماً، أو بحضور المتحاورين إزاء بعضهم البعض وعدد المتحاورين والمسافة التي تفصل بينهم.

إنّ الاتصال في الوقت الذي يستطيع فيه المتحاورون خلق تأثير متبادل وتعاون اجتماعي لضمان نقل الخبر يختلف عن التأثير في اتجاه واحد، ففي كلتا الحالتين يكون المحاور في علاقة مع المستمع، لكن إذا تعذّر أيّ جواب فإنّ طبيعة النشاط المبدول لنقل الخبر نفسه تختلف فعلاً عن تلك التي تركز على الإنتاج مع إمكانية الرجوع لخلق التفاعل.

يجب على المعلم ربط الدرس بالواقع وباللغة الوسطى لنجاح التواصل التعليمي، حيث يُعبّر بعض اللسانيين أمثال " هلمان " Hellman " عن هذا الواقع: " إنّه من الأفضل لو تحرّرتنا من الثنائيّة (اللغة والكلام) عن طريق لغة وسطية Language The intermediary وهي اللغة الفردية التي تقوم بإنشاء الفعل اللساني باتّباع العلاقة الحركية بين المتكلم واللغة الفردية، وهذا النظام استطاعت تجربته أن تنشئه في فكره وبذلك يُصبح من الوهم جعل اللغة والكلام من جهة نظر واحدة " ¹. وهذا ما يتطلّب بالأستاذ النظر إلى مختلف الأوضاع التي يكون فيها المتلقّي للخطاب من استعماله للغة بسيطة أو أساليب إقناعيّة مباشرة أو غير مباشرة، تحمل معنى تعليمي تربوي، وهذا ما

¹. ذهبية حمو، لسانيات التلقّظ وتداولية الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، دار الأمل، تيزي وزو، 2005، ص: 83.

يؤكد المنهج التداولي باستخدام آليات مختلفة حتى تُسهَّل تمرير الرسالة التعليمية، ويوظفها الأستاذ بطريقة عفوية لإقناع المتعلمين، وفهم حقيقة المضمون.

من خلال هذا المنظور قُمنّا بتناول الخطاب التربوي وتبيان خصائصه الكامنة والاستراتيجيات التي يوظفها الأستاذ لإيصال المادة العلمية للمتعلّمين وفق مهارته وكفاءته التداولية، وبضرورة التركيز على الملكة الموسوعية للمتعلّم، لأنّ التداولية تركز على اللغة في الاستعمال، فقُمنّا بزيارة رفقة أساتذة مادة اللغة العربية في ندوة تربوية مع السيد المفتّش "خطابي محمد" بمتوسطة "كعيبيش أحمد"، فسُحّت لنا الفرصة أن نُشاهد الأستاذ "لطروش محمد" يُقدّم حصّة تعليمية تعلّميّة رقم (1) في ميدان فهم المنطوق وإنتاجه لقسم السنة الأولى متوسط رقم (05) الموسوم بـ "الواجب والتضحية" على الساعة العاشرة صباحاً موضحاً كالاتي :

- يوم الاثنين 20 ربيع الثاني 1439 الموافق لـ 08 جانفي 2018م.
- المقطع التعلّمي الرابع: الأخلاق والمجتمع.
- الميدان: فهم المنطوق وإنتاجه.
- المحتوى المعرفي: الواجب والتضحية ص 115.
- الموارد المستهدفة: - يكون المتعلّم قادراً على:
- يستمع إلى نصّ ذي طابع "خُلقي اجتماعي" بعنوان "الواجب و التضحية" لـ الكاتب الجزائري "العربي التبسي"
- تفهم أفكاره ومعانيه، تتفاعل معها وتتأثّر بها، تُجيد مناقشتها، وتُحسن تحليلها.
- التعرّف على معنى الواجب و التضحية .
- تعداد أنواع الخطاب وتمييزه عن الجمل الاسمية .

- ربط القواعد باستعمالها الفعلي من خلال توظيفها في مواقف تعبيرية متنوعة.

-الفئة المستهدفة: المتعلمين.

من هنا يتبادر إلى أذهاننا ما هي الآليات التي يستخدمها الأستاذ لضمان الاتصال الفعال مع المتعلمين؟ وكيف يقوم ببناء شبكة معرفية لدى المتعلمين؟ أين يكمن البعد التداولي للخطاب التربوي؟

أ/وصف محتوى العينة:

1-تقديم المدونة: اخترنا الخطاب التربوي (ميدان فهم المنطوق وإنتاجه) كعينة للدراسة وفق أحد المناهج اللسانية الحديثة، ألا وهو المنهج التداولي، ذلك لمعايشتي الخطاب التعليمي، سنقوم في هذه العينة باستخدام أغلبية الآليات التداولية التي يستخدمها الأستاذ بالدرجة الأولى في خطابه، لأنه يمثل النواة الأولى في العملية التعليمية، والمتعلم ضمنى معه (كإجراء تداولي واقع ضمنياً)، وتمثل هذه الدراسة التطبيقية الحجة على ما قيل في الدراسة النظرية .

2-طرائق العرض:

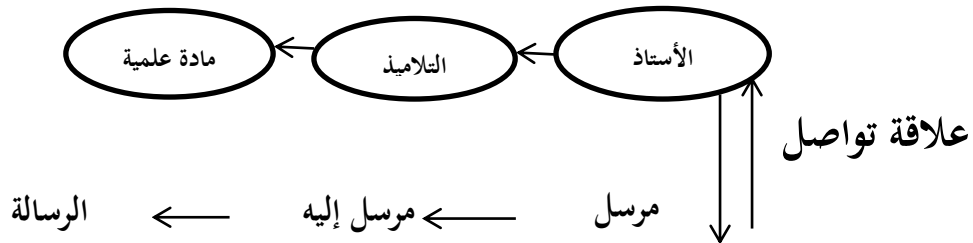
من الوسائل التي استخدمها الأستاذ في شرح المدونة، جهاز العرض العلوي، وبعض الصور لتوضيح الدرس، وكنا نجلس في الصف الأخير بقصد ملاحظة السلوكيات والتصرفات التي تُصاحب الأستاذ عند تمريره للمادة العلمية، إيماءات أو حركات غير لغوية، وحتى المتعلمين كعلامات للفهم أو الضجر أو حتى الخوف في الوقت ذاته، ونُسجلها في الدفتر، وكلّ المعلومات والشروح الزائدة، كذلك نرسم مختلف الأشكال التي يرسمها على السبورة من صور توضيحية لإفهام المتعلمين، و لها مضمون خاص في البعد التداولي.

ب- خصائص المدونة:

يستعمل الأستاذ في تبليغ الرسالة للمتعلّمين وسائل متنوّعة، يقول "باشلار" Bachelard " إنَّ الفعل التعليمي لا يُمكنه أن ينفصل عن المعرفة العلميّة"¹، فمن هنا نرى أنّ الفعل التعليمي هو تبليغ معرفة، وهذه المعرفة تحمل عناصر منها :

1- العناصر اللّسانية في نصوص المدونة:

يُقدّم الأستاذ للمتعلّمين مادّة علميّة بعد تبسيطها لجعلها في خطاب تعليمي (نص الواجب والتضحية) كون كلّ فعل تعليمي توابعاً بين مرسل (الأستاذ) ومرسل إليه (المتعلّم) في مقام تواصلية (الوسط التربوي) والرسالة هي المادّة العلميّة، بالإضافة إلى الوضع (Code) المتعارف عليه، ومن البديهيّ أن تُقدّم المادّة العلميّة من قبل الأستاذ الذي يستعمل عناصر اللّغة بكلّ مستوياتها الصوتيّة والتركيبية والدلاليّة، فيُشكّل بذلك خطاباً شفويّاً وخطاباً مكتوباً يُوضّحها الشّكل التالي:

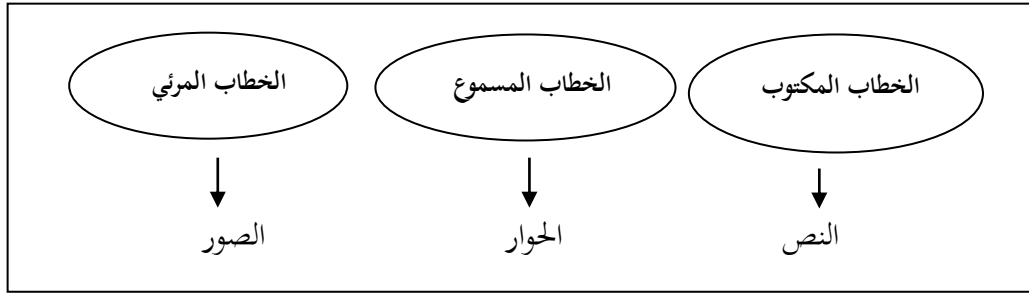


1-1- الخطاب الشفوي:

استعان الأستاذ بميدان فهم المنطوق وإنتاجه الموسوم بـ: " الواجب والتضحية " المبني على حوار المرسل (الأستاذ والمرسل إليه) (المتعلّم) حيث ابتدع فيه الأستاذ جملة من الأسئلة التي هيكل بها حوارهم على فنّ الأفعال الكلاميّة التي اتّخذت شكلين

¹. رافد قاسم هاشم: ابستمولوجيا المعرفة عند غاستون باشلار : ص 190.

أساسيين. الشكل الأوّل كان محوره الأفعال الإنجازية الصريحة، مُستخدما فيها جملة من الأدوات الاستفهاميّة التي كان يستهدف من خلالها ربط النصّ بالدرس المنطوق من جهة، وربطه بالصور المعروضة من جهة أخرى، ممّا استدعى ذلك إلى أن يُوظّف الأستاذ ثلاث خطابات ليُحقّق بها عملية التواصل أثناء الحصّة التعليميّة¹. وهي الخطاب المكتوب (النص) والخطاب المسموع (الحوار) والخطاب الإيقوني عن طريق جهاز العرض العلوي (الصور)، حيث كان الحوار هو سيّد الموقف، والذي يعتبر همزة وصل بين المكتوب والمرئي (الصور) كما هو مبين في الشكل التالي:



يقول " الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح " في صدد هذا الموضوع " ومعنى ذلك أنّ الكلام المنطوق هو الأصل... فالمنطوق والمسموع هو الذي يرجع إليه المتعلّم للغة الحيّة أولاً وآخراً، ولا يقتصر أبداً على ما يقرأه من النصوص المحررة"². من هذا التدقيق الذي قدّمه الأستاذ لا تستطيع الاستغناء عن الخطاب الشفوي، كونه يزخر بالعناصر اللسانية كالنبر والتنغيم اللذين يُعتبران روح الكلمة، أضف إلى ذلك لغة الجسد التي تُساعد في

¹. بن عائشة حسين، تداولية الخطاب التعليمي المنطوق بين المنهج والإجراء، كلية الأدب العربي والفنون، مجلة التعليمية، المجلد 5، العدد 14، ماي 2018، ص:140.

². عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية منشورات الجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، ج2، 2007، ص:176.

فكّ إبهام الخطاب، وتثبت المعلومة في ذهن المتلقي كالإيماءات إذ نجد أنه في "الخطاب الشفهي على الخصوص يكون اتجاه نظر المرسل هو الذي يُحدّد المخاطب بكيفية أولية، وبخاصة ذلك السلوك الذي يكون فعله حاسماً أكثر من استعمال الضمير (أنت)، بشكل لساني خالص"¹. ومن الأسئلة التي رسم الأستاذ حوارها عليها فهي متمثلة كالآتي:

- إلام يدعونا الكاتب في هذا النص؟
- كيف يجب أن نكون حسب الكاتب؟
- كيف يجب أن يكون حملة القرآن؟
- واجبات الإنسان نحو وطنه ودينه متعدّدة في النص، دُلّ على أربعة منها.
- ماذا يطلب الكاتب منّا في الفقرة الأخيرة؟
- *- عيون المتعلّمين موجّهة إلى السبورة، والأسئلة التي عرضها الأستاذ هي وسائل تُعين الأساتذة على معرفة مدى فهم المتعلّمين وتركيزهم، ومدى تحقيق الكفاءة المعرفية التي تتضمن ضرورة محاسبة النفس وأسس الدعوة وضرورة العمل على نشرها، وخاصة واجباتنا اتجاه وطننا، ومسألة الحفاظ على الوطن ورفع راتبه عاليا كانت تقتضي من المرسل إليه (المتعلمين) الإجابة عنها بجمل إنجازية وردت ضمناً، ركّز الأستاذ في توزيعها على سبع أسئلة يوضحها الجدول التالي:

¹. محمد نظيف، الحوار وخصائص، التفاعل التواصلي، دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية، المغرب، إفريقيا الشرق،

العبارات الضمنية		الإجابات المتوقعة	الأسئلة المطروحة
الوصفية	الإنجازية		
الدين الإسلامي لا يتحمّل زيغا ولا ضلالة. السلم ننصر دينه ونُبشّر بتعاليمه ونُصلح حال أمّته فما أحوجنا لمثل هذه الصفات !	فلنعمل قلبا وقالبا على أنّنا جنود	يدعوننا الكاتب في هذا النص إلى: -محاسبة أنفسنا قبل أن نحاسب غيرنا. -أشدّاء على أنفسنا حتى نستطيع الحفاظ على الميدان العظيم... إلخ.	إلام يدعوننا الكاتب في النص؟
يجب علينا أن نكون أقوى روحا، وأعظم همّة وأكثر تضحية.	فلنكن نحن دعاة وبناءة العلم والنظام.	أشدّاء على أنفسنا.	كيف يجب أن نكون حسب الكاتب؟
ديننا السّمح دين أعمال لا دين أقوال.	-ولتكن مثال الاستقامة الدينية. -علينا ألا نضيّعها.	العمل على نصرّة الدّين والتبشير بتعاليمه وإصلاح الأمة.	ماذا يطلب الكاتب منّا في الفقرة الأخيرة؟

1-2-الأفعال الكلامية في خطاب الواجب والتضحية من خلال الجدول :

*-الاستفهام:

يُقدّم الجدول أعلاه نماذج للقوّة الإنجازية للاستفهام في خطاب "الواجب والتضحية"، وهي المعاني التي رام المستفهم تحقيقها، ذلك أنّ المتكلّم بوساطة هذا الفعل الكلامي لم يكن محتاجاً إلى الإجابة لبدايتها، ولكنّه كان يرمي إلى أن يفرض على

مُخاطبه إجابة محدّدة يُمليها المقتضى الناشئ عن الاستفهام، وهي إقرار حقيقة واجباتنا اتجاه وطننا وضرورة المحافظة عليه.

نلتمس من خلال الجدول أنّ معظم الإجابات كانت تُخفي عبارات ضمنيّة وصفية وإنجازية، حيث بلغت العبارات الوصفية أربع جمل تتضمّن هي الأخرى خمس جمل إنجازية. إذ اشتملت على أربع جمل للأمر، وجملة واحدة للتعجب، وجملتين للنفي، وجملة واحدة للنهي يمثّلها الجدول الآتي:

القصديّة (الغرض الإنجازي)	القوّة الإنجازية	الفعل الكلامي
النصح والتوجيه. ينصح المواطنين بالتعاون من أجل إصلاح حال الأمة... ونشر العلم.	إيقاع الأمر	1- فلنعمل قلبا وقالبا. 2- ونصلح حال أمّته. 3- فلنكن نحن دعاة وبنّاء العلم... 4- ولنكن مثال الاستقامة .
الترجّي.	التعجب	فما أحوجنا لمثل هذه الصفات.
التحذير: يحذّر من ضياع أخلاقنا .	النهي	علينا ألا نضيّعها.
الابتعاد عن الضلالة، والهداية إلى الطريق المستقيم.	النفي	فالدين الإسلامي لا يتحمّل زيغا ولا ضلالة فديننا السمح دين أعمال لا أقوال.

ج- الإجراء التداولي في الخطاب التربوي: قمنا بإسقاط المنهج التداولي على المدونة وجدنا فيها:

1- الحوار التفاعلي في الخطاب التربوي:

يقوم الاتجاه الحواري حسب "نظرية" فرانسيس جاك "J. Francisse" الحوارية Dialogisme على دراسة الملفوظية، باعتبارها انخراطاً في المجتمع ودلالة ونشاطا ذاتيا متبادلا¹. ويظهر تركيز التداولية على المعلم والمتعلم (المخاطب والمخاطب) حيث أعطت لها قيمة تُعادل القيمة التي مُنحت للخطاب التداولي، ومن هذا المنطلق يكون الأستاذ والمتعلم عنصرين مهمين بالنسبة للخطاب التربوي، من حيث نوعيته ومضمونه، وينتج الخطاب الشفوي التربوي، خاصّة عن طريق الحوار التعليمي البناء بين طرفين على الأقل، ليُشكّل بذلك الفعل التواصلي (Communication interaction) الذي يُبنى عليه الخطاب التربوي. حيث تظهر قصدية الأنا "Intentionality of the" المسؤولة عن اختلاف اللغات الفردية وانبثاق المتلفظ "Theutterer" المؤسس للعلاقة الحوارية². التي تعتمد فيها على أساليب الإقناع والأدلة الثابتة بل يُعتمد إلى مشاركة المتعلم لبناء هذا الخطاب، وتُفيد هذه المشاركة الحوارية الخطاب بمحمولة جديدة تظهر من خلالها كلّ مكونات الحوار اللسانية وغير اللسانية والتي تتأسس على:

1-1- الحوار اللساني في الخطاب التربوي :

الحوار هو الذي يكون مبنيا أساسا على التداول الشفهي بالتناوب في الأدوار بين المتحدث والمستمع، إلا أنّ الخطاب التربوي التنظيمي عادة ما يكون الطرف الثاني

¹. جان سيرفوني، الملفوظية، (مرجع سابق)، ص: 23 .

². محمد نظيف، الحوار وخصائص، التفاعل التواصلي، دراسة تطبيقية من اللسانيات التداولية، ص: 10 .

(المتعلم) مشاركا سلبيا يكتفي بالإجابة القصيرة (نعم ، أو لا) وعادة ما يكون مستمعا فحسب، ومن النماذج التي نُوردها حول هذا الخطاب ما يلي:

- "انتبهوا سنتناول اليوم موضوعا مهمًا"، يجب أن تركزوا معي ولكن من يُذكرنا بالدرس الماضي؟ من يُوضِّح لنا هذه الفكرة؟ ... في حين نجد أنّ اللسانيين هم الذين ركّزوا في هذا المفهوم على أساس أنّ الوظيفة الأساسية للسان هي التواصل، وقائم على تبادل رسالة بين مرسل ومتلقٍ وفق شروط معيّنة.

ما يُلاحظ على هذا النموذج من الخطاب الشفوي التربوي هو قيامه على مُحدّث واحد هو الأستاذ، الذي يعمد إلى خلق انسجام في الرسالة العلمية، وتوفير الوسط الملائم لتمديد هذه الرسالة بعبارات تتخلّل الخطاب التربوي، انتبهوا ، استمعوا ، ركّزوا.

1-2-الحوار غير اللساني في الخطاب التربوي:

يزخر الخطاب التعليمي بعدّة أساليب إقناعية للمتعلّمين، منها القرائن الكلامية البصريّة كالإشارات والإيماءات والحركات الجسمية كأدوات غير لغوية في التواصل، سواء كانت مقصودة أم عفوية. فإنّها دائماً ترمي إلى إيصال رسالة، "فقد استعمل الإنسان الحركات الجسمية منذ القديم للتعبير عن أغراضه"¹. فالحركات في بعض الأحيان تكون أبلغ من الكلام نفسه، وقد صنّف الجاحظ الحركات والإشارات ضمن العناصر التبليغية غير المباشرة، وهو يعتبر الإشارة بالجوارح كاليد والحاجب مرفقا كبيرا

¹. جوزيف فندريس، اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، د.ط، 1950،

يُعين النَّاسَ في أمورٍ يحاولون سترها عن بعض¹. وأمَّا الكتابة فهي وسيلة للتمييز، ونقل المعرفة عبر الزمان والمكان ولولاها لاندثر العلم.

تبقى هذه الحركات تمتلك القدرة على الإخبار والإبلاغ والترميز والتأثير والوعد والتهديد والأمر والنهي والضحك والحزن والسؤال والصواب، ولكل واحد من هذه المعاني ضرب من هيئة اللحظ لا نقف على تحديدها إلا بالرؤية... فالإشارة: بمؤخر العين الواحدة نهي عن الأمر .

وإدامة نظرها دليل على التوجّع و الأسف.

وتفتيرها إعلام بالقبول .

وكسر نظرها آية الفرح.

والإشارة إلى إطباقها دليل على التهديد.

وقلب الحدقة إلى جهة ما تمّ صرفها بسرعة تنبيه على مشار إليه.

والإشارة الخفية بمؤخر العينين كليهما سؤال.

وقلب الحدقة من وسط العين إلى المؤق². طغى هذا النوع من الحركات على الخطابات

الشفوية التواصلية التي تستعملها كوسيلة تعبيرية تختزل لغة اللسان، ولعلّ ظهورها في

الخطاب التربوي ليس إلا وليد الحاجة الملحة التي تفرض على الأستاذ استعمالها لأغراض

تربوية منها:

¹. نصيرة كتاب، تداوليات الخطاب الجامعي لقسم اللغة العربية، تيزي وزو-أنموذجاً-، مذكرة ماجستير، ص: 73.

². بن حزم الأندلسي، طوق الحمامة في الألفة والألاف، تح: إحسان عباس. لبنان، المؤسسة العمومية للنشر، ط3، 1987

بتصرف ص:136.

إخبارية: إشارة باليد إلى الحركات مثال ذلك: إذ أقول : جاء الذي إنتظرتة، كلّمت الذي إنتظرتة، إذا فقد حافظت على نفس الوظائف الإعرابية لكلمة الطالب، وبقيت بنفس صورتها الإعرابية التهكّم والسخرية: مثل هزّ الرأس بشكل دائري + أغمض العيون + الحديث باللّغة العاميّة.

إنّ لغة الحركات هي لغة جسدية تعتمد على اللّغة اللّسانية، إمّا دعامة للملفوظ أو تعزيزاً له أو اختزالاً مباشراً لمحتواه، وهو يكون محض اختيار فئات معيّنة تعتمد العمادات الشكلية للتواصل (لغة، حركة، إيماءة...¹). فاعتماد الأستاذ للحركات كعمادات دافعة، تُساعد في تسهيل عملية الفهم وتثبيت الفكرة، وتضمن التفاعل التواصل بين المعلّم والمتعلّم. ومن الحركات التي اعتمدها الأستاذ في خطابه الشفوي والتي رصدناها في الحوار التربوي القائم بينه وبين المتعلّمين أثناء العملية التعليمية ما يُوضّحه الجدول الآتي :

التواصل غير اللفظي	المدلولات العلميّة
- الابتسامة .	- الارتياح أو الرضا أو الموافقة
- قضم الشفاه.	- العصبية أو الغضب أو الضيق.
- رفع الحواجب.	- الدهشة أو عدم التصديق.
- رفع الحواجب مع ابتسامة مصطنعة .	- التهكّم و السخرية.
- تضيق العين .	- عدم الموافقة أو الشعور السلبي.
	- المتابعة أو الإنصات أو التأثير.

¹. نصيرة كتاب، تداوليات الخطاب، (مرجع سابق)، ص: 75.

- الإيماءات للأعلى.	- الاهتمام أو العناية.
- الانحناء للأمام .	- القلق أو السأم أو التعب.
- الحركة الكثيرة في الحصّة على الكرسي .	- الثقة بالنفس.
- الاستقامة والاعتدال في الحصّة.	- الإنصات.
- تركيز العين في عين الطرف الآخر.	- الطمأنينة أو التشجيع .
- الربت على الكتف.	

وضع " جرايس " Grice مبدأ مهمّ يحكم قواعد الحوار، ويُحقّق انسجام الخطاب التفاعلي بين اثنين أو أكثر، وهو مبدأ التعاون، إلاّ أنّه حسب ما رصدناه في الخطاب الشفوي للأستاذ، نجد أنّ هذا الخطاب يتعد عن هذه المعايير - معايير مبدأ التعاون - وإن يلتزم بها في بعض الأحيان بطريقة عفوية حيث نجد معيار الكمّ يسقط ذلك لعدم تقيّد الأستاذ بالقدر المطلوب الذي يحتاجه الموضوع (نص الواجب والتضحية) من كمّ في المعلومات، وهذا راجع لعدّة أسباب منها: الخروج عن الموضوع، أو ارتكازه على الخطاب المكتوب كتعويض عن الكمّ المطلوب.

أمّا مبدأ الكيف الذي يتعلّق بنوعية المعلومات التي تلقاها المتعلّم من قبل الأستاذ فإنّ في الغالب ما تكون معلوماته صحيحة وسليمة لاعتماده على توثيق المصدر.

أمّا مبدأ المناسبة المتعلّق بمناسبة الحوار أو الخطاب للموضوع، فكثيرا ما يخرج الأستاذ عن هذا المعيار لخروجه في بعض الأحيان بطريقة عفوية عن الموضوع على

حساب المتعلمين الذين قد ينشغل ذهنهم بالموضوع الدخيل على موضوع درسهم الذي هو أهمّ معيار في بناء الخطاب التربوي، فنجد الأساتذة يختلفون فيه حسب طبيعة تجربة الأستاذ في التعليم، فإذا كان هناك أسئلة كثيرة فإنّ ذلك دليل على وجود الغموض، وأنّ الطريقة التي عُرض بها يشوبها الخلل، وهذا ما يحصل مع الأساتذة حديثي العهد بالتعليم لقلّة تجربتهم .

2-الأفعال الكلامية في الخطاب التربوي:

يُعدّ الفعل الكلامي نظاماً شكلياً يحمل المستمع إلى إنجاز عمل ما، وذلك بالتأثير فيه، والخطاب التربوي -جلّه- أقوال تقريرية ووصفية وإنجازية في نفس الوقت، لأنّه يصطبغ بصبغة علمية، وسنقوم بتحليلها وفق ما جاء في الخطاب التربوي (الواجب والتضحية).

الصورة الأولى:

طرح الأستاذ جملة من الأسئلة على غرار الأسئلة التي طرحها سابقاً، كان يهدف من ورائها إلى تحقيق وظيفة معينة سواء كانت داخلية أم خارجية "والوظيفة لسانياً هي الدور الذي تُؤدّيه الوحدة اللسانية (...). في البنية التركيبية للملفوظ، ويُعدّ كلّ عنصر من الجملة مُشاركاً في معناها العام"¹. اعتمدت وظيفة الخطاب التربوي التواصلية على جمل إخبارية أخرى مباشرة، وأخرى ضمنية يقتضيتها المقام، تمثّلت في خمس أسئلة هي:

1- ماذا تلاحظون في الصورة ؟

¹. بن عائشة حسين، تداولية الخطاب التعليمي، ص: 141.

2- كيف يجب أن نحمي وطننا من خلال الصورة؟ إلى أين يطلب الكاتب منا العودة؟

3- ما هي التضحية التي قدّمها المواطن اتجاه وطنه؟

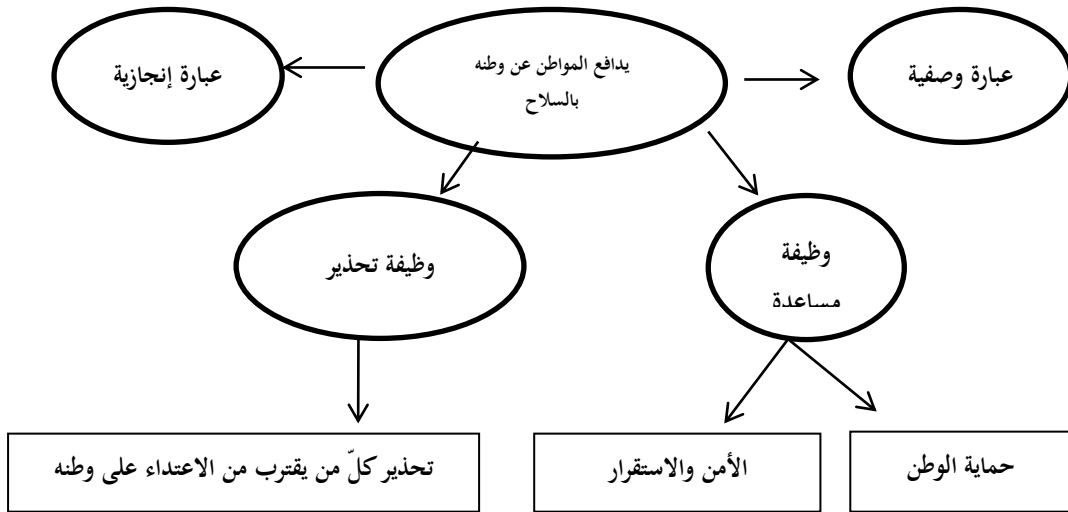
4- هل التزم المواطن بالحفاظ على الأمانة من خلال الصورة؟

5- ما ميزات الذين جاءوا ديارنا؟

نلاحظ أنّ الإجابات كلّها ذات وظيفة تواصلية، ووظائف تداولية ارتكزت على وظيفتين: البؤرة والمحور، فالكلمات التي شكّلت المحور في المجال التواصلية بين المعلم والمتعلم تمثلت في: (المواطن، الواجب، التضحية) فالمواطن يدلّنا في الإجابة الأولى على ذلك الشاب الغيور على وطنه، والدلالة على الحرص أنّ حامل راية القرآن والدين أديا وظيفة مساعد، حيث ساعدانه في نشر تعاليم الدين السمحة، وزرع روح المحبة في نفوس المواطنين، فالإجابة التي قدّمها أحد المتعلمين إلى المعلم عندما سألهم: كيف يجب أن يحمي المواطن وطنه؟ فكانت إجابة المتلقي (المتعلم) كما يلي: يُدافع المواطن عن وطنه بالسلاح. فالمحور هنا (المواطن) والمقصود بالمحور هو: "ما تستند وظيفته إلى المكوّن الدال على ما يشكّل المحدث عنه داخل الجمل"¹. ومن البؤرة (الواجب اتجاه الوطن) والبؤرة هي ما "تستند وظيفتها إلى المكوّن الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو الأكثر بروزا في الجملة"². وفي هذه الحالة اصطحب المواطن مثال الواجب اتجاه الوطن ممّا أدى بهذه العبارة إلى أن تحمل وظيفتين يُمثّلها الشكل الآتي:

¹. بن عائشة حسين، (مرجع سابق) .

². بن عائشة حسين، تداولية الخطاب التعليمي، ص: 141.



أما بالنسبة للسؤال الثاني، فنجد الأستاذ قد وظّف الأداة "أين" والتي تحمل وظيفة البؤرة وهي دلالة على الاهتمام بالمكان (الوطن) حيث تحمل دلالة قصدية، لذا كانت إجابة المرسل إليه على النحو التالي : (يطلب الكاتب منّا العودة إلى الوطن) ثمّ يتبعه المرسل (المعلم) بسؤال آخر ولماذا الوطن بالذات ؟ وليس أيّ مكان آخر؟ فكانت الإجابات متعدّدة تحمل عبارات موحية هي :

- 1- الوطن المكان الذي ترعرعنا فيه.
- 2- الوطن ضحّي من أجله مليون ونصف مليون شهيد.
- 3- الوطن مكان أجدادنا .

رقم المثال	القصدية
01	الوطن المكان الذي نعيش فيه.
02	حذارٍ من المساس بالوطن .
03	يجب علينا أن نكون أشدّاء على أنفسنا حتى نتمكن من الحفاظ على هذا الميراث الغالي والعظيم. علينا أن نصر دينه، ونبشّر بتعاليمه، ونُصلح حال أمّته، علينا أن نُحافظ على الوطن .

3- الأساليب الحجاجية في الخطاب التربوي من خلال الأمثلة:

يسعى الأستاذ أن يكون خطابه مفهوما، ممّا يتوجّب عليه دائما التلاؤم مع مستمعيه حتى ينال القبول، ويرسم لنفسه منطلقا حجاجيا أو ضرورة حجاجية في إتيان الوقائع العلمية، فالأستاذ يبني حجّته على مُسلمات المتلقي، فإنّ " بيرلمان وتيتكا" قام بتخليص الحجاج من صرامة الاستدلال، الذي يجعل المخاطب يكون في وضعية خضوع واستلاب، فالحجاج عندهما حرّية ومعقولية، وهو حوار من أجل الحصول على الوفاق بين الأطراف المتحاورة ، فالحوار من أجل الوصول إلى الاقتناع " Conviction" دون حمل الإقناع " Persuasion" * ومن النماذج التي يمكن التمثّل بها، الإجابات المتعدّدة

*. عبد الله صولة الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج الخطابية الجديدة لبرلمان وتيتكا، مجلّد أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانيّة، تونس، إشراق حود حمود، ص: 298.

للمتعلمين التي تحمل في طياتها الحجاج والإقناع، وتُعبّر عن أفعال إنجازية في كل من المثالين الثاني والثالث .

فالمثال الثاني: يحمل عبارة إنجازية تدلّ على الطلب من المواطن الصالح نصره الدين، ونشر تعاليمه السمّحة، والإصلاح بين الناس بحجة تحقيق إصلاح حال الأمة، والمثال الثالث عبارة إنجازية ذات فعل قولي يُفيد الطلب أيضا بحجة الحفاظ على الوطن.

فإذا تأملنا العبارة القصدية (الوطن المكان الذي ترعرعنا فيه) فمعنى ذلك إذن أنّ الوطن بمثابة المنزل الذي نشأنا فيه، فلا يجب المساس به (والسؤال (لماذا؟) هو الكفيل بتقديم الحجّة المتمثلة في (لا يجب المساس بالوطن لأنه البيت الثاني) ومن هنا يمكن القول أنّ المرسل استطاع أن يُقنع بسلطته الخطابية أنّ الوطن هو العائلة، وبالتالي فالإقناع هو " إحداهت تغيير في الموقف الفكري والعاطفي"¹. وإنّ غاية الحجاج هو إخضاع المخاطب للتسليم بالمعلومة التي يتضمّننها الخطاب أو بمعنى آخر هو جعل العقول تُدعن ما يُطرح عليها، وأنجع الحجاج هو ما وُقّق صاحبه في جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين، وذلك باستعمال الدلالات الحجاجية، وهي عناصر لغوية تُساعد في توجيه المعنى، وفي تشابك عناصر النص والترابط بين مكّونات الجملة، وتحقيق المعنى ودلالة النصّ المحتواة فيه، ومن ضمن هذه العناصر الحجاجية .

3-1-الأفعال الحجاجية:

تضمّن البعد التلفظي بعض الروابط عن طريق ضمائها، وتحقيق التجانس التداولي للجملة أو القول، وتمثّل في ما يكون داخل القول الواحد من عناصر تدخل على الإسناد مثل: الحصر، والنفي، والظروف مثل: منذ تقريبا، على الأقل، لأنّ، الفاء

¹. بن عائشة حسين، تداولية الخطاب التعليمي، ص: 142 .

السببية... وهي أساليب حجاجية يزخر بها الخطاب التعليمي على نحو ما تُوضّحه النماذج الخطابية الآتية:

- ناقش المفتش الدرس مع الأستاذ، فكانت النتيجة: تقريباً كل المتعلمين فهموا الدرس.

- ردّ الأستاذ: يكون الأمر منطقيًا على الأقلّ لأنّ الدرس بسيط.

فقيمة الكلمة لا تتحدّد تماماً حينما تتلفّظ بها، بل ينبغي مقابلتها بقيم مماثلة أي كلمات أخرى مخالفة لها. وهو هدف واضح إذا رجعنا إلى ترجمة مستشرق " كزمرسك " الذي عاش في منتصف القرن التاسع عشر فمن أجل التواصل لابدّ من قرينة أقدم لكم الخطاب.

مما تُضيفه هذه الأفعال الحجاجية على مضمون الخطاب التربوي، هو تقوية الخطاب وتأكيد وقائعه العلميّة، قصد تحقيق أكثر فاعليّة في ذهن المتلقّين .

3-2- الروابط الحجاجية:

تلعب دوراً مهماً في الانسجام والاتّساق الشامل للخطاب من ناحية، ومن ناحية أخرى تسمح بتدرّج وتسلسل القضايا ، فهي إذاً تكتسي بعداً نصيّاً¹، وتتمثّل في بعض العناصر اللغوية مثل: أدوات الاستئناف الواو، الفاء، لكن، إذا... ومن النماذج التي يمكن أن تُوضّح لنا هذا النوع من الروابط الحجاجية المدونة الخطابية الآتية:

- الخطاب الشفوي:

* الواجب لا يتغيّر، ولا يتغيّر بتغيّر النفوس.

¹. نصيرة كتاب، تداوليات الخطاب، (مرجع سابق)، ص: 96 .

* فالوطن يبقى البيت الأكبر الذي نعيش فيه .

* لكن هناك نفوس تُحاول دائما زرع الشر فينا .

* إذاً لا بدّ أن تُميّز بين الخير والشرّ، بين الواجب والتضحية.

– الخطاب المكتوب:

* يجب علينا أن نتعلّم محاسبة أنفسنا قبل أن نحاسب غيرنا.

* إنّ الذين جاءوا ديارنا هذه لم يكونوا أكثر منّا مالاّ و ولدا إنّما كانوا أكثر منّا علماً ونظاماً.

* فلنكن نحن دُعاة وبنّاء العلم والنظام.

ساهمت هذه الألفاظ الحجاجيّة في تحقيق اتساقية وترابط أجزاء الخطاب، حيث يعتمدها الأستاذ سواء في خطاباتهِ التربوية الشفوية أو خطاباتهِ التربوية المكتوبة، في ربط أجزاء الخطاب من أوّله إلى آخره ممّا يُساعد المتعلّم على فهم المضمون الكلّي للخطاب، انتقالاً من الجزء إلى الكلّ ومن السابق إلى اللاحق.

3-3- أصناف الخطاب:

3-3-1- الخطاب التوجيهي: يختصّ هذا النوع من الخطاب برصد الأفعال اللغوية الدالّة على المخاطب بالاستدلال، والمتكلّم يقدّم فقط قصده في بناء حُججه، وتنظيم خطابه ويكون الخطاب التوجيهي حاضرا بشكل واسع في الخطابات الشفهية لأنّه يكون أمام متلقّ معيّن، ولا يظهر بشكل واسع في الخطابات المكتوبة، فهذا الخطاب المسجّل على الدفاتر يكون كمرجع يعود إليه في وقت الحاجة كالاختبارات، وهذه من الملفوظات في الخطاب الشفوي للخطاب التوجيهي، ونوردُ بعض الصيغ التعبيرية التي جاءت بصيغتي التوجيهية الإثباتية، كما اعتمدنا صيغة الربط السببي (نظرا... ونظرا... فقد)

* / قال الأستاذ للمتعلمين: الوطنُ إذا نظرت إليه تجده في هذا السياق مرفوع بالفعل؛ لأنّ العامل فيها هو الفعل، إذا هذا بالنظر إلى الأصل ... نحن نظرنا لا تنظر إلى ... وإمّا نظر إلى ...

وقد قسم "بيرلمان وتيتكا" الخطاب التوجيهي إلى أربعة صيغ: إثباتية، إلزامية، واستفهامية، وصيغ التمني ذات الدور المهمّ على تعديل الحقيقة واليقين وتقديم بعض النماذج:

3-3-1-1-3-صيغ الإثبات: تتمثل في:

الوطن جزءٌ لا يتجزأ، فهو مجموعة من الأسر المترابطة فيما بينها، إذا فالأسرة مجموعة من الأشخاص المترابطة فيما بينها، وعليه فالنصّ يكون كتابيا، بينما الخطاب هو نصّ شفوي، وفيه الكلام المضمّر الخفي وراء النص، والذي يفهم من سياق الكلام، إذا هناك خطاب لغوي وغير لغوي.

تتضمّن هذه النتائج الخطابية الصيغ الإثباتية في تأكيد قواعد معرفية حول طبيعة الظواهر العلميّة، فتحمل تأكيدات علميّة صادقة للقضية المطروحة بمسلمات ملموسة، وأدلة منطقية تحتكم إلى البرهان العلمي مثل: (الأسرة مجموعة من الأشخاص، النص الشفوي ...).

3-3-1-2-3-صيغ إلزامية: تتمثل في:

طلب الأستاذ من المتعلم قراءة التلخيص فيقول: اقرأ التلخيص، فالاعتماد يكون على الإلقاء .

- حلّ وشرح وعلّق، مفهوم، لا تُضَيِّع الوقت، نشرع في الكتابة.

تُستعمل هذه الصيغ الإلزامية في التحفيز والترغيب وشرح مهنة التعلّم ويكون الهدف منها غرس روح الإبداع بتكليفه ببحوث، تزيين القسم، والغاية منها اكتشاف قدراته العلميّة.

3-3-1-3-3-3 صيغ استفهامية تتمثل في:

- صح أم لا ؟ هل هناك شيء غير مفهوم؟ هل نفهم أنّ الوطن هو الأسرة ؟ هل أتضحّت المعلومة؟

يُستعمل الأستاذ هذه الصيغ الاستفهامية لإشراك المتعلّمين في نتيجة علميّة والتسليم بها، أي جعل كلّ أطراف الحوار يؤمنون بنفس النتيجة من باب التسليم كما يُستعملها قصد الوصول إلى غاية التعلّم، وبذلك يستطيع الحكم على مستوى المتعلّمين كما يقوم الاستفهام على تنشيط القسم والوقوف عند كلّ صغيرة وكبيرة للمادّة العلميّة المطروحة.

3-3-1-3-3-4 صيغ التمنيّ: يقول الأستاذ للمتعلّمين بعد سماعه خطاباتهم حول "الواجب والتضحية":

- أيمكننا الشرح على السبورة واستعمال أمثلة؟

- المتعلّم يسأل عن كيفية التعبير عن حبّ الوطن إذن تنتظر الإجابة.

- من يُذكرنا مثلا ببعض مزايا التضحية؟

تُستعمل صيغ التمنيّ بُغية التماس منها هدف مُعيّن يروم من خلالها إشراك المتعلّمين في تقديم الدرس، أين يُحيّ فيهم روح العمل وبناء علاقة علميّة تُعطي الثّقة للمتعلّم بالدرجة الأولى في السماح له في تقديم الدرس (أيمكننا)، وهذه الصيغ قائمة على الذات المتحدّثة .

3-3-2-الخطاب التقويمي:

نلتمس هذا النوع من الخطاب في الخطاب التربوي بخاصة في الخطابات الشفهية (حصة فهم المنطوق وإنتاجه)، فهذا الخطاب تكثر فيه دوران العبارات الجدلية على لسان الأستاذ مثل (إن قلت ... قلنا) (ما هو إلا كذا وكذا)، (وكيف لا يكون كذلك مع أنه كذا وكذا)¹. لقد وجدنا طُغيان مقولات قال، فقلت، إذ قلت، يقول... نستخرج بعض النماذج من المدونة الخطابية .

الخطاب الشفهي: قال الأستاذ للمتعلّمين: قلنا أنّ الوطن هو الأسرة ... فمن هنا قلنا
*من يلخص لي النص؟

*فإن قيل الواجب هو صيانة الوطن فما التوضيحية؟

*لا تقولي إه وأقول لك قولي نعم ...

تُستعمل هذه الصيغ التقويميّة في الخطاب التربوي الشفوي، على غرار الخطاب المكتوب لأنّ المتحدّث (أ) حامل المادّة العلميّة، تكثر في تعابيره ملفوظات تُوحي إلى ذات المتكلّم بصيغة الجمع (قلنا أنّ) التي يهدف من خلالها تأكيد للرسالة العلميّة المقدّمة وربط الدرس السابق باللاحق في سلسلة كلاميّة مُشكّلة بصيغة الماضي (قلنا)، وفي تعديل سلوكات المتعلّمين وتقويمها في قول الأستاذ (قولي نعم وليس إه) وهي وسائل تُساعد في تمرير الرّسالة العلميّة التربوية، وضبط المعارف، وتعديلها، فنشأ بطريقة عفوية تتضمّن فيها أساليب الإقناع والتقويم.

¹. طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوّن العقلي، ص: 304.

الصورة الثانية:

أثناء عرض الصورة الثانية واجه المعلم المتعلم ببعض الأسئلة التي يمثلها الجدول التالي :

إجابة المتعلم	الأسئلة الموجهة
- أشاهد مواطن يضمّ يديه بقوة رافعا إيّاها إلى الأعلى. - تدلّ على الاتحاد والتعاون. - كان يتكلّم طالبا أن نكون يدا واحدة. أدعوكم لنصرتي. - تكاد تزول القيم والأخلاق فلنتعاون على إرجاعها .	- ماذا تشاهدون في الصورة ؟ - على ماذا تدلّ هذه العلامة ؟ - لماذا كان يتكلّم بأعلى صوت؟ - ماذا قال للمواطنين ؟

ما هو ملاحظ على هذا الملفوظ - الجمل الاستفهامية - أنه جاء في

عبارة بسيطة تداخلت فيها الأفعال الكلامية ما بين أفعال إنجازية صريحة يُراد بها جملاً خبرية في السؤال الأول، وأفعال إنجازية غير صريحة (غير مباشرة) .

نجد في السؤال الثاني الفعل الإنجازي فيه ورد صريحا مرّكباً من شطرين، الشطر

الأول يطلب فيه من المتلقي تحقيق الهدف المنشود وهو(التعاون والتضامن) والشطر الثاني

فيه يحمل أساليب إقناعية صريحة لأنّ المرسل يُحاول التأثير في المتلقي، وحمله على تصديق

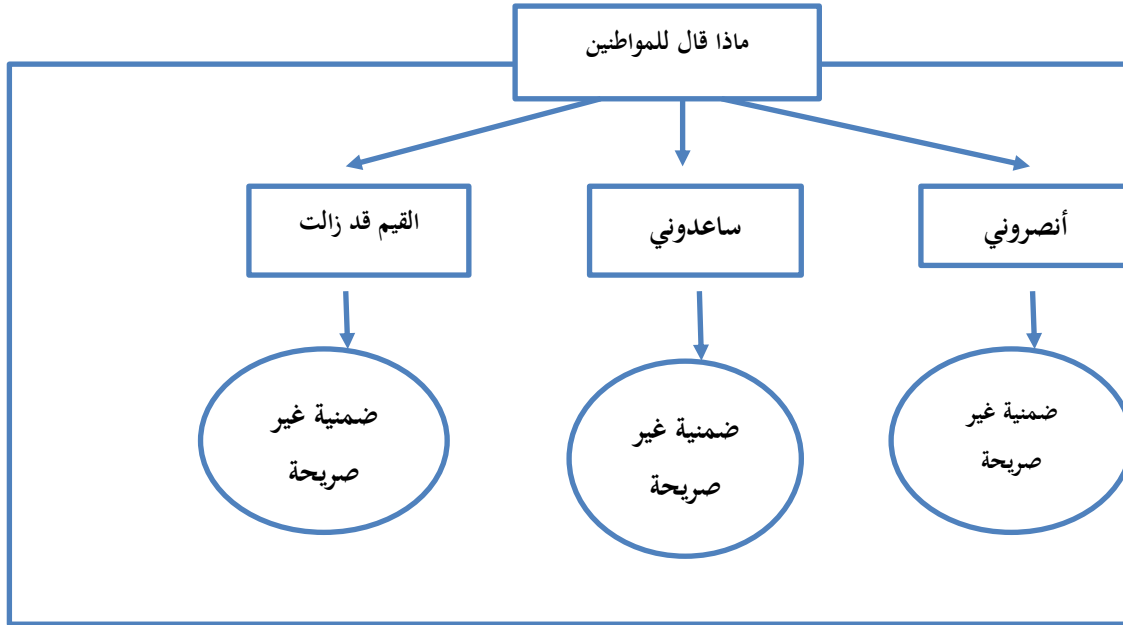
الفكرة في أنّ محاولة الإنسان وسعيه لتحقيق الأخوة والتعاون بين الناس لا تقاس

بالأعمار، وإنّما بمدى قدرته (تكاد تزول القيم ...) .

أمّا الثالث فهو فعل إنجازي غير مباشر ورد ضمنياً بلفظ (أنصروني) قصد

إقناع المتلقي بما حدث، أين يريد من المتلقي أن تكون إجابته إقناعية، وطريقة تضمين

الإقناع هي الأخرى وردت بعبارات إنجازية مباشرة وغير مباشرة على الشكل الموضّح أدناه :



عبر هذا الشكل التقريري نُدرِك " أنّ كلّ خطاب حجاجي تُبرز فيه مكانة القصدية والتأثير والفعاليّة... وهكذا ينتمي القول أو النصّ الحجاجي إلى مجال التداوليات المتشعب ... وبغض النظر عن تداخل اختصاصات المقاربة التداولية"¹.

بناءً على ما تقدّم نستنتج أنّ طلب النُصرة والتعاون والاتّحاد والإخبار بزوال القيم والأخلاق كلّها عبارة عن حُجج مقنعة يتوخّى منها المواطن التسريع من أجل الحفاظ على ما تبقى من مكارم الأخلاق.

¹. أمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي - دراسة تداولية - الدار المتوسطة للنشر، تونس، 2016.1437، ص: 129 . عن بن عائشة حسين، تداولية الخطاب التعليمي، ص: 143 .

الصورة الثالثة:

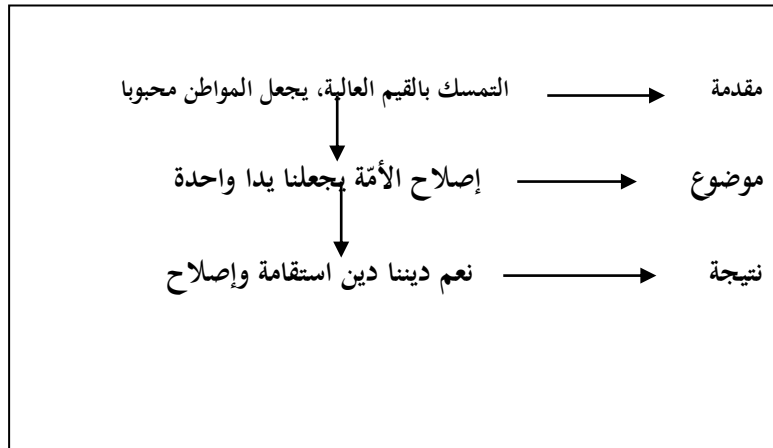
ما هو معلوم لدينا أنّ للاستفهام أدوات عديدة، وأنّ دلالاتها تختلف من أداة إلى أخرى، وقد استعمل الأستاذ جملة من الاستفهامات التي من شأنها أن تُؤدّي الغرض الإنجازي الذي يهدف إليه، شكّلت هي الأخرى أفعالاً ذات بعدٍ تداوليٍّ للغة ضمن سياق النصّ والصورة المرئية تمثّلت فيما يلي :

- لم على المواطن أن يتمسك بالقيم العالية؟
- لماذا على المواطن أن يُشرك الجميع في إعادة إصلاح الأمة؟
- نلاحظ أنّ المرسل استعمل فعل الاستفهام في كلا الملفوظين الإنجازيين، الأوّل حقّقته الأداة (لم) والثاني تحقّق ب (لماذا؟) وأداة التقييم (؟) وكأنّ بالمرسل لا يريد بهما تعليلاً أو إجابةً شارحةً، فقد خرج الاستفهام عن المعنى الحرفي المباشر الذي وضع له إلى غرض الاستفسار، ممّا يجعل هذه العبارة تُخفي في طياتها إجابات ضمنيّة منها :
- التمسك بالقيم العالية؛ يجعل المواطن محبوباً في نظر الجميع.
- من أجل النهوض، إصلاح الأمة يجعلنا يداً واحدة.
- لأنّ ديننا دين استقامة، دين إصلاح ...

فالمرسل مُستغرب من تصرفاتنا كوننا مضطرين إلى تقبّل واقع هشّ التي من شأنها أن تُخلّ بتوازن الأمة، فالتضمنيات التي تخفيها جملة المتلقّي تُعبّر عن ثلاثة جمل وصفية وردت في مقام الإخبار. في حين نجد أنّ العبارة الأخيرة تضمّنت فعلاً قولياً غير صريح يحمل قوّة إنجازية تمثّلت في العبارة الضمنية: سنكون يداً واحدة لأنّ الله مع يد الجماعة، نطيعك طاعة أيّها المواطن الصالح بأننا سننشر تعاليم الدّين.

فالقوة الإنجازية للفعل تمثلت في الاستجابة والقيام بالفعل قصد توجيه ودعوة الناس إلى العمل كيدٍ واحدةٍ لنشر الإصلاح. وعليه ففعل القول (الاستفهام) والفعل المتضمّن في القول (الاستجابة) أمّا الفعل الناتج عن القول فهو التأثير في المتلقي وتوجيهه، بينما الجمل الثلاثة الأخرى تحوّلت إلى جمل وصفية تُعبّر عن مساندة المواطنين وتلبيتهم للدعوة، أين نجد المتلقي يُقدّم حجّة غير لسانيّة "هي العناصر غير اللسانية المشاركة في التعبير، والتي لها علاقة مع محل الجملة الذي هو التّواة"¹.

في حين نجد الجملة الواردة في قول المرسل إليه " التمسك بالقيم العالية يجعل المواطن محبوبا في نظر الجميع "مقدمة للحجّة يليها موضوع إصلاح الأمة الذي تمثّل في الجملة الثانية، ثمّ النتيجة وهي العبارة الأخيرة، نعم صدق المواطن الصالح" ، وبالتالي نصبح أمام مخطط ذات مقولات منهجيّة ضبطها المتلقي بإحكام.



¹. George, Mohin , dictionnaire de l'linguistique , p : 40

الصورة الرابعة:

أكد المرسل في الصورة الرابعة على سؤالين وهما:

- هل تؤمن أنت بزوال القيم؟ لماذا؟

إنّ المنشئ لهذا المنطوق الإنجازي يُريد معرفة حقيقة خفيّة؛ أي إجابة سؤاله بنعم أو لا، وهذا هو المعنى الأصلي للاستفهام بـ "هل"، أي أنّ استفهامه لم يخرج عن أصل استعماله، وبالتالي فخطابه جاء موافقا لمقصوده، ولم يخرج إلى أغراض أخرى. ومن ثمّ كانت إجابة المرسل إليه بتكرار المنفي في الملفوظ الأوّل، واستعمال التوكيد في الملفوظ الثاني على النحو التالي:

1- لا، لا تؤمن بزوال القيم .

2- لم يؤمنوا به لأنّ القيم لا تزول (قول غير صادق) .

نُلاحظ من خلال الإجابتين أنّ عملية التشكيك تظهر من خلال تكرار نفي الصّدق، بالإضافة إلى استخدام التأكيد بواسطة الأداة (لأنّ)، حيث يُمكننا القول أنّ تشكيك المواطن في زوال القيم الذي تضمّنه الحوار كان بالفعل اللّساني المرتكز على النفي الذي يُفيد التأكيد تلميحاً وتصريحاً بواسطة الأداة (لأنّ)، فالحجّة بواسطة التلميح أقوى من التصريح، وذلك ما يؤكّد عليه السكاكي في قوله: "واعلم أنّ البلاغة وأصحاب الصياغة للمعاني مطبقون على أنّ المجاز أبلغ من الحقيقة، وأنّ الاستعارة أقوى من التصريح بالتشبيه، وأنّ الكتابة أوقع من الإفصاح بالذكر، والسبب في أنّ المجاز أبلغ من الحقيقة...¹". وهذا ما تجسّد في الصورة الرابعة.

¹. السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 225. 226.

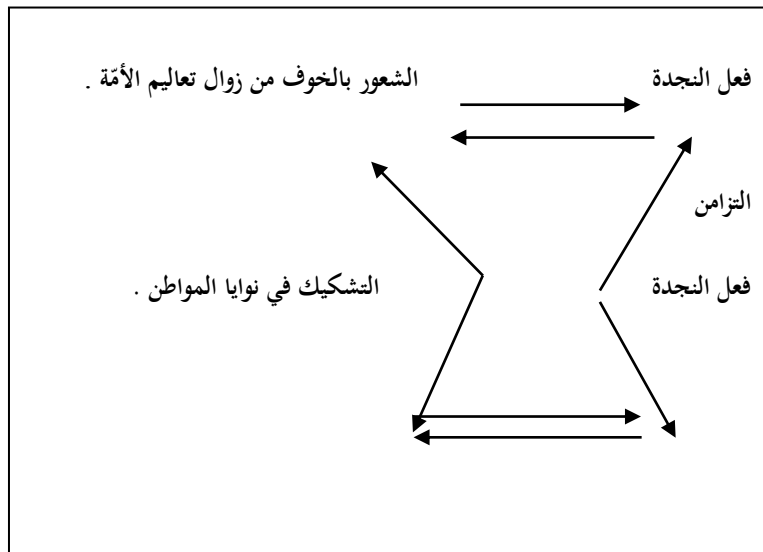
الصورة الخامسة:

الملاحظ أنّ المرسل استعمل جملة من الاستفهامات الصريحة التي من شأنها أن تُؤدّي الغرض الإنجازي الذي سعى إليه، حيث نجده استعمل في الملفوظ الأول أداة الاستفهام (ماذا) نحو قوله: ماذا تلاحظون في الصورة ؟ فكانت إجابة المرسل إليه: " أرى كُتلة من المسلمين مجتمعين ". والقصدية من وراء ذلك أنّها تستدعي جملتين هما :

1- استغراب المواطن من كلام الناس .

2- تأسّف المواطن على حالة الناس.

من هذا المنطلق نحن أمام فعل استلزامي تأثيري نتيجة لتوقّره على قوّة إنجازية، استلزمت قيام المواطن بالفعل، والذي قام من خلاله بإخبار الناس بزوال تعاليم الأمة الإسلامية، ممّا أدّى بهم إلى الخوف من وقوع الكارثة. والفعل التأثيري يتميّز بقوة إنجازية " تفترض تزامنا ما بين موضوع الملفوظية والمتلقّظ " ¹. فالتزامن يتشكّل بين فعل النجدة، والشعور بالخوف من الشك من جهة أخرى. كما هو موضّح في الشكل الآتي:



¹ . بن عائشة حسين: تداولية الخطاب التعليمي، ص: 145 .

جسد الأستاذ (المتكلم) الفعل الإنجازي الثاني في الصورة الخامسة من خلال

السؤال الموجه إلى المخاطب كالاتي :

- إلى ماذا ترمز التوضيح في الصورة؟

- ماذا يريد أن يقول الكاتب ؟

كانت الإجابة كما هو موضّح في الجدول :

الأجوبة المسموعة (المخاطب)	الأسئلة الموجهة (المتكلم)
<p>✓ ترمز إلى حبّ الوطن .</p> <p>✓ يريد أن يقول الكاتب عليكم بالواجب اتّجاه وطنك الحبيب.</p>	<p>✓ إلى ماذا ترمز التوضيح في الصورة ؟</p> <p>✓ ماذا يريد أن يقول الكاتب؟</p>

إنّ المتأمل لهذا المنطوق الكلامي يُلاحظ ذلك التداخل بين فعل إنجازي صريح تزامن مع القوة الإنجازية بالفعل، وهي التوضيح من أجل الوطن وبالتالي نحن أمام حوار ينتابه التناوب بين المرسل والمرسل إليه، والذي زاد من عملية تفعيله، وفي "هذه الحال بالذات يخضع كلّ من المشاركين إلى نظام الحقوق والواجبات، هذه الصيغة التخاطبية تُلخّص نظام التناوب في الأدوار الكلامية وتسمح بملاحظة ميدانين في هذا النظام"¹.

أ- يجب أن تكون الوظيفة الكلامية باستمرار في حالة عمل ونشاط.

¹.K. Orecshioni , les interactions verbales Armond colinédition, paris 1990,

عن بن عائشة حسين، تداولية الخطاب ، ص: 146. 160.

ب- زمن المحادثة مشغول باستمرار، بمعنى أنّ الحوار لا يتوقّف.

وعدم توقف الحوار جعل المرسل والمرسل إليه يُدركان من خلاله قيمة الوطن وكيفية التضحية من أجله، وغرس روح النضال في نفوس أولادنا.

النهي: ورد النهي في الخطاب المنطوق من خلال قول الأستاذ لمعلميه:

*علينا ألا نضيّع القيم العظيمة.

إنّ المنشئ لهذا المنطوق استعمل الفعل الإنجازي النهي المحقّق بأداة النهي " لا " والفعل المضارع " نضيّع " إلا أنّ النهي هنا خرج في غير طلب الكفّ أو الترك إلى معنى مجازي غير مباشر وهو الطلب، فقد استعمل المخاطب على سبيل التطوّع (لا نضيّع) بغرض الطلب أو الالتماس.

فالمخاطب هنا يطلب من المتعلّمين الحفاظ على القيم، وعدم تلاشيها فهم جيل المستقبل، وعليه فالجملة اللغوية مُكونة من فعل النهي الذي يُمثّل المعنى الحرفي، وفعل الطلب الذي يُمثّل المعنى المستلزم غير الحرفي وهذا ما اصطُح عليه "غرايس" بتسمية هذه الظاهرة بظاهرة الاستلزام الحوارية، فالقوّة الإنجازية في الأوّل تكون شديدة أمّا في الفعل الثاني فتكون ضعيفة، ففي تداوليّة الأفعال الكلاميّة يرى " أوستين " Austine " أنّ قوّة المنطوق الإنجازية تحقّق لمقصد المتكلّم تحقيقاً ناجحاً¹. أي ملاءمة القصد مع قصديّة المتكلّم.

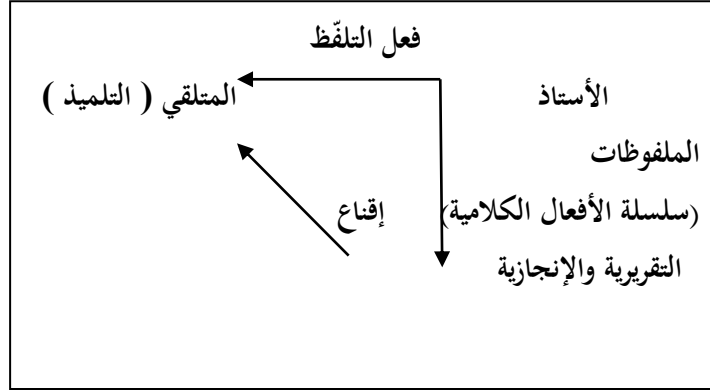
التعجّب: يظهر من خلال قول الأستاذ: فما أحوجنا لمثل هذه الصفات !

تحتوي هذه البنية الخطابية على فعل إنجازي مباشر، وهو فعل التعجّب ودليله أداة الترقيم (!)، فمنشأ التعجّب هنا هو الترجّي، فالمتكلّم متعطّش لمثل هذا الميدان

¹. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص: 81.

العظيم، بحيث نجده يترجنا لأن نتمسك بمثل هذه القيم، وبالتالي ففعل التعجب قد خرج عن دلالاته الحرفية الأصلية إلى دلالة غير حرفية استلزمها المتكلم وهي الترجي.

ويمكن تلخيص فعل التلقظ الذي احتواه الخطاب المنطوق في المخطط الآتي:



نستنتج من كل ما سبق ذكره، طغيان الآليات التداولية في الخطاب الشفوي بالدرجة الأولى، عكس الخطاب المكتوب الذي يغفل عن أغلبية العناصر التي تُسهم في بناء الخطاب، والمرتببة بحال تشكيل اللفظ ووقائعه كالتنغيم والنبر مثلاً. بالإضافة إلى الأفعال الأمرية التي تستوجب ردّ الفعل، كما وجدنا أيضاً مختلف الظواهر اللفظية في الخطاب التربوي، وأخيراً مختلف الأساليب الحجاجية و الإقناعية التي ينتهجها الأستاذ في بناء وتقييم المادة العلمية. وبهذا نجد أنّ الخطاب التربوي الذي يبنى بين طرفي العملية التعليمية (الأستاذ والمتعلم) يستعمل جميع الأشكال اللغوية وغير اللغوية في تقديم المادة العلمية بصفة مباشرة أو غير مباشرة لأنها تهتم بالدرجة الأولى بالاستعمال الفعلي للغة.

كما أنّ المقاربة التداولية لأي نصّ تُعدّ ضرباً من المجازفة تتأثّر خطورتها من اللامنهجية التي تتسم بها التداولية، وأنعدام الآليات التحليلية الموحدة التي يطمئن إليها الدارس، والتي تُخرجها من باب المنهج إلى باب المقاربة.

خاتمة

تهتم التداولية بدراسة اللغة أثناء الاستعمال، وبطرق استخدام العلامة اللغوية بنجاح، و بالسياق و الطبقات المقامية التي ينجز فيها الخطاب ، كما تهتم بعناصر العملية التبليغية التواصلية، ويقوم هذا المذهب اللساني على مجموعة من المبادئ و النظريات لعل أهمها نظرية الأفعال الكلامية التي تعد النواة المركزية لكثير من البحوث التداولية.

وفي ضوء ما سبق يمكن أن نشير إلى أهم النتائج التي تمخض عنها هذا البحث في النقاط الآتية:

- أن نظرية أفعال الكلام ليست وليدة العصر الحديث مع أوستين وأتباعه، بل هي متأصلة في التراث اللغوي العربي لدى الشاطبي والآمدي وبن تيمية وغيرهم من أصوليين نحاة وبلاغيين، حيث توجهت عنايتهم للتفريق بين الجملة الخبرية والإنشائية ووضع ضوابط للكلام حتى يُبدي الغرض المطلوب من إفهام و إقناع المتلقي.

■ التداولية نظرية من النظريات اللسانية اكتست الدراسات اللغوية الحديثة كونها نشأت في أحضان الفلسفة التحليلية، وتعدت من روافد معرفية كالمنطق والفلسفة... وبكل ما له علاقة بالمعنى، كونها تُكمل ما كان ناقصاً في النظرية اللسانية البنيوية.

■ تقع التداولية في مفترق طرق البحث الفلسفي واللساني ، وهذا ما يجعل تحديد ومفهومها تحديد أمراً صعباً وذلك بسبب اختلاف المذاهب، ووجهات النظر الفكرية المعرفية.

■ أنّ التداولية مُلتقى لمصادر وأفكار يصعب حصرها، وهي عموماً تهتمّ بلغة الخطاب التواصلي لدى الأفراد والجماعات.

- إنَّ اهتمام التداولية بدراسة اللغة جعلها تلتقي مع مجموعة من العلوم و التخصصات الأخرى ذات الصلة المباشرة باللغة نحو علم اللغة الاجتماعي وعلم اللغة النفسي و البلاغة و الأسلوبية وغيرها .
- اهتمَّ العلماء العرب "بلاغيون، وأصوليون، ونحويون وفقهاء" وبحكم طبيعة التّصوُّص التي كانوا يدرسونها اهتماماً كبيراً بدراسة صيغ الأساليب الكلامية، والمعاني المتفرّعة عنها، فحاولوا تمييزها عن بعضها البعض وفق معايير أقلّ ما يُقال عنها أنّها معايير تداولية بحتة، فكانت دراساتهم وتحليلاتهم اللغوية تقوم على أهمّ المبادئ التداولية التي أسّس عليها التداوليون المعاصرون الاتجاه التداولي .
- إنّ أهمّ ما لحظناه من تقسيمات العلماء العرب السابقة لصيغ الكلام، وأغراضه؛ ذلك التّدقيق في التّمييز بين صيغة، وأخرى مراعين في ذلك قصد المتكلّم، وظروفه، وصيغة السامع باعتباره طرفاً في العملية التّواصلية، وطريقة تلقّيه الخطاب، وفهمه إيّاه حسب ما يقتضيه المقام الذي يرد فيه.
- عدّت صيغ الكلام الحقيقية سواء كانت أمراً أو نهيًا ، أو استفهاماً صيغاً أصلية حقيقية، أو كما يسمّيها التداوليون المعاصرون أفعالاً كلامية حقيقية، أمّا ما يتفرّع عن تلك الصيغ الأسلوبية من دلالات، ومعانٍ تخرج من مقتضى دلالتها الظاهرة إلى أغراض، ودلالات، وإفادات تواصلية بحسب ما يقتضيه المقام تعدّ أفعالاً متضمّنة في القول، متفرّعة عن القصد الذي يحدّده المتكلّم من خلال خطابه، وتختلف مقاصده باختلاف المقامات التي يرد فيها، وباختلاف قرائن الأحوال.

- يُمكن أن تكون نظرية الأفعال الكلامية بمفهومها العام أداة من أدوات قراءة التراث العربي، ومفتاحاً من مفاتيح فهمه في نظر الشاطبي، وهي نقطة الاتفاق بينه وبين أوستين وتلميذه سيرل، حيث اتفقوا جميعاً على مبدأ الوضع والاستعمال والقصد.
- تصنيف "أوستين" و"سيرل" كان بحسب المطابقة مع العالم الخارجي، وفعلاً هناك أساليب خبرية ليست استفهامية، أو تعجبية أو أمرية لا تصف أيّ شيء في الواقع ولا يُمكن الحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب.
- عند تطبيقنا لمنهج أوستين في نظرية الأفعال الكلامية فيما يسمّى بدرجة القوة أو الشدة في الكلام؛ وجدنا أنّ هذا المنهج كان موجوداً عند الفقهاء والشاطبي، حيث طُبّق أساساً في الفرق بين المكروه والممنوع وبين النواهي والمحرمات. فالفعل الكلامي كلما زادت قوّته زادت درجة العقوبة أثناء المخالفة هذا مبدأ الفقهاء.
- تميز الدرس العربي القديم من خلال تحليله النصوص، ودراسته إيّاها بمنهج تحليلي تداولي، وإن دلّ على شيء إنّما يدلّ على أسبقية العرب لممارسة التحليل التداولي على نصوصهم الدينية، والشعرية إن لم يصطلحوا على تسمية "دراسة تداولية"، ويبدو ذلك ظاهراً من خلال دراساتهم، ويمكن إجمالها فيما يأتي:
- كلّ قول في الأصل فعل يتحقّق في الواقع، وتكون نسبة تحقّقه متعلّقة بدرجة شدة الملفوظ ودرجة ضعفه، وكلّما كانت درجة شدة الملفوظ أكبر كانت نسبة نجاحه، وتحقّقه أكبر أو العكس.
- كلّ قول يمكن إنجازه، وتحقيقه بواسطة فعل، فكلّ قول فعل، ومثال ذلك صيغة الأمر، فبمجرد التلقّظ بالأمر، وتنفيذه يكون ذلك عبارة عن إنجاز قول، وتحويله إلى فعل.

- كل فعل متضمّن في القول، ومثال ذلك صيغ العقود، والمعاهدات، فالفعل في الصيغ لا يقع إلا عن طريق التلقظ بالقول المناسب له ، وما يترتب عنها إنتاج فعل عن طريق التلقظ بقول وجلّ المبادئ تحدث عنها التداوليّون المعاصرون نحو: "أوستين، وسورل"، وغيرهما في مؤلّفاتهم، بل عدّوها الأساس الذي قامت عليه نظريّة أفعال الكلام.

■ توصل أوستين إلى نتيجة مفادها أنّه لا ينبغي الاهتمام بالتمييز بين الخبر والإنشاء ما دام كلامهما يحتمل فعلاً كلامياً إنجازياً.

■ تُعدّ الأفعال الكلاميّة المتضمّنة في القول النواة الأساسيّة لنظريّة الأفعال الكلاميّة.

■ يُجسّد الخطاب التربوي نظرية الأفعال الكلاميّة، حيث نجد أولاً: الأفعال المباشرة فمعظم الخطاب التربوي عبارة عن أقوال إخبارية ووصفية، يسعى المعلّم من خلالها إلى تقديم كمّيّة من المعلومات بشكل بسيط، وكلّ قول يهدف إلى نقل فكرة إلى المتعلّمين ممّا ينتج عنه اكتساب معارف جديدة.

■ ثانياً يستعمل كذلك الأساليب الإنشائية من إثبات و أمر واستفهام للاستحواذ على تركيز المتعلّمين.

■ يدرس أيضا الأفعال الكلامية غير المباشرة من القول المضمّر الذي يُساهم هو الآخر في تحليل ظواهر علميّة بناءً على المكتسبات القبلية لدى الأستاذ.

لما كان كلّ عمل طموح لا يكتفي بترديد ما قيل أو يزيد عليه بقليل، فليس من

الطبيعي أن ينتج مشروعاً ناضجاً رغم تجشّنا عناء البحث والتقصّي سنين عدادا

أنفقت في إنجازهِ، إذ مازال في النفس شيء من مسائله وقضاياهِ تَشْرَبُ إلى شغف
السؤال ومتعة البحث، فعسى أن يهيئ الله لقارئة سُبُل الاستفادة من صحيحهِ وتقويم
سقيمه وأن يكون ما بُذل فيه خالصاً لوجهه الكريم والحمد لله ربّ العالمين وفوق كلّ
ذي علمٍ عليم.

قائمة المصادر

والمراجع

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع .

أ-المصادر:

- 1- الأزهري خالد: شرح التوضيح على التصريح، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ، 2000م
- 2- الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، ج3، الناشر: دار الآفاق الجديدة، المطبعة، بيروت، لبنان، سنة الطبع 1403هـ - 1983م
- 3- الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام ج2، الناشر، دار الآفاق الجديدة بيروت، لبنان، سنة 1986م، 1406هـ.
- 4- أبو إسحاق الشاطبي: الاعتصام، ج1، مكتبة العبيكان، الرياض ط1، 1418هـ-1998م.
- 5- الموافقات في أصول الشريعة، تح: محمد الإسكندراني، عدنان درويش، دار الكتاب العربي، 2006.
- 6- الموافقات في أصول الشريعة، تعليق عبد الله دراز، ط2، 1975.
- 7- الموافقات في أصول الشريعة، ج2، دار ابن عفان، المملكة العربية السعودية، ط، 1 سنة 1417هـ..
- 8- الموافقات، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، المجلد1، دار بن عفان، ط1، 1417هـ، 1997م.

- 9- الموافقات، ج3، دار ابن عفان، المملكة العربية السعودية، ط1، سنة 1417هـ.
- 10- الإسترباذي رضي الدين: شرح الكافية في النحو: تح: رجاء عكاوي، لبنان، بيروت دار الفكر، (دط) 2000.
- 11- الأصفهاني: الكاشف عن المحصول في علم الأصول: تحقيق الشيخ عادل عبد الموجود والشيخ علي معوض، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ، 1998م.
- 12- البصري، محمد بن علي بن الطيب: المعتمد في أصول الفقه، تحقيق خليل الميس، دط، ج1، بيروت دار الكتب العلمية، 1983م.
- 13- الجاحظ عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مصر، القاهرة مكتبة خابنحي، (دط) 1983.
- 14- الجويني: البرهان في علوم الفقه، ج1، تحقيق صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1418 هـ - 1997 م
- 15- ابن جنبي: الخصائص، تحقيق: عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية، ج2، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 2006.
- 16- الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، شرح وتعليق: محمد التنجي، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 2005.
- 17- هارون عبد السلام محمد، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مصر، القاهرة، مكتبة الخابنحي، ط 3، 1981.
- 18- الهاشمي السيد أحمد: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: تح: محمد التونجي لبنان، بيروت، مؤسسة المعارف، ط4، 1428هـ، 2008م.

- 19- أبو الهلال العسكري: الفروق اللغوية، تح، حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، ط1، 1981.
- 20- الوردني أحمد: قضية اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن 7هـ/13م لبنان، بيروت، دار الغرب الإسلامي، المجلد الثاني، ط 01، 2004.
- 21- الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، (د.ت) لبنان، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر ج2.
- 22- الزهري نعيمة: الأمر والنهي في اللغة العربية: الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، مطبعة المعارف الجديدة، 1997
- 23- الزركشي بدر الدين: البرهان في علوم القرآن، ج1، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، ط3، سنة 1984
- 24- الزركشي بدر الدين: البرهان في علوم القرآن، ج2، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم الجزء الثاني، الطبعة الأولى، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1376هـ، 1957م.
- 25- الزركشي بدر الدين: البرهان في علوم القرآن، ج3، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، ط3، سنة 1984.
- 26- الزركلي خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، ج4، سنة النشر، 2002
- 27- ابن حزم الأندلسي: طوق الحمامة في الألفة والألاف، تح: إحسان عباس. لبنان، المؤسسة العمومية للنشر، ط3، 1987.

- 28- الحنفي علاء الدين البخاري: كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام
البزدوي، وضع حواشيه عبد الله عمر، ج1، ط1، 1418 هـ، 1997م، دار
الكتب العلمية، بيروت.
- 29- ابن يعيش، موفق الدين، شرح المفصل للزمخشري، تقديم إميل بديع
يعقوب، ج8، عالم الكتب، بيروت
- 30- محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج16، الدار التونسية
للنشر، تونس، 1884
- 31- محمد الرازي فخر الدين: التفسير الكبير، ج1، طبعة جديدة منقحة
ومصححة، دار الفكر .
- 32- ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، لبنان،
بيروت دار صادر، 1997، ج2، مادة (خ، ط، ب) .
- 33- لسان العرب، لبنان، بيروت، دار صادر، ط1، 1999، مج، 11 مادة: (د،
و، ل).
- 34- مصطفى إبراهيم، حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار،
المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية ج1، (د ت) مصر، القاهرة، ط3.
- 35- النسفي: كشف الأسرار في شرح المنار، ج1، دار الكتب العلمية، 2015
- 36- السبكي بهاء الدين: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: مصطفى البابي
الحلي مصر، القاهرة، دط ، 1948.

- 37- **السيوطي جلال الدين عبد الرحمان:** الإتقان في علوم القرآن، لبنان، بيروت، دار المعرفة، (د ت)، (د ط) الجزء 2، القرآن الكريم بهامشه مختصر من تفسير الإمام الطبري للتيجني مذيلا بأسباب النزول للنيسابوري.
- 38- تحفة المهتدين بأخبار المجددين، كما هي منقولة في كتاب "عون المعبود شرح سنن أبي داود" ج 11، دار الكتب العلمية.
- 39- **السكاكي أبو يعقوب:** مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، لبنان، بيروت دار الكتب العلمية، ط 1، 2000.
- 40- **أبو سريع ياسين عبد العزيز:** الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية، الأردن، عمان مطبعة السعادة، ط 1، 1410هـ، 1989.
- 41- **سيبويه أبو بشر بن عثمان بن قنبر:** الكتاب: تح: عبد السلام هارون، لبنان، بيروت ط 3، 1983، ج 1.
- 42- **عبد القاهر الجرجاني:** أسرار البلاغة: راجعه وعلّق عليه عرفان مطرجي، لبنان، بيروت مؤسسة الكتب الثقافية ط 1، 2006.
- 43- **دلائل الإعجاز:** تح: محمد رشيد الرضا، لبنان، بيروت، دار المعرفة، 1992.
- 44- **دلائل الإعجاز، شرح وتعليق:** محمد التنجي، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ط 1، 2005.
- 45- **عبد الكريم محمد الأسعد:** الوسيط في تاريخ النحو العربي، دار الشواف، السعودية ط 1، 1992.
- 46- **عبد الله صولة الحجاج،** أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتكا، مجلّد أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد

- الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، 1998.
- 47- عبد العزيز أبو سريع ياسين، الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية، الأردن، عمان، مطبعة السعادة، ط1، 1989.
- 48- عطية مروان: المعجم المفهرس لمواضيع آيات القرآن الكريم، قدم له وراجعته مروان سوار، دار الفجر الإسلامي، ط7، 1995.
- 49- العسكري أبو الهلال: كتاب الصناعتين "الكتابة والشعر": تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، لبنان، بيروت، المكتبة العلمية، (دط) 1988.
- 50- فارس بن أحمد: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: تح: أحمد حسن بسج، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 2007.
- 51- فخر الدين الرازي: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تح: بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين - بيروت، لبنان، ط1، 1985.
- 52- القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، مكتبة وهبة، القاهرة، سنة 1988
- 53- القرافي شهاب الدين: الفروق، ج1، ط1، دار النشر مؤسسة الرسالة ناشرون، 1424هـ، 2003م.
- 54- الفروق، ج4، دار النشر مؤسسة الرسالة ناشرون، ط1، 1424هـ، 2003م.

- 55- القرطبي أبو عبد الله محمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد العليم البردوني، دط ، 1963، الجزء 18.
- 56- القزويني الخطيب: الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع، تح: إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، لبنان، بيروت دار الكتب العلمية، ط 1، 1424هـ 2003.
- 57- الإيضاح في علوم البلاغة ج1: تعليق محمد عبد المنعم خفاجي لبنان بيروت، دار الجيل، ط3، 1993.
- 58- ابن قيم الجوزية: إعلام الموقعين، ج3، بيروت، الإسكندرية، لبنان، مصر العصرية 1987م.
- 59- ابن رشد القرطبي: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج2، دار القلم، بيروت، ط1، 1988.
- 60- بداية المجتهد، تحقيق: خالد العطار، ج2، مكتبة البحوث والدراسات، 1415هـ، 1995م.
- 61- الشريف الرضي: نهج البلاغة، شرح الإمام الشيخ محمد عبده، ج1، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت، لبنان، 2008.
- 62- الشوكاني محمد بن علي: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم أصول ج1، تحقيق: أحمد عزو، عنابة، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي، 1999م.
- 63- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت، ج 2 .
- 64- ابن تيمية: منهاج السنة النبوية في نقص كلام الشيعة والقدرية، المجلد الأول، ج2، دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان.

- 65- **التهاوني:** كشف اصطلاحات الفنون: وضع حواشيه: أحمد حسن، لبنان بيروت منشورات دار الكتب العلمية، ط1، 1991، المجلد 3.
- 66- **ابن خلدون:** المقدمة، دار الكتب العلمية ط1، 1413 هـ، 1993م.
- 67- **ضيف شوقي:** البلاغة تطور وتاريخ: مصر، القاهرة، دار المعارف، ط2(دس).
- 68- **الغزالي:** المستصفى في علم الأصول، قسم أصول الفقه، المجلد رقم 2، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1413 هـ - 1993م.
- 69- **المستصفى من علم الأصول، ج1،** دار الكتب العلمية، بيروت، ابن أمير الحاج وشرح التحرير في أصول الفقه لابن الهمام، ضبطه، وصحّحه عبد الله محمود عمر، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م، 1419هـ.

ب- المراجع:

- 70- **إبراهيم بن منصور التركي:** البحث البلاغي عند بن تيمية دراسة وتقويمًا، جامعة القصيم، ط2، بريدة، 1439هـ، 2018م.
- 71- **إبراهيم صحراوي:** تحليل الخطاب الأدبي، دار الأفاق، الجزائر، ط1، 1999
- 72- **أحمد المتوكل:** دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة، ط1، الدار البيضاء، 1986.
- 73- **أمال يوسف المغامسي:** الحجاج في الحديث النبوي - دراسة تداولية - الدار المتوسطة للنشر، تونس، 2016-1437.
- 74- **آيتأوشان علي:** السّياق والنص الشعري: من البنية إلى القراءة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 2000.

- 75- **بوجادي خليفة:** في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، الجزائر، ديوان المطبوعات، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2009.
- 76- **بوقرة نعمان:** محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، عنابة، الجزائر، منشورات جامعية 2006 .
- 77- **الجابري محمد عابد:** بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز الوحدة العربية، بيروت، ط09، 2009.
- 78- **جابر عصفور:** أفاق العصر، دار الهدى للثقافة والنشر، سوريا، دمشق، ط1، 1997
- 79- **جميل عبد المجيد:** البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، ط2000.
- 80- **وهبة الرحيلي:** الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق، ط3، 1983.
- 81- **زيدان محمود فهمي،** في فلسفة اللغة، لبنان، بيروت، دار النهضة العربية دط، 1985.
- 82- **طالب سيد هاشم الطبطبائي:** نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، 1994م
- 83- **طاهر سليمان حموره:** دراسة المعنى عند الأصوليين، الإسكندرية، مصر، الدار الجامعية، 1983
- 84- **طه عبد الرحمن،** اللسان والميزان، المغرب، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي (دط) 1998.

- 85- **يوسف أحمد:** سيميائيات التواصل وفعالية الحوار، المفاهيم والآليات، الجزائر، دار الرشاد، منشورات مختبر السيميائيات وتحليل الخطابات، جامعة وهران، دط، 2004.
- 86- **محمد حسن عبد العزيز:** علم اللغة الاجتماعي، دار النشر مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، دط، مجلد 1.
- 87- **محمد محمد يونس علي:** مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، لبنان، بيروت، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1.
- 88- وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية دراسة حول المعنى وضلال المعنى، ليبيا، دار الكتب الوطنية، منشورات جامعة الفتح، (دط)، 1993.
- 89- المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي ليبيا، طرابلس، 2002
- 90- علم التخاطب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت، سنة 2006.
- 91- **محمد نظيف:** الحوار وخصائص، التفاعل التواصلي، دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية، المغرب، إفريقيا الشرق، 2009.
- 92- **ميهوب جعيرن وخالد بوزياني:** البلاغة بالأمثلة والتطبيق، علم المعاني، علم البيان علم البديع، منشورات الشهاب. **المتوكل أحمد:** اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري، منشورات عكاظ، الرباط دط، 1987.
- 93- **منذر عياشي:** العلاماتية وعلم النص، المركز الثقافي العربي، لبنان، بيروت، ط12004.

- 94- **المتوكل أحمد:** الوظائف التداولية في اللغة العربية، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، المغرب، الدار البيضاء، ط1، 1985.
- 95- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، الرباط، دار الأمان، 2001م.
- 96- **النيفر نور الدين:** فلسفة اللغة واللسانيات، تونس مؤسسة أبو وجدان للطبع والنشر ط1، 1993.
- 97- **نخلة محمود أحمد:** أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مصر الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، دط، 2002.
- 98- **نذير بوصييع:** الألفاظ والدلالات الوضعية، بحث في مناهج الاستنباط، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008
- 99- **الصراف علي محمود حجي:** في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، مكتبة الآداب، ط1، مصر، 2010م.
- 100- **صحراوي مسعود:** التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، لبنان، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، 2008.
- 101- **صلاح إسماعيل عبد الحق:** التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد: لبنان، بيروت دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، 1993
- 102- **عبد الحميد العلمي:** منهج الدرس الدلالي عند الإمام الشاطبي، 1422 هـ، 2001م

- 103- **عبد الرحمن طه**، اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب
1998
- 104- **عبد المطلب محمد**: البلاغة والأسلوبية : دار نوبار للطباعة، القاهرة،
مصر، 1994.
- 105- **عبد الرحمن الحاج صالح**: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ج2،
منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، 2007.
- 106- **عطية مختار**: علم المعاني ودلالات الأمر في القرآن الكريم مصر،
الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، دط، 2004.
- 107- **عيد رجاء**، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، مصر، الإسكندرية، منشأة
المعارف، ط2، 1988.
- 108- **العمري محمد**: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، لبنان، بيروت، إفريقيا
الشرق (دط) 1999.
- 109- **عتيق عبد العزيز**: في تاريخ البلاغة العربية: لبنان، بيروت، دار النهضة العربية
(دط)، (دس).
- 110- **علي محمود وحجي الصراف**: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، مكتبة
الآداب القاهرة، ط1، 2009.
- 111- في البراغمية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم
سياقي، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 1431، 2010.
- 112- **فضل صلاح**: بلاغة الخطاب وعلم النص، دار نوبار، لبنان، بيروت، ط
1، 1996.

- 113- **فضل عباس حسن**: البلاغة فنونها وأفنانها، الأردن، عمان، دار الفرقان للنشر والتوزيع، 2005
- 114- **سعيد يقطين**: تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط3، 1997.
- 115- **قاسم حسام أحمد**: تحويلات الطلب ومحددات الدلالة، مدخل إلى تحليل الخطاب البنيوي الشريف، مصر، القاهرة، دار الآفاق العربية، ط1، 2007.
- 116- **الرويلي ميجان، اليازغي سعد**: دليل الناقد الأدبي، لبنان، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط2، 2000.
- 117- **رزان محمود إبراهيم**: خطاب النهضة والتقدم في الرواية العربية المعاصرة، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2003
- 118- **شرشار عبد القادر**: تحليل الخطاب الأدبي وهران، دار الأديب باستانيا، 2006.
- 119- **تمام حسان**: الأصول، الدار البيضاء، دار الثقافة، 1421هـ.
- 120- **خطابي محمد**: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، لبنان بيروت، المركز الثقافي العربي، ط1، 1991 .
- 121- **خلود عموش**: الخطاب القرآني: دراسة في العلاقة بين النص والسياق، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، عمان، ط1، 1429هـ، 2008.
- 122- **ذهبية حمو الحاج**: لسانيات التلفظ، وتداولية الخطاب، الجزائر، جامعة تيزي وزو، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، منشورات مخبر تحليل الخطاب، 2005

- 123- ابن ظافر الشهري عبد الهادي: استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، لبنان بيروت، دار الكتاب الجديد، ط1، 2004.
- 124- ج -المراجع المترجمة:
- 125- أوستين: نظرية الأفعال الكلاسيكية، تر: عبد القادر قنيني، المغرب، الدار البيضاء إفريقيا الشرق، 1991.
- 126- أوستين جون: نظرية أفعال الكلام العامة، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا، الشرق، الدار البيضاء، 1991.
- 127- أرمينكو فرانسواز: المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، لبنان، بيروت، مركز الإنماء القومي، دط، 1986 .
- 128- بول جورج: معرفة اللغة، تر: محمد فراج عبد الحافظ، مصر، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.
- 129- بلانشيه فليب: التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، سورية اللاذقية، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 2007.
- 130- براون ج.ب، يولو.ج: تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق: محمد لطفي الزليطي، منير التركي، دار النشر والمطابع، الرياض، 1997.
- 131- جوزيف فندريس: اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، د.ط، 1950.
- 132- دايك فان: النص والسياق: استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، لبنان، بيروت، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، 2000.

- 133- **دلاش الجيلالي**: مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، تر: يحياتن، الجزائر بن عكنون، ديوان المطبوعات الجامعية.
- 134- **مانغونو دومنيك**: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمديحياتن، الجزائر منشورات الاختلاف، 2008.
- 135- **موشلار جاك، روبول آن**: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، لبنان، بيروت، دار الطليعة، 2003.
- 136- **نون أفان (دايك)**، علم النفس، مدخل متداخل الاختصاصات، تر. سعيد حسن لجيري، دار القاهرة للكتاب (مصر) ط1، 2001.
- 137- **سيرفوتي جان**: الملفوظية : ترجمة: قاسم المقداد، سوريا، دمشق، منشورات إتحاد الكتاب العرب، (دط) 1998.
- 138- **سورل جون**، العقل واللغة والمجتمع في العالم الواقعي، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي، منشورات الاختلاف الدار العربية للعلوم، الجزائر، ط1، 2006.

د- الرسائل الجامعية:

- 139- **بلقندوز هواري**: التداوليات النصية، مقارنة في فهم الخطاب وتأويله، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، 2008، 2009، رسالة دكتوراه، مخطوط، تحت إشراف: أحمد يوسف.
- 140- **بعيطيش يحي**: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي: قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005، 2006، رسالة دكتوراه دولة مخطوط، تحت إشراف: عبد الله بوخلخاج.

- 141- واضح أحمد: المفاهيم التداولية في البلاغة العربية: جامعة مستغانم، 2008، 2009 رسالة ماجستير في تحليل الخطاب، تحت إشراف لزعر مختار.
- 142- محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز الوحدة العربية، بيروت، ط9، 2009.
- 143- محمد مدور: الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، دار النشر جامعة الحاج لخضر، الجزائر، ط1، 2014م-1434هـ.
- 144- ميلاد، خالد: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، بغداد، التربية، 2004
- 145- نصيرة كتاب: تداوليات الخطاب الجامعي لقسم اللغة العربية، تيزي وزو، أنموذجا، سنة 2014.
- 146- صحراوي مسعود: الأفكار المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي جامعة باتنة، 2004، رسالة دكتوراه في اللسانيات، مخطوط، تحت إشراف: عبد الله العشي.
- 147- عبد الحق خليفي: الأفعال الكلامية عند الشاطبي، إشراف: [صفية مطهري](#)، جامعة وهران، ط1، الجزائر، 2013م.
- 148- خديجة محفوظ محمد: تأصيل الفرضية الإنجازية في الفكر اللغوي العربي القديم، دار النشر، جامعة طيبة، 1433 هـ ، 2012 م.
- 149- خفيف علي: شعرية الخطابة العربية، جامعة باجي مختار، عنابة، 2007، 2008 رسالة دكتوراه في تحليل الخطاب، مخطوط، تحت إشراف: عبد المجيد حنون.

150- خلوفي قدور، مستويات الأفعال الكلامية في الخطاب القرآني، دار

النشر جامعة وهران، الجزائر، ط1، 2015م.

ج-المراجع الأجنبية:

- 151- Austin (John.Langshaw): Quand Dire C'est Faire, Traduction Française, Gilles Lane Postface De :Françoise Récanati, Editions Du Seuil Paris 1970.
- 152- Catherine Arbratorrechioni, Les Actes De Language.
- 153- Ernst Cassirer, La Philosophie Des Formes Symbolique, Tradiction, De Hansen Love Et Jean Lacoste, Minuit, Paris, 1972
- 154- George, Mohin , Dictionnaire De L(Linguistique)
- 155- K. Orecshioni , Les Interactions Verbales ArmondcolinÉdition, Paris 1990Jaquemoesler ,Antonie Auchlin, Introduction A Linguistique Contemporaine, Deuxième Edition, Armande Colin/Her Paris, 1997.2000
- 156- Mainguneau Dominique:Pragmatique Pour Le Discoure ,Littéraire Edition :Collection Lettre,Sup,Dunod Paris France 1997.
- 157- -SearlJohn:Les Actes De Langage:Essai De Philosophie De Langage ,Hermann,Paris,1972.
- 158- Searle John: Expression And Meaning :Studies In The Theory Of
- 159- Speech Acts.Cambridge University,Press,1981 .
- 160- .
- 161- Voire .F.Recanati , La Transparence Et L'énonciation, Edition Du Seuil, Paris, 1979.
- 162- Les Actes De Langage , Essai De Philosophie De Langage.

هـ-الدوريات:

- 163- **باديس لهويمل:** السياق ومقتضى الحال في مفتاح العلوم: متابعة تداولية مجلة المخبر العدد التاسع، 2013.
- 164- **محمد العبد:** تعديل القوة الإنجازية، دراسة في التحليل التداولي للخطاب، مجلة فصول، العدد 65، 2004، 2005.
- 165- **ناصر مصطفى:** اللغة والتفسير والتواصل، سلسلة عالم المعرفة الكويت العدد 193.
- 166- **بن عائشة حسين:** تداولية الخطاب التعليمي المنطوق بين المنهج والإجراء، كلية الأدب العربي والفنون، مجلة التعليمية، المجلد 5، العدد 14، ماي 2018.
- 167- **عبد الحكيم سحالية:** التداولية امتداد شرعي للسيميائية: مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، قسم الأدب الجزائري، جامعة الطارف، العدد الخامس، 2009.
- 168- **عمر بلخير:** تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الطبعة (1) 2003.

و-المواقع الإلكترونية:

- 169- **صالح الشاعر:** ظاهرة التقديم والتأخير في النحو العربي.
- 170- www.salihahshais.com بتاريخ: 15-08-2013 على الساعة 11 سا 30 د.
- 171- **عبد الكريم الدخيسي:** التقديم والتأخير في بلاغة العرب.
- 172- www.salihahshais.com بتاريخ: 15-08-2013 على الساعة 11 سا 30 د.

173- حبيب مونسي: مقارنة مقارنة بين علم المقاصد العربي وافعال الكلام

البراغماتي على الموقع، <http://www.maraya.net/inner>

174- عادل الثامري،التداولية ظهورها وتطورها2009 من موقع www.elaph.com.

الملاحق

ملحق الآيات القرآنية

ملحق الآيات القرآنية

الصفحة	الرقم	السورة	الآية
56	27	البقرة	﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾
156	43	البقرة	﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾
59	44	البقرة	﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُرُوتِ وَأَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾
117	67	البقرة	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ ﴾
181	158	البقرة	﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ .
134	175	البقرة	﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾
157	183	البقرة	﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾
118	196	البقرة	﴿ فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾
184	214	البقرة	﴿ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ ﴾
117	216	البقرة	﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ ﴾
118	220	البقرة	﴿ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ ﴾
117	225	البقرة	﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ﴾
117	233	البقرة	﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ ﴾
118	245	البقرة	﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾
117	97	ال عمران	﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾

60	106	آل عمران	﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾.
182	79	النساء	﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾
173	89	المائدة	﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ ﴾
66	72	الأنعام	﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ ﴾.
66	102	الأنعام	﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ﴾
62	53	الأعراف	﴿ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا ﴾.
184	12	التوبة	﴿ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ ﴾
87	87	هود	﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾
183	10	إبراهيم	﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ ﴾
178	42-41	الحجر	﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾
179	88	الاسراء	﴿ قُلْ لَنْبِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾
75	57-56	الأنبياء	(قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِّنَ الشَّاهِدِينَ، وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ مِيعَدًا أَنْ تَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾
136	62	الأنبياء	﴿ قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمَ ﴾
136	80	الأنبياء	﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾

184	55	النمل	﴿أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بَٰجِلُونَ﴾.
183	59	النمل	﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾
136	93	الصفات	﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾
136	95	الصفات	﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾
73	30	ص	﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾
135	40	الزخرف	﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾
135	43	الزخرف	﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ؟﴾
62	14-13	الدخان	﴿أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ {13} ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾.
162	25	الأحقاف	﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾
183	30	ق	﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ﴾
61	51	القمر	﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ﴾.
178	53-52	القمر	﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ﴾
61	16	الحديد	﴿أَمْ يَأْنٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾
73	05	الجمعة	﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾
156	09	الجمعة	﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾
156	09	الجمعة	﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾
183	01	التحریم	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

117	2	التحريم	﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾
180	42-41	الحاقة	﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَدْكُرُونَ﴾.
62	28	المزمل	﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾.
178	07	الانسان	﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾
61	16	المرسلات	﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾.
136	16	المرسلات	﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾
136	07	الضحى	﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا، فآوَى وَوَجَدَكَ ضَالًّا، فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾
136	07	الضحى	﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾
179	01	الكوثر	﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾.
180	03	الكوثر	﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾

ملحق الشواهد

الشعرية

ملحق الشواهد الشعرية

الصفحة	الأبيات الشعرية
74	عَسَى الكَرْبُ الَّذِي أَمْسَيْتُ فِيهِ يَكُونُ وَرَاءَهُ فَرَجٌ قَرِيبٌ
53	فَتُحُّ تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ وَتُبْرُزُ الْأَرْضُ فِي أَبْرَادِهَا الْقَشْبِ
76	كَمْ نَفْحَةٍ لَكَ لَمْ يُحْفَظْ تَذْمُهَا لَصَامَتِ الْمَالِ لَا إِلَّا وَلَاذُ بِمَا
50	أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى فَصَادَفَ قَلْبِي حَالِيًا فَتَمَكَّنَا
51	إِنِّي رَأَيْتُ عَوَاقِبَ الدُّنْيَا فَتَرَكْتُ مَا أَهْوَى بِمَا أَحْشَى
12	فَيَوْمٌ عَلَيْنَا، وَيَوْمٌ لَنَا وَيَوْمٌ نُسَاءُ، وَيَوْمٌ نُسَرُّ
52	جَزَاكُمُ الْجَلَالَ بَيْنَ دِمَشْقِ وَعِزُّ الشَّرْقِ أَوْلَهُ دِمَشْقُ
56	جَزَاكُمُ الْجَلَالَ بَيْنَ دِمَشْقِ وَعِزُّ الشَّرْقِ أَوْلَهُ دِمَشْقُ

ملحق

معجم المصطلحات

معجم المصطلحات

الصفحة	المقابل الأجنبي	المصطلح
08	Semantic	علم الدلالة
08	Syntax	علم التراكيب
08	Pragmatic	التداولية
10	Transmitter	الباث
10	Receiver	والمتلقي
13	The principle of effective reality	الواقع الفعّال
13	Human Sciences	لعلوم الإنسان
14	Cognitive Science	العلوم المعرفية
15	Philosophy of Natural Language	اللغة الطبيعية
15	ordinary	العادية
15	Formal Language	الشكلية
17	Integrated Pragmatics	التداولية التكاملية
17	Radical Pragmatic	التداولية الأصلية
17	Linguistic competence	الكفاءة اللسانية
17	Performance The linguistics	الإنجاز اللغوي
21	Inter-subjective treatment	المعالجة المشتركة بين الذات
22	Logical positivism	الوضعية المنطقية

22	Phenomenology of Language	الظاهريّة اللّغويّة
22	Philosophy of ordinary language	فلسفة اللّغة العاديّة
25	Language Acts	الأفعال الكلاميّة
26	Lecutoires Acts	أفعال قولية
26	Illocutory Acts	أغراض إنجازيّة
26	Peslocutory Acts	أغراضتأثيريّة
26	Elocutionary Act	فعل القول
26	Illocutionary Act	الفعل المتضمّن في القول
26	PerlocutionaryAct	الفعل الناتج عن القول
27	Presupposition	الافتراض المسبق
28	Conversational Involvement	الاستلزام الحواريّ
28	NaturalLanguage	اللّغات الطّبيعيّة
30	Quality	الكيف
30	Quantity	الكم
30	Relevance	مسلمّة الملاءمة
30	Modalities	مسلمّة الجهة
31	Dialectic	الإشاريّات
31	PersonalDialectic	الإشاريّات الشّخصيّة
32	TemporalDialectic	الإشاريّات الزّمنيّة

32	SpatialDialectic	الإشارات المكانية
32	SocialDialectic	الإشارات الاجتماعية
32	DiscouseDialectic	إشارات الخطاب
33	Theory de la pertinence	نظرية الملاءمة
81	PallayDescriptive	المغالطة وصفية
82	Performatoie Location	الأقوال الإنجازية
82	ConstativeLocation	الأقوال الإخبارية
83	UnHappy	غير موقفة
85	Illocutionary Act	فعل قوة التلفظ
86	Perlocutionary Act	فعل أثر التلفظ
88	IllocutionaryForce	القوة الإنجازية
88	Verdictives	الأفعال الدالة على الحكم
88	Exertives	أفعال الممارسة
88	Commisives	أفعال الوعد
88	Behabitives	أفعال السلوك
88	Expositives	أفعال العرض
89	Principle of excreation	النظرية مبدأ التعبيرية
92	Reference	المرجع
92	Relegation Act	الفعل الاحالي
93	Preaching Act	الفعل الحملي

94	Illocutionary Act	الفعل الغرضي
94	Perlocutionary Act	الفعل التأثيري
94	Constitutive rules	القواعد التأسيسية
95	Normative rules	القواعد الضابطة
95	Directives	الأوامر: (التوجيهات)
96	Commissifs	الالزاميات (الوعديات)
96	expressive	التعبيرات: (التصريحات)
96	declaration	الانجازات
99	interactional	العملية التفاعلية
101	Propositionnel Content	المحتوى القضوي
101	Preparatory	الشرط التمهيدي
101	Sincerity	شرط الإخلاص
102	Essential	الشرط الأساسي
121	Style Achievement	مبدأ نمط الإنجاز
203	Language The intermediary	لغة وسطية
211	Communication interaction	الفعل التواصلية
211	The utterer	المتلقظ

ملحق المدونة

نص الواجب والتضحية للسنة الأولى متوسط الجيل الثاني

السند:

يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ مُحَاسِبَةَ أَنْفُسِنَا قَبْلَ أَنْ نُحَاسِبَ النَّاسَ، وَقَبْلَ أَنْ يُحَاسِبَنَا النَّاسُ. يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَكُونَ أَشَدَّاءَ عَلَى أَنْفُسِنَا، حَتَّى نَسْتَطِيعَ أَنْ نَحْتَفِظَ بِهَذَا الْإِرْثِ الْعَظِيمِ وَأَنْ نُبَلِّغَهُ سَلِيمًا مِنْ بَعْدِنَا، فَمَا أَحْوَجُنَا لِمِثْلِ هَذِهِ الصِّفَاتِ !

يَجِبُ عَلَيْنَا - نَحْنُ حَامِلِي رَايَةِ الْقُرْآنِ وَالِدِّينِ - أَنْ نَكُونَ أَقْوَى رُوحًا، وَأَعْظَمَ هِمَّةً، وَأَكْثَرَ تَضْحِيَةً مِنْ أَوْلَادِكَ الْمُبَشِّرِينَ وَالْمُبَشَّرَاتِ، الَّذِينَ هَجَرُوا الْبِلَادَ وَالْأُوطَانَ وَالصَّحْبَ وَالْخَانَ، وَتَرَكَوْا «بَارِيسَ وَلُنْدَنَ وَلَاهاي» وَغَيْرَهَا، يَجُوبُونَ أَفْطَارَ الْأَرْضِ لِلْقِيَامِ بِدَعْوَتِهِمْ تَارِكِينَ الدُّنْيَا وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ...

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا دِيَارَنَا هَذِهِ لَمْ يَكُونُوا أَكْثَرَ مِنَّا مَالًا وَوَلَدًا، إِنَّمَا كَانُوا أَكْثَرَ مِنَّا عِلْمًا وَنِظَامًا. فَلَنَكُنْ نَحْنُ دَعَاةَ وَبِنَاةَ الْعِلْمِ وَالنِّظَامِ، وَفِينَا وَاللَّهِ نَوَاهُ هَاتَيْنِ الْقُوَّتَيْنِ، وَلَنَكُنْ مَعَ ذَلِكَ مِثَالِ الْإِسْتِقَامَةِ الدِّينِيَّةِ، فَدِينُنَا السَّمْحُ دِينُ أَعْمَالٍ لَا دِينَ أَقْوَالٍ وَلِنُحَارِبِ الزِّيغَ فِي الدِّينِ، وَالضَّلَالََةَ فِي الْإِسْلَامِ، فَالِدِّينُ الْإِسْلَامِي لَا يَتَحَمَّلُ زِيغًا وَلَا ضَلَالَةً، فَلَنَعُدْ وَنَبْقَى فِي وَطَنِنَا الْحَبِيبِ.

فَلنَعْمَلْ قَلْبًا وَقَالِبًا عَلَى أَنَّنا جُنُودُ اللَّهِ، نَنْصُرُ دِينَهُ وَنُبَشِّرُ بِتَعَالِيمِهِ وَنُصَلِّحُ حَالَ أُمَّتِهِ، فَالْأَمَانَةُ الَّتِي وَضَعَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْهِ أَعْنَاقِنَا عَظِيمَةً شَاقَّةً، تَكَادُ تَزُولُ فِيهَا أَيُّهَا الْجِيلُ الْجَدِيدُ عَلَيْنَا أَنْ لَا نَضِيعَهَا.

العربي التبسي - المختار في الأدب والنصوص - المعهد التربوي الوطني - الجزائر

دليل الأستاذ للسنة الأولى من التعليم المتوسط، ص 117

قائمة المحتويات

الصفحة

الفهرس

آية قرآنية

كلمة شكر

أ مقدمة

المدخل

التداولية: الماهية والأصول

03 تمهيد

04 1- التداولية: المصطلح والموضوع

10 2- التّداوليّة بين اللّغة والاصطلاح

14 3- التداولية: النشأة والتطور

18 4- الفلسفية التحليلية: النشأة والتأصيل

24 5- نظريات الدرس التداولي

25 1-5- الأفعال الكلاميّة

27 2-5- الافتراض المسبق
28 3-5- الاستلزام الحواريّ
31 4-5- الإشاريّات
33 5-5- نظرية الملاءمة

الفصل الأول

الإطار النظري للأفعال الكلامية

37	المبحث الأوّل: الأفعال الكلامية في الدراسات العربيّة
38 تمهيد
40 1- الأفعال الكلامية في الدراسات العربية
42 1-1- الأفعال الكلامية عند بن فارس
43 2-1- الأفعال الكلامية عند السّكاكي
46 2- الخبر
50 1-2- أضرب الخبر
50 2-1-1- الخبر الابتدائي
50 2-1-2- الخبر الطّلي

51الخبر الإنكاريّ. 3-1-2
52المعاني التي يحتملها لفظ الخبر. 2-2
53الإنشاء. 3
54أقسام الإنشاء. 1-3
54الإنشاء الطلبيّ. 1-1-3
55أ- سياق الاستفهام.
65ب- سياق الأمر.
68ج- سياق النهي.
69د- النداء.
70هـ- التمنيّ.
71الإنشاء غير الطلبيّ. 2-1-3
72أفعال التعجب. 1-2-1-3
73أفعال المدح، والذم. 2-2-1-3
74أفعال الرجاء. 3-2-1-3
74القسم. 4-2-1-3

76التكثير 3-1-2-5
76المعاهدات، والمعاهدات 3-1-2-6
79	المبحث الثاني: الأفعال الكلامية في الدراسات الغربية
80تمهيد
801-نظرية الأفعال الكلامية
812-الأفعال الكلامية في أبحاث ج. أوستين
851-فعل التلفظ
862-فعل قوة التلفظ
863-فعل أثر التلفظ
893- الأفعال الكلامية في أبحاث ج. سورل
921-التلفظ بالكلمات
922-الفعل القضوي
922-1-الفعل الإحالي
932-2-الفعل الحلمي
943-الفعل الغرضي (الإنجازي)

944-الفعل التأثري.....
97أ-الأفعال الكلامية المباشرة.....
98ب-الأفعال الكلامية غير المباشرة.....
1011-شروط المحتوى القضوي.....
1012-الشرط التمهيدي.....
1013-شرط الإخلاص.....
1024-الشرط الأساسي.....

الفصل الثاني: مستويات الأفعال الكلامية في الفكر الأصولي

105	المبحث الأول: الأفعال الكلامية عند الأصوليين
106تمهيد.....
1071-الكلام عند الأصوليين.....
1121-1-شرط القدرة والأهلية.....
1131-2-شرط الإرادة والقصد.....
1152-القضايا اللغوية في البحث الأصولي.....
1163-المنحى التداولي في البحث الأصولي.....

1164-الدلالة عند الأصوليين
1175-صيغة الأمر عند الأصوليين
1186-مستويات الأفعال الكلامية المنبثقة عن الخبر
1191- الشهادة والرواية
1212- الدعوة والإقرار
1223- الوعد والوعيد
1224-الكذب والخلف
1245-النفى
1277-الأفعال الكلامية المنبثقة عن الإنشاء
1281-الإباحة
1292-الإذن
1313-ألفاظ الصيغ أو البيع
1334-المنع
1345-إنجازية فعل التعجب عند الأصوليين
1356-الإستفهام

1377-ألفاظ العقود والمعاهدات

140 **المبحث الثاني: القوّة الإنجازية عند الأصوليين**

1411- مفهوم القوة الإنجازية

1422- علامات القوّة

1443- نسبة القوّة

1444- تعديل القوّة

1445- آليات التعديل

1456- دوافع تعديل القوّة الإنجازية

1467- وسائل تعديل القوّة الإنجازية

1468- وسائل التقوية

1461- وسائل التشكيل الصوتي

1462- الوسائل التركيبية

1463- الوسائل المعجمية

1474- الوسائل الخطابية

الفصل الثالث: إمكانات التقاطع بين الأصوليين والغربيين (مقاربة تداوليّة)

154

المبحث الأول: استراتيجية التداولية عند علماء الأصول

155

1-الأفعال الكلامية عند الشاطبي.....

156

1-1-الأمر عند الشاطبي.....

158

2-الشاطبي في فقه المقاصد نموذجاً.....

161

-قواعد استخلاص الأحكام الشرعية من النصوص.....

162

-العلائق بين القضايا ووحدة النص.....

165

-الاستنباط للاجتهاد.....

167

-امتزاج الدلائل الثقيلة مع الدلائل العقلية.....

167

-استعمال اللغة ووضعها.....

170

3-استثمار المفاهيم والمقولات التداولية عند الأصوليين.....

171

1-صلة اللفظ بالمعنى عند الأصوليين.....

172

2-دلالة اللفظ من حيث الشمول.....

174

3-تقسيمات اللفظ بحسب دلالاته على المعنى.....

175

4-القواعد اللغوية.....

177

4-الأفعال الكلامية عند ابن تيمية.....

1781-الخبر.
180-النفى.
1822-الإنشاء.
1822-1-الإنشاء الطلبي.
1822-1-1-الاستفهام.
1842-1-2-الأمر.
1852-2-الإنشاء غير الطلبي.
186	المبحث الثاني: إمكانات التقاطع من حيث المصطلحات والمفاهيم
187تمهيد.
1871-مقارنة بين الأصوليين و الغريبيين.
1922- القواعد اللغوية بين التراث و الحداثة.

الفصل الرابع

الجانب الإجرائي للمقاربة التداولية للخطاب التربوي

196تمهيد.
2001- مصطلح الخطاب بين اللغة والاصطلاح.

205-الفئة المستهدفة.....
205	أ- وصف محتوى العينة.....
206	ب- خصائص المدونة.....
206	1-العناصر اللسانية في نصوص المدونة.....
206	1-2-الخطاب الشفوي.....
209	1-2- الأفعال الكلامية في خطاب الواجب والتضحية من خلال الجدول.....
209-الاستفهام.....
210	ج- الإجراء التداولي في الخطاب التربوي.....
210	1- الحوار التفاعلي في الخطاب التربوي.....
211	1-1-الحوار اللساني في الخطاب التربوي.....
212	1-2- الحوار غير اللساني في الخطاب التربوي.....
215	2-الأفعال الكلامية في الخطاب التربوي.....
218	3-الأساليب الحجاجية في الخطاب التربوي من خلال الأمثلة.....
219	3-1-الأفعال الحجاجية.....
220	3-2- الروابط الحجاجية.....

2213-3 أصناف الحجاج
2211-3-3 الحجاج التوجيهي
2221-1-3-3 صيغ الإثبات
2222-1-3-3 صيغ إلزامية
2233-1-3-3 صيغ استفهامية
2234-3-1-3-3 صيغ التمني
2232-3-3 الخطاب التقويمي
234خاتمة
240قائمة المراجع والمصادر
260الملاحق

ملخص

ملخص:

التداولية "La Pragmatique" علم لغويّ يقوم على دراسة استعمال اللّغة في إطار العلاقة بين المتكلّم والمتلقّي بكلّ ما يكتنفها من ملابسات ومقامات، ومن أهمّ مفاهيمها المركزية وقطب رحاها نظريّة الأفعال الكلاميّة (Les Actes de Langage) التي نظّر لها الفيلسوف الإنجليزيّ (أوستين 1970)، ثم عمّقها تلميذه (سيرل 1972). وقد بدت ملامح الدّرس التّداوليّ ومبادئه واضحة المعالم في الدّراسات اللّغويّة العربيّة القديمة، وعليه تتغيّا دراستنا من خلال عنوان الرسالة الموسوم بـ: "نظرية الأفعال الكلاميّة بين التّصوّر الغربيّ والموروث الأصوليّ - مقارنة تداوليّة - الوصول إلى الكشف عن معالم نظرية الأفعال الكلاميّة في التفكير الأصوليّ في فهم الخطاب الشرعيّ الوارد بصيغ الأمر والنهي، وذلك في ظلّ نظرية الأفعال الكلاميّة التي جاء بها أوستين في الدراسات التّداوليّة المعاصرة، كما تسعى إلى إبراز فضل علماء التراث العربيّ وأسبقيتهم في مجال التفكير التّداوليّ، محاولة الكشف عن جملة الأفعال الكلاميّة التي أقرّها الأصوليون من خلال دراساتهم لمباحث الأمر والنهي، مراعين بذلك التّزاوج بين هذين البيئتين، ومحاولين الربط بين ما جادت به القرينة العربيّة، وما جاءت به التّداوليّة كمنج غربيّ شامل، متجاوزين ما جاء به أوستين في نظريته التداولية المعاصرة، والتي لازال الباحثون والدارسون في بحث متواصل لإظهار تطبيقاتها .

الكلمات المفتاحية: التّداوليّة- الدّرس التّداوليّ- نظرية الأفعال الكلاميّة- الدراسات التّداوليّة- أوستين

Abstract :

" Pragmatic is a linguistic science, based on the study of the use of language in the context of the relationship between the speaker, the recipient of all the circumstances, shrines, and the most important central concepts, and polarized her theory of verbal acts (Les actes de langage), which was considered by the philosopher The features of the deliberative lesson and its principles were clearly defined in the ancient Arabic language studies. Therefore, our study is eliminated by the title of the thesis entitled: "Theory of verbal acts between Western perception and fundamentalist heritage - a deliberative approach - Reaching out the features of verbal theory in fundamentalist thinking in understanding the legal discourse contained in the formulas of the command and forbidding, and in light of the theory of verbal verbs that came out in contemporary deliberative studies, as it seeks to highlight the virtues of Arab heritage scientists and their precedence in the field of thinking Tadawali, attempting to reveal the total verbal acts approved by the fundamentalists through their studies of the matter of prohibition and prohibition, taking into account the intermarriage between these two environments, and attempting to link between Majadat Arab Magister, and came to him deliberation as a comprehensive Western Meng, surpassing what Austin said in the eyes of Te contemporary deliberative, which researchers and scholars still in a continuous search to show their applications.

Keywords: deliberative - deliberative lesson - verbal theory - deliberative studies - austin

Resumé:

"Pragmatic est une science linguistique, basée sur l'étude de l'utilisation du langage dans le contexte de la relation entre le locuteur, le destinataire de toutes les circonstances, les sanctuaires et les concepts centraux les plus importants, et polarise sa théorie des actes verbaux (Les actes de langage), qui a été considérée par le philosophe Les caractéristiques de la leçon délibérative et ses principes ont été clairement définis dans les études de la langue arabe ancienne. Par conséquent, notre étude est éliminée par le titre de la thèse intitulée: "Théorie des actes verbaux entre la perception occidentale et l'héritage fondamentaliste - une approche délibérative - Atteindre les caractéristiques de la théorie verbale dans la pensée fondamentaliste pour comprendre le discours juridique contenu dans les formules du commandement et de l'interdiction, et à la lumière de la théorie des verbes verbaux qui est apparue dans études délibératives, car il cherche à mettre en évidence les vertus des scientifiques arabes du patrimoine et leur préséance dans le domaine de la pensée Tad awali, en essayant de révéler l'ensemble des actes verbaux approuvés par les fondamentalistes à travers leurs études sur la question de l'interdiction et de l'interdiction, en tenant compte des mariages mixtes entre ces deux environnements, et en essayant de relier Majadat Arab Magister, et lui est venu délibérer comme un Meng occidental complet, surpassant ce que Austin a dit aux yeux de Te délibérative contemporaine, dont les chercheurs et les universitaires sont toujours en recherche continue pour montrer leurs applications.

Mots-clés: délibératif - cours délibératif - théorie verbale - études délibératives - Austin